مهندس المسافة صفر

السِّيرة الجهاديَّة للشهيد القائد

عماد حسن عقل



كتاب

2023م - 1444هـ

مهندس المسافة صفر

السِّيرة الجهاديَّة للشهيد القائد

عماد حسن عقل

البرنامج الوطني لدار الكتب الفلسطينية
بطاقة فهرسة أثناء النشر
الهيئة العامة للشباب والثقافة – الإدارة العامة للمعارض والفنون والتراث

الاعلام العسكري لكتائب القسام: قسم التاريخ العسكري.
مهندس المسافة صفر: السيرة الجهادية للشهيد القائد عماد حسن عقل /الإعلام العسكري لكتائب القسام: قسم التاريخ العسكري. –غزة: الإعلام العسكري لكتائب القسام، 2022م.
(208) ص، 17*24
رقم الإيداع: 2022/1945

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ المؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوْا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ وَمَا بَدَّلُوْا تَبْدِيْلاً﴾

الأحزاب : 23

إهـداء

إلى كلِّ الثُّوَّار في هذا العالم...

إلى كلِّ مجاهدٍ وجريحٍ لأجل فلسطين...

إلى أرواح الشُّهداء الميامين...

إلى كلِّ المرابطين على ثرى فلسطين...

إلى إخوة عماد، أحفاد البنَّا وصلاح الدِّين...

تقديم

يقول تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

إنَّه لمن عظيم القدر وروعته أن يُكتب لنا تقديم كتابٍ لابننا البارِّ المبارك وفتانا اليافع وأسطورة الجهاد والمقاومة الشهيد (عماد حسن عقل)، الكتاب الذي يضمُّ بين دفَّتيه بعضاً من جوانب سيرته العطرة، وقد خطَّتها أيادٍ طاهرةٍ من مجاهدي كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.

عماد عقل... هو ذاك الشَّاب الذي عرفته بقوَّته وعنفوانه، بدافعيَّته وعلوِّ مقامه بين أقرانه، بحرصه على هداية الجيل ورفع راية التَّحرير، حرُّ الرَّأي، جريء القرار، سريع المبادرة، قويُّ الشَّكيمة، متفرِّد العمل، مهندس المسافة صفر في عمليَّاته النَّوعيَّة، ومبتكر التَّكتيكات العسكريَّة كفنِّ التَّجاوز والكمائن، هذا الشَّهيد المقدام الذي صدق الله في أفعاله وجهاده، فصدقه الله بأنْ رزقه الشَّهادة وأعلى ذِكْره بين النَّاس، وأصبح أيقونة الجهاد والاستشهاد في فلسطين والأمَّة.

لقد كان للشَّهيد عماد إسهامات في كلِّ ميادين العمل، فقد كان شعلةً من النَّشاط على المستويات الدَّعويَّة والتَّربويَّة والجماهيريَّة والعسكريَّة، وقبل أن يعرفه النَّاس كان فتىً قويَّ الهمَّة والعزيمة، متميِّزًا في كل شيء، من الأوائل في دراسته، حافظًا لأجزاء كثيرةٍ من كتاب الله منذ نعومة أظافره، نشيطًا في الدعوة إلى الله في مخيَّمه (مخيم جباليا) وخاصةً في مسجده مسجد النُّور، حتَّى أصبحت الدعوة في حياته نهجاً وسلوكاً، فقد استقطب الأشبال ورسَّخ أُسس التَّربية في قلوبهم، حتَّى غدا قدوةً في العمل التربوي والدعوي.

لا زلتُ أذكر ذاك اليوم الذي رشَّحتُ فيه شهيدنا للعمل في جهاز مجد وجهاز الأحداث من بعده؛ ليكون من أهمِّ الفاعلين في أحداث انتفاضة الحجارة.

والأهم والأعظم، حينما زكّيتُه ليكون أحد أبطال مجموعة الشُّهداء، الذي وافق أن يكون أحد أفرادها، وسط أملٍ عظيمٍ أن يُعيد للأمَّة مجدها وكرامتها، وللقضيَّة الفلسطينيَّة ثوريَّتها وعنفوانها.

واليوم تؤرِّخ الكتائب المظفَّرة في هذا الكتاب بعضاً من سيرة الشَّهيد القائد عماد عقل بعد نحو 30 سنةً من استشهاده، ليكون قدوةً لمن خلفه من أجيال الشَّعب الفلسطيني، والأمَّتين (العربيَّة والإسلاميَّة)، وحتَّى يحذو شباب الأمَّة حذوه في السَّير على طريق العزَّة والكرامة؛ لاسترجاع حقِّ الأمَّة التَّليد، وإعادة الوحدة، واستمرار العمل على تحرير فلسطين؛ لتتعافى هذه الأمَّة من جراحها بإذن الله.

ورسالتنا لشباب فلسطين..

أيُّها الشَّباب ينتظركم نصرٌ كبيرٌ ساحته أرض فلسطين والقدس والأقصى، لكنَّ هذا النَّصر يحتاج لجهودٍ عظيمة، كالتي بذلها الشَّهيد عماد قبل أن يتجاوز الـ 23 من عمره، فحريٌّ بكم أيُّها الشَّباب أنْ تسيروا على ذات الدَّرب؛ حتَّى نكون الأوفياء للشُّهداء ولدمائهم التي سالت في سبيل الله، في سبيل الأقصى، مسرى رسول الله ﷺ.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

لك يا عماد وأنت في العلياء ألف سلام، ونسأل الله تعالى أنْ يُلْحقنا بك شُهداء مُقبلين غير مُدبرين، وأنْ يرزقنا النَّصر والتَّمكين، وما ذلك على الله بعزيز.. ويسألونك متى هو قل عسى أنْ يكون قريبًا..

د. فتحي حماد (أبو مصعب)

عضو المكتب السياسي لحركة حماس

مقدِّمـة

عندما نُقلِّب صفحات مجدنا الجهاديِّ وعزِّنا الفتيِّ، نقف بعزةٍ وشموخ أمام عمادٍ راسٍ وعقلٍ راجح، أوقد جذوةً مُبهرةً تُبدِّد حُلكة الليل المظلمة، وتُحيل أوكار الغاصب ناراً تلظَّى يصلاها كلُّ صهيونيٍّ أشقى.

رجلٌ شهمٌ فتيٌّ أشمٌّ في مطلع عقده الثالث، زاده الله بسطةً في الفكر، وقوةً في الساعد يُسلَّط على المحتلين، يفتُّ عضدَهم ويُصِّدع صفَّهم ويفتِك بجندهم، يُغرقهم بفوضى تضجُّ بها أصقاعهم، فتربك كيانهم، ليقف وجيشه (العملاق) عاجزاً حائراً بائساً حيال عبقريَّة (ذو الأرواح السَّبعة).

عاشقُ المعارك للعدوِّ مُطارِد، أسطولٌ يجوب البِقاع فارضاً قواعد الاشتباك دائم التأهب للنزال، فلا معركةَ دونه تُدار، وليس لغيره فيها القرار، فبمعارك التَّجاوز لاذ عدوُّه بالفِرار، وبمهارة الكمائن أربكهم بكل جرأة واقتدار.

إنَّه عماد عقل "مهندس المسافة صفر"، صنديدٌ قذف الرُّعب في قلب غاصب الأرض وسالب الهُويَّة، صاحبُ الهمَّة العالية، والعزيمة الماضية، والطَّلقة الثَّاقبة، فلم يعرف للإحجام سبيلاً، ولم يكن لسلاحه يوماً أن يقيل أو يستقيل، حتَّى غدا مدرسةً تتعلَّم منها الأجيال، ونبعاً تنهل منه معاهد القسَّام.

بين دفَّتي هذا الكتاب رحلةٌ في سيرة جنرال كتائب القسَّام المُظفَّر: "عماد حسن عقل" من مهدِه إلى لحدِه، فقد تكوَّنت سيرتُه من خمسة فصول: تناول الأوَّل ميلاده ونشأته، مروراً بانتمائه لجماعته، أمَّا الثَّاني فيُحدِّثنا عن إطلالته الجهاديَّة وبراعته العماديَّة ما بين غزَّة والضفَّة الفلسطينية، فيما عرض الفصل الثَّالث عودته لقطاع غزَّة وتجديد بطولاته القسَّاميَّة، واسترسل الفصل الرَّابع في سرد ما دشَّنته بندقيَّة عماد في نفحات الجهاد، ليكون تمام رسالة عماد بفصلٍ خامسٍ ضمَّ الخاتمة الجهاديَّة والشَّهادة الأبيَّة.

قسم التاريخ العسكري

الفصل الأول

في رحاب السيرة والمسيرة

أولاً: ميلاد القائد ونشأته

حكاية التَّهجير

بعد أن ضجَّت شوارع فلسطين بالعوائل المشرَّدة من بلداتها عام 1948م، لم تكنْ تعرِف أين ستقذف بها عاصفةُ التَّهجير، وإلى متى ستُلاحقهم قُطْعان الصَّهاينة، فلم تقوَ على شحْذ أمتعتها؛ أملًا منها بعودةٍ قريبة، فبعضُها اتَّخذ من قرى لبنان ملجأً لها، وبعضها نزَحَ إلى الضِّفَّة الغربيَّة، ومعظمها انتهت رحلة معاناتها إلى أرض غزَّة الأبيَّة، لتبدأ حكايةُ التَّهجير... تهجيرٌ هو الأفظع في عصرنا الحديث.



ما تبقى من قرير بُرير المهجّرة–قضاء غزة

فبعد أنْ احتلَّت العصابات الصُّهيونيَّة قرية بطل كتابنا "برير[1]"، أصبح الجدُّ الثَّاني لعماد عقل أحد هؤلاء النَّازحين، ليسير بعائلته حزينًا حسيرًا من المال والمتاع والأرض، مُنْزِلًا رحاله في شمال قطاع غزَّة، حيث مخيَّمٍ للاجئين سُمِّي فيما بعد "مخيَّم جباليا"، ظانًّا منه أنَّ صفحات رحلة العذاب قد انطوت، ولم يكن يعلم أنَّ رحلةَ العذاب لأهله ووطنه لم تبدأ بعد، وما لم يكن يعلمه أيضًا أنَّه سيخرج من نسله أحد الشَّخصيَّات الأشهر في تاريخ القضيَّة الفلسطينيَّة، ومن بسببه تمنَّى "رابين" أن يستيقظ يومًا ما فيجد البحر قد ابتلع غزَّة، وخلَّصه منها.



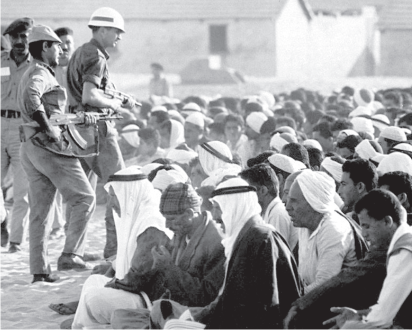
مخيم جباليا 1950م

(1) بلدة برير: هي قريةٌ فلسطينيَّة تقع على الجهة الشَّرقيَّة من مدينة عسقلان، تمَّ تهجير أهلها منها في نكبة عام 1948م.

بدأ السُّكَّانُ المُشرَّدون يتموضعون حول هذه البقعة القاحلة الجرداء، التي تخلو من الماء والصَّرف الصِّحِّيِّ والمساكن، سوى بعض قطع القرميد المُصفَّح بألواح الزِّينقو[1]، وبعد أنْ أخذت قضيَّتهم بُعْدًا دَوْليًّا، بدأت تتوافد إليهم بعض المُنظَّمات الإغاثيَّة، بإيعازٍ من هيئة الأمم المتِّحدة؛ في محاولةٍ منها لستْر المؤامرة العالميَّة الجديدة.

أنْ تكونَ ابن المخيَّم!

كانت حياة المخيَّم أشبه بمسلسلِ إذلالٍ يومي، فطوابير الأطفال أمام مؤونة اللبن المُجفَّف، وأكياس العدس والأرْز، وتكدُّس النَّاس حول حمَّام المخيَّم الوحيد، وترنُّح الخيام أمام صفعات الرِّيح، واحتشاد النَّاس حول موظَّفِ وكالة الغوث الدَّوليَّة ذات الشعار الأزرق، كلُّها شاهدةٌ على قسوة العيش، ومرارة الحياة، وفي هذه الأثناء كانت وعود المُراقبين الدَّوليِّين تحقنُ الصَّبر في قلوب النَّاس، من خلال بثِّ رسائل مبهمةٍ تُفيد أنَّ عودتَهم إلى ديارهم تبدو أقرب، وأنَّ مسلسل التَّخييم سينقضي حال التَّوصُّل لحلولٍ سياسيَّة.



مخيم جباليا 1967م

لكنْ بمرور السَّنوات، كانت خيوط المؤامرة تتشكَّل أكثر فأكثر، وأصبحت النِّداءات السِّياسيَّة للعودة محْضًا من الخيال، وما عمَّق اليأسَ في قلوب النَّاس هو قرار الأمم المُتَّحدة بتقسيم ما تبقى من فلسطين إلى شطرين: وقعت الضِّفَّة الغربيَّة تحت وصاية الأردن، فيما خضعت وصاية قطاع غزَّة إلى الحُكْم المصري.

(1) تعريف مصطلح "الزينقو": هي ألواحُ من مادَّة الصَّاج يتمُّ استخدامها في أمورٍ عدَّة: منها تغطية أسقف المنازل.

وسُرعان ما لحقت هذا القرار حربٌ تلقَّت فيها القوَّات العربيَّة هزيمةً في النَّكسة التي أُطلقت عليها حرب الأيَّام السِّتَّة، وهي حرب عام 1967م؛ ليحتلَّ الصَّهاينة كلَّ فلسطين، بما فيها الضِّفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة والقدس والجولان وسيناء.

محاولاتٌ لتذويب الهويَّة

بعد سيطرة الاحتلال الصُّهيوني على الأراضي الفلسطينيَّة عمل على ترسيخ مبدأ المعايشة بين المجتمع الفلسطيني الحقيقي والمجتمع "الصُّهيوني" الغاصب، في محاولةٍ لتذويب الهُويَّة الفلسطينيَّة والإسلاميَّة، حيث كانت تتَّسم حياة النَّاس بالبساطة، فكان الجنديُّ يسير بحرِّيَّةٍ كاملةٍ في زُقاق المخيَّمات، ويشارك الأطفال في ألعاب "البنانير"[1]، إضافةً إلى ظاهرة العمل داخل الأراضي المحتلَّة، ومشاركة "الخواجا" -ربُّ العمل- الفلسطينيَّ في مناسباته، وبمجرَّد أنْ تدخلَ الأسواق الشَّعبيَّة تتفاجأ بالمركبات التي تحمل اللوحات الصَّفراء[2]، لكنْ ومع سطوع النَّجم الإسلاميِّ والتحامه بالحسِّ النِّضالي، والعمل الثَّوريِّ الوطنيِّ لدى أبناء الشَّعب، باءت كلُّ هذه المحاولات بالفشل... والفشل الذَّريع.

المسحة الدِّينيَّة آنذاك

لم يكنْ هناك مفهومٌ واسعٌ للتَّديُّن قبل انطلاق النَّشاط الإسلاميِّ بداية الثَّمانينيَّات، حيث كانت الأسطر الأولى في المساجد مُكتظَّةً بكبار السِّن، والعادة السَّائدة في ذلك الوقت بين فئة الشَّباب هي "عندما نكبر ربنا يهدينا، ونصبح نصلِّي"، لكنَّ كثيرًا من العادات الإيجابيَّة كانت تسود القطاع في ذات الوقت، منها: توقير الكبير التي كانت عُرفًا اجتماعيًّا، وأهل البيت الذين لا يتناولون شيئًا من مائدة الطَّعام إلَّا بعد أنْ يجلسَ الجدُّ أو الأب؛ احترامًا وتقديرًا لهما"، إضافةً للجودُ

(1) لعبة البنانير: هي إحدى الألعاب التي يلعبها الأطفال في المخيَّمات الفلسطينيَّة، وهي كراتٌ صغيرةٌ ملوَّنةٌ مصنوعةٌ من الزُّجاج.
(2) إشارةً إلى سيَّارة الصُّهيوني.

الذي كان من أبرز سمات العوائل، وكذلك النَّخوة وطيبة القلب الممزوجة بالأنَفَة.

ولادةُ الجنرال

بعد أنْ ساد الأوضاعَ السِّياسيَّة والاجتماعيَّة مناخُ اليأس، عقب الهزائم المُتتالية، كانت ولادة عماد حسن إبراهيم عقل في هذا الجوِّ الملغوم بالبؤْس، ليكون الأمل الذي يرسم البسمة على شفاه المكلومين من أبناء المخيَّم، ففي ليلة 19 يونيو 1971م ضجَّ في أرجاء المخيَّم صيحة طفلٍ قد حلَّ على هذه الدُّنيا، ليُهرول اللاجئون إلى بيت عائلة (عقل) مُهنِّئين بمولودهم الجديد، سائلين عن ذاك الاسم الذي سيحمله، ليعلن والده حسن قائلاً: "إنِّي سمَّيته عماد، تيمُّناً بعماد الدِّين زِنْكِي[1]".

نشأ عماد في أسرةٍ مُتديِّنةٍ مُتوسِّطة الحال، مكوَّنةٍ من ستَّة أفراد، كان هو أصغرهم، بين أبوين ملتزمين، واثنين من الأشقَّاء، وشقيقةٍ واحدة، عمل والده في الأراضي المحتلَّة كغيره من رجال المخيَّم، حيث كان يخرج بعد صلاة الفجر من يوم الجمعة، ويعود فجر الخميس - بعد أسبوع - إلى بيته، لتزول ساعات التَّعب والسَّفر بلحظة انتظار أولاده له أمام البيت.

ذو الطَّابعَيْن!

في ملامح لوجهٍ قمحيٍّ يميل إلى البياض، وشعرٍ أسود داكن، وقامةٍ قصيرة، ووجهٍ مستدير، وعينين صغيرتين، وبُنْيةٍ تميل إلى النَّحافة، استقبل عماد عقل هذه الدُّنيا؛ ليجد نفسه في مخيَّمٍ للُّجوء، يملؤه ضجيج النَّاس، وحسرة الغُربة، وعوائل متَّصلةٍ ببعضها كأصابع اليد الواحدة.

(1) **عماد الدين زنكي (477-541هـ)**: ولد عام 477هـ في مدينة حلب بسوريا، حيث كان أبوه قد وُلِّيَ على حلبٍ من قبل السلطان السلجوقي "ملكشاه"، تولى رعايته بعد وفاة أبيه عدد من الولاة، فشارك في معارك وملاحم عدةٍ ضد الصليبيين في بلاد الشام ومناطق "الرها، وسميساط، وسروج"؛ فكوفئ بإمارة ولاية "واسط والبصرة"، ثم الموصل عام 521هـ، فوحَّد المسلمين وحرَّر خمس مواقع صليبية كانت كخط دفاعٍ لـ "أنطاكيا"، ثم حرَّر إمارة الرَّها -أول المعاقل الصليبية في بلاد الشام- عام 539هـ بعد 28 يومٍ من حصارها، استشهد بتاريخ 05 ربيع الآخر عام 541هـ؛ إثر اغتياله على يد أحد حراسه أثناء حصاره لقلعة "جعبر".



مخيم جباليا للاجئين

بدأ عماد ينمو شيئًا فشيئًا، ولم تكن طفولته فريدةً عن أبناء المخيَّم؛ ولكنَّ شيئًا ما كان يشدُّهم حوله، فملامح ذكائه وفطنته، وحيويَّته الجذَّابة، وروحه المرحة، جعلته أيقونةً بين أصدقائه، وجعلت لجلساتهم معه طبعًا خاصًّا، فصار اسمه بين أهل الحيِّ مألوفًا بالمرح والمحبَّة. ولكنْ من كان يعلم أنَّ هذا الوجه المحبوب الذي يملأ أرجاء الحيِّ بالحيويَّة والمرح سيحمل له التَّاريخ وجهًا آخر هو الأكثر رعبًا للكيان الصُّهيوني.

ثانياً: على أعتاب المدرسة، ولهو الصِّبا

بدخول العام 1976م، تخطَّى عماد السَّادسة من عمره، ليلتحق كغيره من أطفال الحيِّ بمدارس وكالة الغوث الدَّوليَّة "الأونروا"، قاضيًا مرحلته الابتدائيَّة في مدرسة (أبو حسين) برفقة أخيه عادل، ثُمَّ الإعداديَّة بمدرسة الفاخورة، حيث كانت مؤشِّرات الذَّكاء والفِطْنة باديةً في سلوكه وتعامله مع قُرنائه ومُدرِّسيه، كان ذكيًّا يُنْصِت ويستوعب، ثُمَّ يُناقش ويُجيب عن الأسئلة، ما ألقى محبَّته في قلوبهم.

أمَّا عن ذكريات الطُّفولة التي عاشها برفقة أخيه عماد، فقد حاول "عادل" أنْ يستذكر شيئًا من عَبَقِهَا، فيقول: "كُنتُ في الصَّفِّ السَّادس الابتدائي، وعماد في الصَّفِّ الثَّالث، وكنَّا قد عملنا أرجوحةً من أغراض الوالد، فكنَّا نحضر لوحًا خشبيًّا طويلًا ونضعه على برميل، فيجلس أحدُنا على طرف والثَّاني على طرفٍ آخر، ونبدأ باللعب، كنَّا نعمل خيمةً من البطَّانيَّة نجلس فيها، ونحتمي من الشَّمس؛ لأنَّ الشَّمس كانت شديدة الحرِّ وقت الظَّهيرة... كان أَكْلُنا واحد، ولَهْوُنَا واحد، كنَّا نُحضر المياه مع بعضنا، ونطلبُ الخُبْزَ مع بعضنا، لقد كنتُ ظِلَّه الذي لا يُفارقه".

"لقد كان عماد حَروريًّا، لا يرضى المَذلَّة، ولا يقبلُ الضَّعف، وحُلولهُ لا تقبلُ القِسْمة حينما يتمُّ الاعتداء عليه أو على من يُحبُّه".

بتلك الكلمات لخَّص عادل شخصيَّة عماد في مرحلة الطُّفولة، فمن قصص شجاعته التي لا تُنسى، أنَّه حينما كان في المرحلة الإعداديَّة تمَّ الاعتداء على أحد أصحابه من قبل أحد الصِّبية، ولأنَّ صاحبه هذا كان طيِّبًا لم يستطع أن يردَّ عن نفسه الاعتداء، فاستنجد بعماد الذي كان قريبًا منه، الذي ما كان منه إلَّا وأن لبَّى نداءه، ليأتي ويكفَّ الظُّلمَ عن صاحبه المظلوم، عائدًا بعد ذلك إلى صاحبه يُربّت على كتفه، ويقول له: "لن يستطيع أحدٌ أن يؤذيك ما دمتُ على قيد الحياة".

عماد وبحور العلم والمعرفة

لم يكن عماد الأوَّل على صفِّه أو مدرسته؛ لكنَّه كان من المتفوِّقين المعروفين بنباهتهم، خاصَّةً في مادَّتي الرِّياضيَّات والجغرافيا... كانت "موسوعة العالم العجيب" من أعزِّ مُقتنياته التي يقرأها ويحفظ منها باستمرار، كان يعرف عواصم الدُّول ورؤسائها ومساحاتها الجغرافيَّة، وأعداد سكَّانها، وحدودها، وألوان أعلامها، رغم أنَّه لم يتجاوز الرَّابعة عشرة من عمره بعد.

لقد دفعه شغفه بمادَّة الجغرافيا، واطِّلاعه على الموسوعة أنْ يقف أكثر من مرّةٍ أمام مدرِّس الجغرافيا في الصفِّ الثَّالث الإعدادي، ويقول له: هذه الدَّولة رئيسها فلان، ومساحتها كذا، وعدد سكَّانها كذا وكذا، ثُمَّ يسكت، فيمرُّ الأستاذ على خريطةٍ أخرى لإحدى الدُّول، فيقفز عماد، ويقول: هذه الدَّولة رئيسها فلان، ومساحتها كذا، وعدد سكَّانِها كذا وكذا؛ فما كان من الأستاذ - الذي كان يحبُّ عمادَ كثيرًا - إلَّا أنْ يصرخ في وجهه مازحًا: "بس يا عماد خلص، مش موضوعنا".

قرَّةُ العيْن

كان عماد عقل يعلم منذ نشأته أنَّ أيَّ طريقٍ لا يمكن له أن يمتدَّ في رضا الله وتوفيقه ومحبَّة النَّاس إلَّا عبر جناحَيْ والديه، فرغم حيويَّته في طفولته إلَّا أنَّه

كان بارًّا كثيرًا بهما، شاهدًا على ذلك رفيق دربه في الصِّغر والكِبَر "فهد زقزوق"[1] قائلًا: "كنتُ أُجالس عماد في بيته بشكلٍ شبه يوميٍّ أنا وصديقي حاتم أبو وادي، ولا أذكر أنَّه كان مشاكسًا مع والديه يومًا ما؛ بل كان لطيفًا جدًّا معهم، فقد كان يقفز بمجرَّد نداء أحد والديه عليه، لقد كان نِعْم الابن البارّ الذي يسعى في حاجتهم، فلذلك كانت أمُّه وإخوته يحبُّونه كثيرًا، وكنَّا عندما نجلس في غرفته - جلسة أصحاب - يأتون له بكلِّ شيءٍ يطلبه".

رياضاته المُفضَّلة!

إنَّ شخصيَّةً جريئةً وذكيَّةً مثل عماد ينبغي أنْ يكون لها ذوْقها الخاص، حتَّى في شغف الرِّياضة، فرياضات التَّنس الأرضي وكرة القدم والسِّباحة والرَّكض، كانت أكثر الرِّياضات التي أحبَّ ممارستها، فقد كان الأصدقاء (عماد، وحاتم أبو وادي، وعبد المنعم صبح، ومحمَّد وصلاح عثمان[2]) ينتظرون انتهاء الدَّوام المدرسيِّ المسائيِّ في مدرسة الفالوجا وسْط حيِّهم؛ ليقوموا بوضْع حبلٍ طويلٍ



المجاهد / صلاح عثمان -رحمه الله-

(1) أسير محرر في صفقة وفاء الأحرار عام 2011م، وهو أحد عناصر مجموعة الشُّهداء.

(2) صلاح مصطفى عثمان (1971-2021م): يُكنَّ "أبو عماد" ويُلقَّب "الشهيد الحي" وُلد عام 1971م في حي الشجاعية شرق مدينة غزة، بين أحضان أسرة متديِّنة، تعود أصولها لبلدة المسميَّة الكبيرة المحتلَّة عام 1948م، درس المرحلتين "الابتدائية والإعدادية" بمدرسة الفاخورة شمال القطاع، ملتحقاً بعدها بمدرسة الفالوجا لدراسة المرحلة الثانوية، حاصلاً في أواخر سنين حياته على درجة الدبلوم من الجامعة الإسلامية التحق بدعوة الإخوان المسلمين في ريعان شبابه حيث مسجد النور، وشارك في أحداث الانتفاضة منذ بداياتها برفقة الشهيد القائد عماد عقل، التحق بصفوف كتائب القسام ضمن مجموعات الرصد التابعة للشهيد القائد عماد متمكِّناً من تنفيذ عددٍ من عمليات الرصد النوعية، شارك في تنفيذ عملية "التلة الفرنسية" بتاريخ 1993/7/1م برفقة المجاهدين "محمد الهندي وأبو سرور" في قلب القدس، أصيب خلالها إصابةً خطيرة يئست مشافي الاحتلال منه بعد اعتقال القوات له، فأعادته إلى غزة، ليكتب الله له حياةً جديدةً بإعاقةٍ دائمة، انتقل إلى رحمة الله شهيداً بإذنه بتاريخ 2021/4/16م بعد صراعٍ مع المرض.

في منتصف الملعب المدرسي، ويُحضرون كرة تنسٍ صفراء، فيقف اثنان على حافّتي الملعب ليُمارسا -ببساطة أبناء المخيّمات- رياضة التِّنس الأرضي، حتّى تتلاشى الرُّؤية بحلول صلاة المغرب، فينطلقوا معًا إلى المسجد.

يستذكر محمّد عثمان لحظات الصِّبا مع صديقه عماد، وهو أحد المجاهدين الأوائل، والأسير المُحرَّر في صفقة وفاء الأحرار قائلًا: "لقد كان خفيف البُنية سريعًا، وكنّا كثيرًا ما نذهب إلى البحر، وغالبًا ما كنتُ أقود بدرّاجتي، فيما يركض عماد بجانبي، فكان في بعض الأحيان يسبقني وأنا على متن درّاجتي، فنصل إلى البحر، ونضع متاعنا في مكانٍ آمن، ثمّ نبدأ بالسِّباحة في البحر لمسافاتٍ قد تصل لأكثر من كيلو متر، ثُمّ نعود سويًّا مع غروب الشَّمس على متن ذات الدَّرّاجة.

عائلةٌ مجاهدة!

إنّ شخصيّةً ثائرةٌ، مُحبّةٌ للجهاد، وحازمةٌ تُجاه محتلّها كعماد عقل، لم يكن لها أنْ تتشكَّل بصورةٍ نمطيّةٍ كغيرها من الشَّخصيّات؛ بل هناك ما كان ينسج طِباعها وأخلاقها وعقليّتها.

لم يكنْ عماد أوّل ثائرٍ في عائلة "عقل"، فشقيقه الأكبر عبد الفتّاح كان من مؤسِّسي المجمّع الإسلاميّ للحركة الإسلاميّة نهاية السَّبعينيّات، وكانت مداهمةُ المنزل من قبل الجنود أمرًا مألوفًا لكثرته؛ ولكنْ من كان يعرف أنَّ هذه الألفة المقيتة، كانت تطبخ فوق نيرانها "قائدًا من قادة المقاومة".

لم يكن لعماد وعادل أنْ يقفا مكتوفي الأيدي حِيال مسلسل الإذلال اليوميّ الذي تُمارسه القوّات الصُّهيونيّة ضدّهم وضدَّ أخيهم الأكبر، الذي كان يُشكِّل قدوةً لهما؛ فأصبحا يتصدّيان للقوّات التي تُداهم المنزل برغم حداثة سنِّهما، فأسفرت هذه المداهمات عن اعتقال أخيهما، والحُكْم عليه خمس سنوات، ثُمَّ نفيه إلى سوريا، واستقرَّ منذ يومها إمامًا في أحد المساجد هناك.

الدَّرس الأوَّل في الشَّجاعة والنَّخوة

كانت مدَّة سجن عبد الفتَّاح شاقَّةً على أهله وشقيقَيْه، وكانت مواعيد الزِّيارة في السِّجن أشبه بـ"الإذلال المُنظَّم"، ففي أحد أيَّام عام 1981م، وبينما كان عبد الفتَّاح مُعتقلًا، ذهب الوالد لزيارة ابنه البِكْر، وتحت إلحاح ولديه "عماد وعادل"، قرَّر أنْ يأخذهما معه، وقد كان عماد حينها في العاشرة من عمره، كان النَّاس قد اعتادوا على مشاهد الإجرام الصُّهيونيَّة بحقّهم، خاصَّةً عند زيارة المعتقلين في سجن السَّرايا المركزي، أو عند نقاط الاحتكاك أو المداهمات المستمرَّة، والدَّوريَّات التي تتسلَّل في أزقَّة المخيَّمات، وبينما كان النَّاس يصطفُّون لمقابلة الضَّابط الذي يحمل كشوفاتٍ بأسمائهم وتفاصيلهم، شتم الضَّابط إحدى النِّسوة وسحَبَها من الطَّابور بقسوة، صارخًا في وجهها: "ممنوع الزِّيارة"، فما كان من عماد إلَّا أنْ بصق في وجهه، وفرَّ هاربًا.

العصابات الصُّهيونيَّة

مرَّت عجلة العمر بعماد، وأصبح شابًّا يُعتدُّ به على نوائب الحياة وقسوة العيش، كان عماد وزملاؤه طُلَّابًا في مدرسة الفالوجا الواقعة في منتصف حيِّهم، وكانوا مُتعلِّقين بها وبأساتذتها، ولكنَّ ما لم ينسوه أبدًا حركة الجيبَّات العسكريَّة لقوَّات الاحتلال التي كانت تعترضهم أثناء ذهابهم وإيابهم من المدرسة، حيث لم يكن بِوُسْع الطَّلبة سوى رشقها بالحجارة؛ دفاعًا عن أنفسهم أمام الرَّشَّاشات والعربدة الصُّهيونيَّة.

في صباح أحد الأيَّام، وبينما كان الطُّلَّاب يتجهَّزون للطَّابور الصَّباحي، وإذ برتلٍ من الجيبَّات العسكريَّة تقتحم أسوار المدرسة، وعلى رأسها دوريَّة الحاكم العسكريِّ المسؤول عن معسكر جباليا، فإنَّهال الجنود على الطَّلبة بالضَّرب والشَّتم، وضربوا الأساتذة، وخرَّبوا ممتلكات المدرسة، وكسَّروا ألواح القرميد التي تُغطِّي أسطح الصُّفوف، وانقلبت المدرسة إلى مكانٍ خرب، ولم ينته الأمر عند ذلك، بل أمسك الحاكم العسكري مُكبِّر الصَّوت، وصرخ في الطَّلبة: "نريد أن

نمسح هذه المدرسة عن الوجود، نريد أنْ ننقلها إلى أقصى بيت حانون".

تجرَّع أهالي معسكر جباليا هذه المِحْنة، وانطوتْ القصّة تحت إصرارهم على التّعلُّم، فانتقل عماد وزملاؤه وباقي الطَّلبة إلى المدرسة الزِّراعيَّة المحاذية للسِّلك الفاصل بين قطاع غزَّة والأراضي المحتلَّة عام 1948م شمالاً، يتجرَّعون مشقَّة الطَّريق، وحرارة الشَّمس المُلتهبة، وبُرودة الشِّتاء القارص، وهناك أنهى عماد تعليمه المدرسي، وحصل على شهادة الثَّانويَّة العامَّة فرع العلوم الإنسانيَّة، ضمن الأربعة الأوائل على المدرسة وذلك عام 1988م، أي بعد سنةٍ من اندلاع انتفاضة الحجارة؛ لتكون المرحلة الثَّانويَّة هي نقطة التَّحوُّل الحقيقيِّ لدى عماد.

ثالثاً: صفاته وخِصاله

قائدٌ بالفطرة!

لعلَّ من أهمِّ الأسباب التي دفعتْ قيادة الحركة لتصدير عماد أحد أبرز قادة مجموعات الكتائب هو ما يتردَّد على لسان أصدقائه وإخوانه ومشايخه، الذين ما زالوا يؤمنون بما قالوا عنه منذ أن خالطوه:

فعندما تسأل القائد المجاهد فتحي حمَّاد عنه، يقول: "لقد عرفتُ عماد منذ طفولته، وكان أنجب تلامذتي في الحركة، ولم يخب ظنِّي فيه منذ أن تعرَّفت عليه شبلًا، فكنتُ أرى في شخصيّته ملامح القائد المُخلص المحبوب والحازم، الشّديد واللّيّن، ذلك دفعني للاحتفاظ به، فعندما كان يطلب الإخوة منّي أن أرشِّح شبابًا أو أشبالًا للعمل الجماهيري، أو لفعاليّات الانتفاضة، كنت أُحجم عن ترشيحه وأخبِّئه لعملٍ أوسع،



الشهيد القائد / عماد عقل

وبعد ذلك فعَّلتُه في جهاز مجد، فرأيتُ منه العقليّةَ الأمنيَّة، والشَّخصيَّة المحافِظة، ما شجَّعني للاعتناء به أكثر، إضافةً لعلاقاته الواسعة بين المطاردين، وتفوُّقه الأمنيِّ والعسكري".

سريع البديهة!

في أحد أيَّام الانتفاضة الأولى، وبينما كان عماد ثائرًا من ثوَّار الشَّعب الفلسطيني، يُشارك في إحدى المظاهرات الشَّعبية في منطقة الفالوجا برفقة شيخه أبي مصعب حمَّاد وعددٍ من شبَّان الحركة الآخرين، وإذ بقوَّةٍ صهيونيَّةٍ تعترض هذه المظاهرة، وتعمل على تفريقها بالقوَّة والسِّلاح، فما كان من المجاهد أبي مصعب إلَّا أن أشار على عماد بجمع الشُّبَّان في إحدى الشَّوارع الضَّيِّقة، بعيدًا عن أنظار الجنود الصَّهاينة، وبعد ذلك رسم أبو مصعب برفقة الشُّبَّان خطَّةً لتلقين هؤلاء الجنود الصَّهاينة درسًا قاسيًا، فقد أمر كلَّ واحدٍ منهم بحمل ثلاثة حجارةٍ في يديه، وقال لهم: "سوف نتفرَّق جميعًا ونتسلَّل من بين الشَّوارع حتَّى نصل إلى أقرب نقطةٍ لهؤلاء الجنود الصَّهاينة، وعندما أتأكَّد من أنَّ الجميع قد تمركز مكانه، أكبِّر كإشارةٍ لكم ببَدء رجمهم بالحجارة التي تحملونها بأيديكم، وبذلك نحقِّق إصاباتٍ محقَّقة، وننثر دماءهم في شوارع منطقة الفالوجا".

تلقَّى الشُّبَّان ومن بينهم عماد تفاصيل الخطَّة، وانتشروا لبدء التَّنفيذ، وفجأةً وبينما أبو مصعب والشُّبَّان يقتربون من الجنود، وإذ بصوت عماد يعلو بالتَّكبير راجمًا جنديًّا صهيونيًّا بحجارةٍ في رأسه مباشرةً، ويولِّي منسحباً من المكان، وما أن شاهد أبو مصعب ذلك حتَّى أشار على الشُّبَّان بالانسحاب من المكان.

انسحب أبو مصعب والشُّبَّان من أماكنهم وعادوا والتقوا في النُّقطة التي انطلقوا منها، فوجدوا عماد بانتظارهم، فأمسك أبو مصعب عماد وأخذ يُعزِّره ويقول له: لِمَ فعلت ذلك يا عماد؟!!

فأجابه عماد قائلًا: "عندما أشَرْتَ علينا بالانطلاق وبَدْء تنفيذ الخطَّة، وخلال ثوانٍ معدودة وجدتُ نفسي أمام أحد الجنود، فلم أستطع الانتظار فرجمتُه بالحجارة التي معي وأخذتُ بالتَّكبير، وانسحبتُ من المكان"، فضحك أبو مصعب وأشاد بفعلته ولكن أكَّد عليه ضرورة السَّمع والطَّاعة.

كاريزما[1] من نوعٍ خاص!

أمَّا فهد زقزوق فلم يتردَّد في نعتِه بتلك الجملة: لقد كان يمتلك كاريزما من نوعٍ خاص! إنَّه أشبه بالدِّينامو[2]!، إنَّه من الصَّعب أن تجمع تفكيرًا دعويًّا، وعسكريًّا، وأمنيًّا، وثقافيًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا، في عقلٍ واحد!، لقد كان عماد هكذا فعلًا، ناهيك عن أسلوبه الرَّائع في الإقناع.

هذه الشَّخصيَّة التي لم تكن تعرف شيئًا يُسمَّى عَقَبة أو مشكلة، كانت كلُّ المشكلات مهما شَقّتْ هي هيِّنةٌ في نظر عماد!، لا شيء يُوقف إصراره، ولا ظرفٌ يحدُّ شغفه في رؤية بلاده محرَّرةً من الاحتلال الصهيوني البغيض!

داعيةٌ متميِّز

هذه القصَّة حدثت مع المجاهد محمَّد عثمان "رفيق درب عماد"، يقول: "قصَّة التزامي بالعبادة كانت على يد عماد، فبينما كنتُ في المرحلة الابتدائيَّة، كنتُ أقود درَّاجتي الهوائيَّة في سوق معسكر جباليا، وإذ بأخي صلاح يمشي برفقة أحد الشَّباب، فأوقفني هذا الشَّاب، وقال لي: "أخبَرني صلاح أنَّك لا تُصلِّي يا محمَّد، هل هذا صحيح؟، فقلتُ له: نعم؛ ولكنَّني لا أُجيد الصلاة. فنظر إلى صلاح، وهو يبتسم، وقال لي: "صلاح سيعلِّمك الصَّلاة". وبالفعل علَّمني صلاح كيفيَّة الصَّلاة، وأصبح هذا الشاب يتعهَّدني باستمرار، ويسألني عن أحوالي... كان هذا الشاب هو عماد عقل، وكانت هذه القصة بداية تعرُّفي عليه!".

---

(1) مصطلح "كاريزما": هي كلمة يونانيّة تعني الجاذبية والتأثير في الآخرين.
(2) مصطلح "الدِّينامو": كناية عن الطَّاقة الهائلة في العمل والتَّفكير.

رحمتُه ورأفتُه

يتحدَّث أحد رِفاق درب القائد عماد عقل، وهو المجاهد "أبو حازم" قائلًا:

"عندما تعرَّفتُ على عماد كان من المخطَّط أنْ أُشارك في إحدى العمليَّات بصُحبته، فتجهَّزتُ لها؛ لكن في لحظةٍ مفاجئةٍ جاءني الرَّفض، فلمَّا رأيتُه مرَّةً أخرى، سألتُ عن سبب الرَّفض، فقال لي: "أنت وحيدُ أهلِك، وأخوك الآخر في السِّجن، وأخواتُك ووالداك بحاجةٍ لك، فمن الأفضل أنْ أجِدَ لك مجالًا آخر لا يعرِّضك للخطر الشَّديد".



الشهيد القائد / عماد عقل

ويُتابع قائلًا: "لقد كان قائدًا مُلهمًا، شديدًا حادًّا، ذا صوتٍ قوي، وشخصيَّةٍ جدِّيَّة، وفي الوقت ذاته تجده يتمتَّع بالمرح، لم أره عابسًا، كان يشدُّني فيه حيويَّته، فتجده في الغرفة يسير من يمينها إلى يسارها، وهو يتحدَّث معك، لم يكن يُحبُّ الجلوس، كان يرى أنَّه من الوهن أن يرتاح صاحب الحق".

صانع الحدث

لقد كان من أكثر ما يميِّزه أنَّه صانعٌ للحدث، وهذه هي النُّقطة الفارقة بين القادة على مختلف مجالاتهم، فعماد لا يحبُّ أن يكون تابعًا، لم يكن يُشغلُ نفسه في ردَّات الفعل؛ بل كان يصنع الحدث، ويترك لغيره التَّفسير، فيذكر المجاهد "أبو حازم" تلك اللحظة التي استجوبه فيها قائد الشَّاباك حول قضيَّة عماد، حيث تفاجأ بأنه أطلق على عماد لقب "عصفور (الدويري[1])"؛ وذلك لكثرة حركته وحيويَّته رغم كونه المطارد رقم (1) في فلسطين.

(1) الدويري: هو عصفور صغير وذو رشاقةٍ عالية، جميل المنظر، وكثير الحركة والحيوية، حيث إنَّه لا يستقر في مكانه كثيرًا.

المحبوب الوفي

لم يختلف اثنان على خفَّة ظلِّه ومحبَّةِ من حوله له، حركتُه لافتة، شخصيَّتُه خفيفة الوزن على القلب، من يعيش معه لأوَّل مرَّةٍ يحبُّه؛ لخفَّة ظلِّه وروحه ومرحه!

بنبرةٍ متقطِّعةٍ، وبدموعٍ تطرق باب عينيه تستأذن الخروج، حاول فهد زقزوق سردَ قصَّته بعد عودة عماد من الضِّفَّة الغربيَّة إلى قطاع غزَّة: "عندما خرجتُ من السِّجن بعد عشرين عامًا، أخبرتني أمِّي أنَّها سمعت طرقًا لباب المنزل في إحدى الليالي، فتوجَّستْ، فخرج والدي ليفتح الباب، فوجد شابًّا يحمل سلَّةً، ويلفُّ كوفيَّةً حمراء على وجهه، وقبل أن يتكلَّم الوالد بشيءٍ قال له: "أنا عماد عقل" وأسدل لثمتَه، وقال له: "لا يمكن أن أجلس في البيت ما دام فهدٌ في سجنه، وأعدكم أنَّني سأبذُل قُصارى جُهدي لإخراجه!".

أمَّا وفاؤه لشيخه، فقد كانت من عادة القائد عماد قبل كلِّ مهمَّةٍ ينفِّذها أن يُخرج محفظته الشَّخصيَّة من جيبه، ويُمعن النَّظر في صورةٍ فيها، وهذا ما أثار فضول رفيق دربه المجاهد باسم عيسى[1]، مُستفسراً عن صاحب هذه الصُّورة، لتكون المفاجأة بتلك الكلمات المكلَّلة بكلِّ الوفاء والمحبة، التي نبعت من لسان بل من قلب القائد عماد، حيث قال: هي صورة الشَّيخ الذي جدَّ واجتهد في تربيتي،

(1) باسم صبحي عيسى (1965-2021م): وُلد بتاريخ 26/2/1965م في مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، لينشأ وسط عائلةٍ محافظة تعود أصولها لقرية حمامة المحتلة، تسلسل في حياته الدراسية بتفوق حتى حصل على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة القدس المفتوحة، ودرجة البكالوريوس في الدراسات العسكرية من الأكاديمية العسكرية في غزة، تزوج عام 1992م ورزقه الله بسبعة أبناء (3 أولاد و4 بنات)، بايع جماعة الإخوان المسلمين عام 1983م، وكان من أوائل العاملين في أجهزة الحركة وخاصة الأحداث، التحق بصفوف كتائب القسام عام 1992م ضمن مجموعة الشهيد القائد عماد عقل، وشارك في عملية مصعب بن عمير عام 1993م برفقة قائده عماد، والتي أدت لمقتل ثلاثة جنود صهاينة، رافق المهندس يحيى عياش في قطاع غزة وكان له دور بارز في تأمينه، ولذلك اقتحمت عناصر السلطة بيته وأصابته إصابة خطيرة، كان أحد رواد التصنيع العسكري منذ بداياته، وكان ممن لهم الفضل برفقة القائد عدنان الغول في تصنيع "الأنيرجا، والهاون، والياسين، والبنا، وبدر، والبتار"، إضافةً لبصمته في صناعة صواريخ القسام والتي آخرها صاروخ عياش 250، قادَ لواء غزة لأعوام عديدة، كان له الدور الأبرز في عملية إخفاء الجندي الصهيوني شاليط لمدة من الزمن، وتشكيل وحدة الظل، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 12/5/2021م مع ثلةٍ من مهندسي التصنيع العسكري خلال معركة سيف القدس.

من وضع فيَّ الأمل منذ نشأتي بين أكناف حركتي، هو القائد المجاهد فتحي حمَّاد "أبو مصعب"، ولا مجال لأن أسمح لهذه الصورة أن تسقط مني أو أتركها في أيِّ مكان، بل ترافقني في كلِّ صولاتي وتنقُّلاتي، حينها ما كان من المجاهد باسم إلا أن قال: ألا والله هنيئاً لك يا أبا مصعب هذا الأجر العظيم، والحبِّ العميق، والوفاء الكبير من شبلك سابقاً والقائد الحالي (عماد)".



الشهيد القائد / باسم عيسى

عقليَّةٌ أمنيَّةٌ جبَّارة

يقول محمَّد عثمان: "عندما كنتُ في مجموعة جهاز الأحداث التي يقودها عماد كنتُ أنام عنده كثيرًا على سطح منزله، وكان عماد حينها لم يتعدَّ السَّبعة عشر عامًا، ومن شدَّة دهائه الأمني أنَّه لم يسبق لجنود الاحتلال أن أمسكوا به يومًا، حيث إنَّه كان يعرف حركتهم في الليل قبل مداهمة منزله بطريقةٍ بسيطةٍ جدًّا... كانت من عادة المخيَّمات أنَّ الأضواء تكون خافتةً في الليل، فيصعب عليك السَّيرليلًا، فكان عماد يُحضر زجاجاتٍ بلاستيكيَّةً فارغةً ليملأها بحجارةٍ صغيرة، ويضعها في محيط منزله، فكان كلَّما مرَّت دوريَّةٌ للجنود، يصطدمون بالزُّجاجات البلاستيكيَّة فتُصدر صوتًا عاليًا يتنبَّه له عماد، فيخرج من المنزل على الفور فلا يستطيعون الإمساك به!".

رابعاً: في ظلال حركة المقاومة الإسلامية حماس

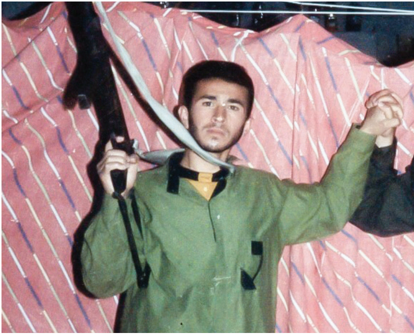
حياته بين أكناف المساجد:

عُرف عن والد عماد التزامه الدِّيني، وارتياده المستمر لمسجد النُّور، حيث كان مؤذِّنه الذي يجمع النَّاس للصَّلاة، فتأثَّر به أبناؤه، وعبد الفتَّاح على وجه الخصوص، ما أتاح لعماد بيئةً دينيَّةً في عائلةٍ مُمتدَّةِ الالتزام.

بتردُّدِه إلى مسجد النُّور، انفتحت روحه على موائد القرآن الكريم وحِلَق العلم الشَّرعي، فأعطته هذه المرحلة فرصة تكوين علاقاتٍ جيِّدةٍ مع أصدقاء ملتزمين، أمثال المجاهدَين "صلاح ومحمَّد" عثمان، وآخرين.

وبالرَّغم من أنَّ عماد لم يتجاوز السَّادسة عشرة من عمره؛ إلَّا أنَّه كان مُتفنِّنًا في استقطاب الشَّباب، وبثِّ روح الدَّعوة وتعاليم الإسلام في أذهانهم، فقد كان لدى أحد أصدقائه تلفازٌ ملوَّن، وجهاز عرض فيديو، فيجلب بمساعدة أصحابه أشرطةً منوَّعةً لعمر المختار، فيجمع الأشبال والشَّباب للتَّأثير فيهم.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان لعماد الدَّور الأبرز في استقطاب عشرات الشَّباب من معسكر جباليا، وكان يحرص على النَّشء الجديد؛ لأنَّه كان يرى المستقبل في أعينهم، وكان من ضمن الشَّباب الذين تمَّ التزامهم على يد عماد، المجاهدون: "محمَّد عثمان، وصلاح عثمان، وفهد زقزوق، وغيرهم..."



الشهيد القائد / عماد عقل

ولعلَّ قدرته الكبيرة على استقطاب الشَّباب ودعوتهم، دفعت فهد زقزوق ليؤكِّد قائلًا: "لو أنَّ عماد استمرَّ على قيد الحياة لرأيت كلَّ شمال قطاع غزَّة يُصلِّي في ذلك الحين -ولكنَّ قدر الله نافذ".

يروي صلاح عثمان قصَّة التزامه وتعرُّفه على عماد، فيقول: "بدأت أتردَّد إلى مسجد النُّور، وكنت أرغب بتزكية روحي وثقافتي، فمررتُ بأحد الفتية، وسألته عن إحدى الكُتَيِّبات الدِّينيَّة، فقال لي: إنَّه عندي، واصطحبني إلى بيته وأعطاني إيّاه، وبعد مدَّة تبيَّن أنَّه عماد عقل، والحقيقة أنَّني وجدت ضالَّتي فيه، لقد كان قمَّةً في الأدب والأخلاق والحيويَّة، ومنذ ذلك الحين أصبح صديقي الذي لا أفارقه، ولم أفارقه إلَّا بعد عام 1992م إثر إصابتي واعتقال العدوِّ الصُّهيوني لي.

التحق عماد بأوَّل جلسةٍ تنظيميَّةٍ له في حركة حماس عام 1988م، وتربَّى على يد الشَّيخ عبد المعطي زقُّوت، ثُمَّ على يد الشَّيخ أحمد العمصِّي، ثُمَّ على يد شيخه فتحي حمَّاد "أبو مصعب"، الذي كان يُعِدُّه عماد المربِّي والقدوة، وقد بايع الحركة على يده، وانضم بفضله للعمل في جهاز مجد، ثُمَّ في جهاز الأحداث.

جهاز مجد ... وضابط الأمن

هو القوَّة الأمنيَّة الخاصَّة التَّابعة لجهاز الأمن[1] في حركة المقاومة الإسلاميَّة، والمعروف بمنظَّمة الجهاد والدَّعوة، شُكِل بإشراف الشَّيخ أحمد ياسين عام 1986م كردَّة فعلٍ على الهجمات الأمنيَّة، التي كان يُمارسها جهاز الشَّاباك الصُّهيوني ضدَّ أبناء الشَّعب الفلسطيني، مكلِّفاً المجاهد يحيى السِّنوار بقيادته، وعضويَّة كلٌّ من: "روحي مشتهى، وتوفيق أبو نعيم" وعددٍ من المجاهدين الآخرين الفاعلين، ويتلخَّص دور هذا الجهاز في الأمور التَّالية:

- حماية صفوف الحركة من اختراق العدو.
- رصد تحرُّكات الاحتلال الصُّهيوني من إدارةٍ عسكريَّةٍ ومدنيَّةٍ وقوَّات جيشه.
- جمع المعلومات عن ظواهر الفساد في المجتمع من عملاء، ومشبوهين، وتجَّار مخدِّرات ومُتعاطيها، واللصوص، وبيوت الحانات، وأوكار الفساد والإسقاط.
- نشر الوعي الأمنيِّ العام عبر إصدار البيانات والنَّشرات الأمنيَّة، والتي توضِّح الأخطار، وظواهر الفساد، وطُرق الإسقاط، وكيفيَّة مواجهة أساليب الأعداء.
- توزيع بيانات ومنشورات الحركة في جميع المناطق.
- العمل على تطوير وسائل العمل الأمنيِّ داخل الحركة[2].
- تنفيذ عمليات خطفٍ وتحقيقٍ وردعٍ لعدد من عملاء الاحتلال في قطاع غزَّة.

(1) **جهاز الأمن:** هو أحد الأجهزة الأساسية في حركة المقاومة الإسلامية، أسّسته قيادة الحركة في قطاع غزَّة عام 1981م بإشرافٍ مباشرٍ من الشيخ أحمد ياسين، الذي كلَّف الشيخ عبد الرحمن تمراز بتشكيله وقيادته، وقد ضمَّ عدداً من المجاهدين، منهم: الشيخ صلاح شحادة، ويحيى السنوار" وآخرين، تعرَّض لضربةٍ أمنيَّةٍ أدت لاعتقال جلِّ العاملين فيه، ليُعيد الشيخ أحمد ياسين تشكيله بعد خروجه من السجن عام 1985م كلجنةٍ أمنيَّةٍ بعضويَّة: "يحيى السنوار، وروحي مشتهى، وخالد الهندي".

(2) وثيقة خرجت من سجن النقب عام 1994م.

لم يكن التحاق العناصر بهذا الجهاز سهلًا؛ بل كان يضمُّ عددًا قليلًا من الشَّباب الأذكياء، وأصحاب الحسِّ الأمنيِّ العالي... فكيف التحق عماد بجهاز مجد؟

يذكر المجاهد أبو مصعب حمَّاد قصَّة تعرُّفه على عماد، وتجنيده ضمن جهاز مجد قائلًا: "في يومٍ من الأيَّام، وقبل بَدء الانتفاضة الأولى، كنتُ أسير في مظاهرةٍ شعبيَّةٍ ضدَّ العدوِّ الصُّهيوني، وبرفقتي الشَّيخ أحمد العمصِّي، وإذ بي أبصر شابًّا يمشي مِشيةً عنتريَّةً ورجوليَّةً قد جذبت انتباهي، حيث إنَّني كنت أبحث عن شبابٍ مثل ذلك؛ كي أضمُّهم لمنظَّمة الجهاد والدَّعوة (مجد)، فوخزتُ الشَّيخ أحمد العمصِّي، وسألتُه: هل تعرف هذا الشَّاب؟، فأجابني قائلًا: الله أكبر... أأنت لا تعرفه؟!!، فقلت له: لا أعرفه، فقال لي: إنَّه عماد عقل، وهو أحد أشبالي في المسجد، فقلتُ له: إنَّ هذا هو الشَّاب الذي أبحث عنه...

وبعد أن انتهت المظاهرة تواصل المجاهد أبو مصعب مع الشَّيخ أحمد؛ كي يُرسل له عماد، وقد تمَّ ذلك، فجلس معه أوَّل جلسةٍ والثَّانية؛ حتَّى تأكَّد بأنَّه هو المقصود، فقد وجد فيه صفات القوَّة والنَّشاط والحيويَّة والتَّقوى، وقوَّة الشَّخصيَّة والذَّكاء، وكلَّ الصِّفات التي كان يتمنَّاها القائد أن يبصرها في جنوده، ويستغرق الأيَّام والليالي بحثًا عن كلِّ شخصٍ يمتلكها، حتَّى وجد من تجسَّدت فيه هذه الصِّفات وهو عماد عقل.



القائد المجاهد / فتحي حماد

في ذلك الوقت كان المجاهد أبو مصعب يُشكِّل أُسرةً تنشيطيَّةً تحتضن شبابًا صغارًا في العمر، لكنَّهم رجالًا في التَّفكير والعمل، يؤهِّلهم لقيادة العمل في جهاز مجد بمعسكر جباليا، فيقول المجاهد أبو مصعب: "ابتدأتُ هذه الأسرة بعماد، وبدأتُ أرويه قضيَّة الأمن والعمل الجهادي، وإذ بي أجده من أكثر الشَّباب العطشى لهذا الأمر، فقد وقع ماؤنا على أرضٍ عطشى فتلقَّفتها، فأنبتت مجاهدًا كالنَّخل باسقًا، ضربَ جذوره في الأرض عميقًا، وفرد أجنحته بورقه الأخضر على كلِّ معسكر جباليا..."

أمَّا عن كيفيَّة تجنيد عماد ضمن صفوف جهاز مجد، ففي تلك المدَّة طُلب من المجاهد (أبو مصعب) -قائد جهاز مجد في معسكر جباليا- ترشيح عددٍ من الشَّباب للالتحاق بهذا الجهاز؛ من أجل إخضاعهم لاختبارٍ سرِّيٍّ -لا يعلم الخاضع له به-، يُقاس فيه مدى نجاحهم وفشلهم في تأدية المهمَّات، فما كان من المجاهد (أبو مصعب) إلَّا ورشَّح شابًّا واحدًا فقط، ألا وهو عماد عقل.

كان أبو مصعب متأكِّدًا من نجاحه بهذا الاختبار، وبأيِّ مهمَّةٍ تُوْكل إليه، فبدأ الاختبار وكانت المهمَّة المُلقاة على عاتق عماد أن يُمثِّل دور الفدائي، وهناك جواسيس يلاحقونه فيختطفونه، ثُمَّ يُحقِّقون معه، ويحاولون سحب معلوماتٍ منه، فإذا اعترف عن أيِّ معلومةٍ، فهذا يعني أنَّه فشل في الاختبار...

أرسل أبو مصعب لعماد أنَّه يريده الآن في بيته، فأتى مسرعًا ينتظر منه الأوامر، فقال له: "أنت سوف تحمل رسالةً بها سرٌّ خطيرٌ جدًّا ستوصلها لمسجد السَّلام بمنطقة جباليا البلد، ومن المؤكَّد أنَّه سوف يتابعك عددٌ من الجواسيس، فلا تسمح أن يأخذوا الرِّسالة منك، أو تسمح لنفسك بأن تُدلي لهم ولو معلومةً واحدة"، فردَّ عليه عماد ردَّ الواثق بالنَّجاح، قائلًا: "لا تقلق، سوف أُبيِّض وجهك".

وعن هذه اللحظة، يقول المجاهد أبو مصعب: "لقد جهَّزتُه، وتردَّدت هل أعطيه سكِّينًا أم لا، وفي النِّهاية امتنعتُ عن إعطائه إيَّاها؛ كي لا يطعن بها أحد الشُّبان الذين يمثِّلون دور الجواسيس فيقتل أحدهم، وأعطيته الرِّسالة بحذر، وأشرتُ عليه أن ينطلق على بركة الله".

انطلق عماد في طريقه، وعندما وصل مسجد السَّلام، كان المؤذِّن قد أذَّن لإحدى الصَّلوات، فجلس في إحدى أسطر المسجد ينتظر إقامتها، وبينما هو جالس، وإذ ببضعة شُبَّانٍ يرتدون ملابس غريبة، ويظهر الشَّرُّ على ملامحهم، فلفت هذا انتباهه، وأخذ يُمعن النَّظر بهم خِلسة، فرأوه وهو يبصرهم، فاتَّفق هؤلاء الشُّبَّان فيما بينهم على أن يُنفِّذوا عمليَّة خطفه فور خروجه من المسجد، وبينما كان عماد يخرج من المسجد، وإذ بسيَّارةٍ تأتي مسرعةً، وتقف أمامه، فأخذ ينظر إليها، وإذ بأحدهم يضع يده على رقبته ويُدخله في السَّيَّارة رغمًا عنه، وبدأوا يشتمونه، ويقولون له: "يا جاسوس...".

حينها خاف عماد على نفسه، وأخذ يُردِّد قائلًا: "لا إله إلا الله، عليها أحيا، وعليها أموت"، فأخذوا يضربونه وهو داخل السَّيَّارة حتَّى وصلوا إلى إحدى البيَّارات، فنزلوا فيها وقيَّدوه في إحدى الأشجار هناك، وقالوا له: "بعد قليل ستأتيك مجموعةٌ أخرى؛ كي تُحقِّق معك أيُّها الجاسوس"، وذهبوا من المكان، وعندما اطمئنَّ عماد من ذهابهم من المكان، أخذ يُحاول فكَّ وثاقه ويحرِّر نفسه؛ حتَّى نجح في ذلك، وانطلق مباشرةً إلى الشَّارع العام، فوجد شاحنةً قادمةً من بعيد، فأشار على سائقها بالتَّوقُّف، وعندما توقَّف السَّائق، قال له عماد: "أنا مخطوف، وأريدك أن تُعيدني إلى البيت"، -كانت ملابسُه مُتَّسخة، وقدماه عاريتين، حيث كانوا قد رموا حذاءه بعيدًا حينما كان في السَّيَّارة-، فقبِل السَّائق وأوصله حيث معسكر جباليا.

ما أن وصل عماد إلى معسكر جباليا بحالته المتدهورة وجسمه المنهك، وأقدامه المتورِّمة، لم يقبل أن يعود إلى بيته باكيًا يرجو الأمان بين أحضان أمِّه، بل أخذ يبحث عن قائده (أبو مصعب)؛ لُيخبره بما حدث معه، فذهب إلى بيته، ولكن لم يجده، فلم يتوقَّف عماد عن البحث، بل واستمر حتَّى وجده، وعندما رآه أبو مصعب بحالته هذه، قال له: "ما الذي حدث معك؟"، فقال عماد: "لقد حدث كذا وكذا -أخبره بما جرى معه-، فأنا متأسِّف جدًّا، وأنت يجب أن تأخذ كامل احتياطاتك، وافعل بي ما تشاء فأنا فشلت"، حينها اصطحبه أبو مصعب إلى بيته، وأخذ يُهدِّئ من روعه، ويطبِّب آلامه، وأعطاه حذاءً بدل الذي فقده؛ حتَّى يتمكَّن من العودة إلى بيته، دون أن يخبره بأنَّ هذا اختبار.

في ذلك الوقت كان المجاهد روحي مشتهى "أبو جمال"- المسؤول عن اختبار عماد- قد حضر إلى بيت المجاهد "أبو مصعب"، وقال لأبي مصعب: "ما هي أخبار شبلك؟"، فردَّ عليه أبو مصعب قائلًا: "ماذا فعلتم به؟، هل نجح أم فشل؟"، فلم يردَّ عليه أبو جمال إلَّا بقوله: "نسأل الله أن يحدث الذي هو خير".

في تلك اللحظة كان أبو مصعب قد أبصر في عيني أبو جمال بعض الرِّضا عن عماد، الذي قال: "أرسل إلى عماد واجعله يذهب إلى مكانٍ معيَّن، وأنا سأسير خلفه بالسَّيَّارة؛ كي أُشعره أنَّه مراقب"، فتمَّ ذلك، فحينما حان وقت المغرب أمر أبو مصعب عماد أن يذهب إلى مكانٍ معيَّن، فذهب، وبينما هو يسير في الشَّوارع المظلمة لفت انتباهه سيَّارة تتابعه وتراقبه من بعيد، فأخفى نفسه بين الشَّوارع الضَّيِّقة القريبة من منزله، وفي اليوم الثَّاني عاد للقائد أبي مصعب وأخبره، فقال له أبو مصعب: "أنت تواجه مجموعةً من الجواسيس فيجب أن تحذر وتنتبه لتحرُّكاتك".

وفي اليوم التَّالي طُلب من أحد الإخوة أن يُوصل رسالةً لعماد دون أن يشعر، فوضع أحد الشُّبَّان الرِّسالة في جيب عماد بينما كان يصلِّي، وبعد أن انتهى عماد من الصَّلاة، وضع يده في ورقةً في جيبه مكتوبٌ فيها "هذا هو الدَّرس الأوَّل فانتظر

الثَّاني"، حينها أخذ الرِّسالة، وذهب بسرعةٍ لشيخه أبي مصعب يخبره بما حدث، فقال له أبو مصعب: "هل رأيت أحدًا منهم في المرَّات الثَّلاث؟"، فقال عماد: "لقد رأيت واحدًا ذا عيونٍ خضراء"، فقال له أبو مصعب: "إذن ابحث عنه في كلِّ معسكر جباليا وحاول أن تجده.

بدأ عماد بالبحث عن هذا الرَّجل، ولكن دون جدوى، فقد غربل كُّل أرجاء معسكر جباليا، ولكن دون أن يجد هذا الرَّجل ذو العيون الخضراء، وذا المواصفات البدنيَّة نفسها، وبعد مرور عددٍ من السَّنوات، وبينما كان المجاهد أبو مصعب يقبع في سجون الاحتلال، وجد شابًّا ذا عيونٍ خضراء، فتذكَّر الرَّجل الذي أخبر عنه عماد، فنادى هذا الشَّاب، وسأله عن الحادثة، فقال له الشَّاب: "نعم أنا هو"، وكان هذا الشَّاب من مدينة الشِّجاعيَّة وليس من أيِّ ناحيةٍ من معسكر جباليا.

نجح عماد في اختباره الصَّعب القاسي، وأصبح ضابطَ أمنٍ في صفوف جهاز مجد، أحد أجهزة الحركة الإسلاميَّة في معسكر جباليا، ليعمل جنديًّا بعزيمته القويَّة، وروحه الجهاديَّة الإيمانيَّة العالية، تحت قيادة شيخه أبو مصعب حمَّاد.

جهاز الأحداث

بعد اندلاع انتفاضة الحجارة، وقع الاختيار على عماد؛ للعمل في جهاز الأحداث الذي شُكِّل مع بدايتها بقرارٍ من المكتب التَّنفيذي لحركة المقاومة الإسلامية حماس؛ بهدف الحفاظ على البوصلة الجماهيريَّة، وإبقاء جذوة الانتفاضة مشتعلة، ومجابهة جنود الاحتلال، وإيقاف مسلسلات الإهانة والظُّلم والخناق اليوميَّة التي كان يتسبَّب بها جنود الاحتلال ضدَّ سكَّان قطاع غزَّة.



اندلاع الانتفاضة

كان تضييق الخناق المُسلَّط على الأهالي في أشُدِّه، ولا يكاد يمرُّ يومٌ إلَّا ويُفرض الطَّوق الأمنِّيُّ عليهم، فلا أحد يستطيع الخروج من المنزل حتَّى لأعذار الولادة والمرض، فكان النَّاس يتسلَّلون من شارعٍ إلى شارع، ولولا أملهم الكبير بالشُّبَّان الملثَّمين الذين يطرقون جدران الطَّوق، ويطوفون في أزقَّة المخيَّمات، لكانت حياتهم أشقُّ من ذلك بكثير.

اندلعت الانتفاضة، وأخذت حركة حماس قرارًا باستخدام كلِّ السُّبل؛ لإشعالها وتطويرها من حراكٍ ثوريٍّ إلى عملٍ جهاديٍّ ثوريٍّ منظَّم، فأوعزت لجميع كوادرها العاملة بتفعيل جهازَي الصَّاعقة والأحداث، وأعطت الضُّوء الأخضر لتوسيع دائرة العمل، واستيعاب شبابٍ جدد من محاضن الدَّعوة.

ولأنَّ شرارة الانتفاضة الأولى اندلعت من مخيَّم جباليا، كانت الجهود والآمال منعقدةً عليه، فكان اجتماع القيادة في مسجد القطاطوة "الحقُّ حاليًا" بعشرين عنصرًا من عناصر الحركة الفاعلين، وكان على رأس الحضور الشَّيخ القائد نزار ريَّان[1]، والمجاهدان: "فتحي حمَّاد، وأحمد الغندور -أبو أنس-"، فيما يلتفُّ الإخوة حولهم، حينها كان عماد أصغر الحاضرين، وأقلَّهم بنيةً، يجلس مجاورًا لمربِّيه أبي مصعب، حيث لم يكن بهذه الفعاليَّة، ولم تكن لبناته العسكريَّة قد قويَت بعد! فقسَّموا شمال القطاع إلى أربع مجموعات، وكُلِّف عماد بقيادة المنطقة الغربيَّة من المعسكر.

---

(1) نزار عبد القادر ريَّان (**1959-2009م**): ولد بتاريخ 06 مارس 1959م بمخيم جباليا شمال قطاع غزة، وكان أحد أعلام الدعوة في مسجد الخلفاء الراشدين بالمخيم، سافر عام 1994م لجمهورية السودان، حاصلًا على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز، حاز على درجة الأستاذية عام 2004م من الجامعة الإسلامية، وكان أحد أبرز قادة حركة حماس، التحق بصفوف المجاهدين في كتائب القسام، فكان الداعية المجاهد، ومن بين العظماء الذي كانوا يجهزون الغزاة في سبيل الله، والذين كان من بينهم نجله إبراهيم، الذي أرسله والده في عملية استشهاديَّةٍ بإشراف كتائب القسام عام 2001م، كما وحوَّل مسجد الخلفاء الراشدين إلى قلعةٍ أهَّلت الاستشهاديين، كان أول من سنَّ سنة الجدار البشري الذي يحمي من خلاله بيوت المجاهدين من القصف الصهيوني، ارتقى إلى الله شهيدًا في اليوم الأول من عام 2009م برفقة زوجاته الأربعة وأبنائه الأحد عشر، بعد التفافهم حوله للشهادة معًا بعد تهديد جيش الاحتلال لهم.


الشهيد القائد / نزار ريان

فيما أُسديت مرجعيَّة الجهاز للأستاذ فتحي حمَّاد، والشَّيخ نزار ريَّان، قبل تأسيس جهاز الأحداث كان الجيش الصُّهيوني يعمل بحرِّيّةٍ تامَّةٍ في القطاع، وكذلك في تحرُّكاته اليوميَّة والدَّوريَّات العسكريَّة، فقد كانت توجد أرضٌ زراعيَّةٌ مقابل مدرسة الفالوجا، يأتيها جنود الدَّوريَّات الصُّهيونيَّة في الليل، وينامون بداخلها، دون أن تتمَّ مُضايقتهم ولو بحجرٍ واحد، في وقتٍ كانت فيه الحواجز العسكريَّة[1] تشلُّ حركة النَّاس.

لم تُفلح الاعتقالات والنَّفي والاستشهاد في الوصول إلى جميع عناصر مجموعة عماد عقل في جهاز الأحداث، ولكنَّ المجاهد (حرب الدِّقس) كان واحدًا ممَّن جنَّدهم المجاهد عماد، فيروي لنا قصَّة انضمامه للمجموعة قائلًا: "أذكر أنَّه في منتصف عام 1988م اُعتقلتُ لمدَّة ثمانية عشر يومًا، وبعد عودتي إلى البيت جاءني الأخ نبيل المبحوح، وقال لي: "أرسلني إليك عماد عقل "أبو حسين" طالبًا منك أن تأتي إلى شارع أبو شرار في منطقة الفالوجا، محضرًا معك رغيف خبز"، فذهبتُ على الفور، فوجدت الشَّباب منتشرين على طول الشَّارع، وفجأةً رأيت عماد، فسحبني إلى ممرٍّ ضيِّق، فقلت له: ماذا أفعل؟، فقال لي: ضع رغيف الخبز داخل ملابسك، وضع طرف النَّايلون على رأسك، فالتزمتُ بذلك، وتبعتُه إلى منتصف الشَّارع، وأصبح يدقُّ مسامير الباطون في الإسفلت، ثُمَّ انسحبنا للممرِّ الضَّيِّق وإذ بجيبٍ كبيرٍ من نوع بوريقطع الشَّارع، وفجأةً أُعيقت حركته من خلال المسامير، وإذ بصافرةٍ تصدر من إحدى الشَّوارع، فتنهمر الزُّجاجات الحارقة،

(1) **الحواجز العسكريَّة**: هي حواجز يقوم الجيش الصُّهيوني بوضعها في الطرقات لإعاقة حركة المارّين والقيام بحملات التفتيش والابتزاز.

والحجارة الثَّقيلة على الجيب، وفي غضون ثلاث دقائق لا ترى أثرًا لهؤلاء الشَّباب".

في غضون خمس دقائق، يرجع المُلثَّمون إلى أماكنهم الخاصَّة، ويظلُّ هذا الجيب محترقًا ينتظر وحدة النَّجدة الصُّهيونيَّة، لتجرَّه وتعالج مصابيه المرعوبين من الزُّجاجات (البدائيَّة) الحارقة "والسِّلاح في أيديهم"، أمَّا من حالفه الحظ، فيمضي مُترنِّحًا بعجلاته المعطوبة إلى أقرب نقطةٍ من نقاط الجيش المنتشرة في مناطق القطاع.

أعطى هذا الانتشار زخمًا جديدًا للانتفاضة، وأصبحت قوَّة الرَّدع الجماهيريَّة أقوى، ولم تعد دوريَّات الجيش تأخذ راحتها في الشَّوارع، وبذلك أدخل الشَّعبُ نفسه في مرحلةٍ نضاليَّةٍ جديدةٍ، أوجدت مساحةً حرَّةً للاجتهاد في العمل الأمنيِّ والعسكريِّ فيما بعد.

كان عماد يعي جيِّدًا أنَّ فعاليَّة هذه الانتفاضة من فعاليَّة أبناء الشَّعب، وإبقاء حسِّهم الثَّوريِّ والوطنيِّ والدِّينيِّ مُتَّقدًا في صدورهم، فظلَّ يمارس نشاطاته الدَّعويَّة بجانب النَّشاط الأمنيِّ والجماهيري، وأصبح جُلُّ أبناء الحارة يتردَّدون زُمَراً إلى الصَّلوات، ونُظِّم عددٌ منهم في جهاز الأحداث.

في غرفته القرميديَّة المُستقلَّة عن البيت، كان عماد يُخبِّئ عُلب البويا ومواد الكتابة والأقنعة والأسلحة البيضاء، وأعطى الإشارة لعناصر مجموعته بالذَّهاب إليها وقتما شاءوا، فكانوا يطرقون الباب في وجود عماد أو في غيابه، ويأخذون ما يريدون بكلِّ حرِّيَّة، وكذلك الأمر في كُلِّ مجموعات قطاع غزَّة، فقد كانت جدران قطاع غزَّة تنتظر إشارة القيادة لتتزيَّن بالعبارات الحماسيَّة، ورسائل التَّهديد للجيش وعملائه، ورسائل الاطمئنان للشَّعب المقهور!

وهكذا تميَّز عماد منذ بداية شبابه بالعمل الأمنيِّ والجماهيريِّ والدَّعوي، لتُشكِّل له تلك الخبرات طريقه نحو العمل العسكري، وقيادة إحدى أوائل المجموعات العسكريَّة التابعة لكتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام فيما بعد.

زارِع الشَّوك لن يجني الوُرود

لـم يسـتطع عماد ورفاقـه إكمـال عملهـم في جهـازي "الأحـداث ومجـد"، فقـد ازداد عددهـم، وتوسَّـعت رُقعـة تأثيرهـم، وجـاب لثامهـم أرجـاء قطـاع غـزَّة، وأصبحت قدرتهـم عاليـةً علـى المناورة وإيجاد وسـائل قتاليَّة، وفي عـام 1988م نفَّذت المجموعات العسـكرية في شـمال القطـاع عـدداً من الهجمـات التفجيرية ضد دوريـاتٍ صهيونية، باسـتخدام عبـواتٍ مملـوءةٍ بمـادة "البـارود"، فجُـنَّ جنـون الكيـان الصهيوني؛ ما اضطـرَّ حكومـة الاحتلال لتوجيـه ضربـةٍ أمنيَّـةٍ اسـتهدفت أعضـاء المكتـب التنفيـذي عـدا الشـيخ أحمـد ياسـين، كان مـن بينهـم قائـد العمـل العسـكري صـلاح شـحادة[1] وعـدداً مـن مجاهديـه في شـمال القطـاع، ووزَّعتهـم في سـجونها، فكانـت ضربـةً قويَّـة، ظـنَّ النَّـاس حينهـا أنَّ شـعلة الانتفاضـة قـد أُخمـدت.



الشهيد القائد / صلاح شحادة

(1) صـلاح الدِّيـن مصطفـى محمَّـد شـحادة (1953-2002م): يُكـنَّى (أبـو مصطفـى)، ولـد بتاريـخ 4/2/1953م في مخيَّـم الشـاطئ غـرب مدينـة غـزة، تعـود أصـول عائلتـه لبلـدة يافـا، حصـل علـى درجـة البكالوريـوس في الخدمـة الاجتماعيَّـة مـن إحـدى جامعـات مصـر، عمـل مفتِّشـاً للشُّـؤون الاجتماعيَـة في العريـش، وفي عام 1982م اسـتقال وعمـل في دائـرة شـؤون الطُّـلَّاب في الجامعـة الإسـلاميَّة بغـزَّة، وتـزوَّج عـام 1976م، وأصبـح أبـاً لسـتِّ بنـات، أسَّـس الجهـاز العسـكريَّ الأوَّل لحركـة حمـاس "المجاهـدون الفلسـطينيُّون"، وتمكَّـن مـن ترميـم كتائـب القسَّـام عـام 2000م بعـد ضربـات السُّـلطة الفلسـطينيَّة واعتقـال جـلِّ المجاهدين عـام 1996م، اعتقلتـه قـوَّات الاحتلال مراتٍ متعـددة، تعرَّض خلالهـا لأقـسى صنـوف التَّعذيـب، سُـجن في آخرهـا 10 سـنوات، ارتقـى إلى الله شـهيداً بتاريـخ 22/7/2002 برفقـة زوجتـه وابنتـه، ومسـاعده القائـد زاهـر نصَّـار، و12 آخريـن، وإصابة 150 شـخصاً، إثر المجزرة البشـعة التي نفَّذها سـلاح الجـوِّ الصُّهيوني.

كان عماد أصغر المُعتقلين آنذاك، ليجد لائحةَ اتِّهامٍ عريضةً بانتظاره، وحُكمًا بالسَّجن ثمانية عشر شهرًا بمسوِّغ الانضمام لحركة حماس، وتشكيل مجموعاتٍ في جهاز الأحداث، والعمل في جهاز أمن حماس، ليترك قيادة المجموعة لصديقه ورفيق دربه المجاهد صلاح عثمان.



معسكر الاعتقال، غزة، 1988

حينها لم يمرَّ شهران على إعلان نتائج الثَّانويَّة العامَّة، وحصول عماد على مرتبةٍ بين الأربعة الأوائل على مستوى مدرسة بيت حانون، لقد كان لديه شغفٌ كبيرٌ لدراسة الصَّيدلة في معهد الأمل بغزَّة، وذلك بجانب نشاطه الجهادي، فقد كان يعلم أنَّ المشاريع التَّحرُّريَّة بحاجةٍ لأشخاص شموليِّين، يطرقون أبواب العلم والتَّنمية والفكر والدِّين والرِّياضة والسِّياسة وغيرها؛ لكنَّ ظلمة السِّجن بدَّدت نور أحلامه في هذا المجال، وكان تاريخ الاعتقال 1989/5/27م يومًا فاصلًا في حياة عماد.

خامساً: غيابة السجن

إنَّ مِحن الحياة كثيرة، منها ما ينهش الجسم ويُبليه بالأمراض، ومنها ما يلوع القلب كالفقد، ومنها ما يرهق الرُّوح، كضيق العيش، ولكنَّ محنةً واحدةً يبتلي الله بها المستضعفين والمقهورين في هذا العالم، تجمع هذا كلَّه... هي محنة السِّجن.

لم يتعدَّ عماد السَّابعة عشر من عمره، ليجد نفسه في قبو التَّحقيق تحت سطوة جلَّاد الشَّاباك، كان ضبَّاط الشَّاباك يستخدمون أسماءً عربيَّة، كنوعٍ من التَّقارب النَّفسيِّ بينهم وبين الشُّبان الموقوفين لتهمة الانتماء للفصائل الفلسطينيَّة المقاوِمة، في محاولةٍ بائسةٍ لاستنطاقهم.

لم تكنْ الأساليب المُستخدمة في التَّعذيب مشروعةً لا في الشرائع السَّماويَّة ولا في الأعراف القانونيَّة والدَّوليَّة... أسلوبٌ واحدٌ من تلك الأساليب قد يجعلك تعيش باقي عمرك بإعاقةٍ جسديَّةٍ أو نفسيَّة.

شيئًا من الصُّعوبة تمَّت مواجهتها عندما سُئل عددٌ من الأسرى المحرَّرين عن تلك الأساليب، أحدهم يقول: "كان أسلوب الخنق دارجًا في أقبية التَّحقيق، فبمجرَّد أنْ ترفض التَّعاطي مع التُّهم الموجَّهة ضدَّك، سُرعان ما تجد أيدي السَّجَّانين مُلتفَّةً حول رقبتك، تشعر كأنَّك في حالة النَّزْع الأخير؛ ولكنَّ عناية الله كانت تُسلِّمنا في كلِّ مرَّة..."

أسيرٌ محرَّرٌ آخر يسرد قصَّته قائلاً: "حاول الضَّابط استمالتي للاعتراف على إخواني المجاهدين فرفضت؛ وإذ بي أصرخ صرخةً لم أصرخها من قبل... لقد أمسكوا بخصيتي، وبدأوا بالضَّغط عليها لمدَّة ثلاث ثوانٍ، ثُمَّ وجدتُ نفسي في عِداد المُغيَّبين؛ لكنَّهم كانوا يُوقظونني رغمًا عنِّي ويُعيدون نفس الأسلوب... ظروفٌ صعبةٌ لكنَّنا تعدَّيناها بفضل الله".

ويضيف: "كانوا يُحضرون الأسير في ذروة الشِّتاء ويُرغمونه على الاستحمام بماءٍ شديد البرودة، ولا يسمحون له بالخروج إلَّا بعد أن يُذوِّب صابونةً بطيئة الذَّوبان، يُعطونه إيَّاها في بداية الاستحمام. ولم ينته الأمر بعد! ففور فراغك من الاستحمام يُعرِّضونك لمروحةٍ سريعةٍ أشبه بمحرِّك مروحة الطَّائرة!، وإن لم تعترف فإنَّهم يُدخلونك في غرفةٍ معزولةٍ بمساحة جسدك المُمدَّد، ويُعرِّضونك أيَّامًا لأنبوبةٍ علويَّةٍ مثقوبةٍ تقطر ماءً باردًا كل دقيقةٍ على بطنك المُتعرِّي".

كانت تلك الظُّروف صعبةً للغاية على أصحاب القضيَّة؛ ولكنَّ إيمانهم بالله تعالى، و بأحقيَّتهم في هذه الأرض، ورفضهم لوسائل القهر والتَّركيع والتَّذويب، جعلَ تلك الأساليب هيِّنةً على نفوسهم؛ رغبةً إلى الله، ثُمَّ إلى الوطن السَّليب.

كابد عماد هذه الظُّروف القاسية ثمانية عشر شهرًا بصُحبة رفاقه وقادته من المجاهدين، وكان تفكيره الوحيد داخل السِّجن هو كيفيَّة الحصول على السِّلاح بعد الخروج من المُعتقل.

كان هو أصغر المعتقلين، وكان محبوبًا من قبل رفاق السِّجن، وممَّا يُذكر عنه أنَّه كان يستغلُّ أوقات الفورة[1] ليُمارس رياضة الرَّكض والعُقلة، وكذلك التَّمارين الرِّياضيَّة، التي كان يُعلِّمها للكبار.

وبالرَّغم من محنة السِّجن؛ إلَّا أنَّ عمادًا استثمر هذه الأوقات أيضًا في تشكيل المجموعات العسكريَّة، فتعرَّف على عددٍ من المجاهدين الذين أسَّسوا فيما بعد مجموعة الشُّهداء، والمجموعات المُسلَّحة قبل تأسيس الجناح العسكريِّ لحركة حماس. أحد هؤلاء هو المجاهد "أبو محمَّد"، الذي أصبح فيما بعد سائقًا خاصًّا له، يقول: "تعرَّفتُ على عماد من خلال السِّجن، وأصبحتْ بيننا علاقة أُخوَّة، فقابلتُه بعد خروجه من السِّجن، فقال لي: "لقد سمعتُ أنَّك تستطيع جلب السِّلاح لنا"، فتعرَّفتُ على مكانه، وبدأنا بجمع أيِّ شيءٍ يقع في أيدينا من السِّلاح".

سادساً: تشكيل الملامح الثَّوريَّة

رحلة البحث عن السِّلاح

انتهت محنة السِّجن، وخرج عماد حرًّا بعد أن قضى محكوميَّته، فكان يوم الثُّلاثاء السَّابع والعشرين من شهر مارس عام 1990م يومًا لن ينساه الكيان الصُّهيوني على مرِّ تاريخه، فهو اليوم الذي خرج فيه عماد من السِّجن، وأقسم ألَّا تلمس أيدي الصَّهاينة جسمه إلَّا شهيدًا.

عندما خرج عماد من السِّجن كان التَّغيُّر باديًا على ملامحه، وأصبحتَ لا تقرأ في عينيه سوى الجدِّيَّة والرَّغبة الجامحة في التَّغيير، وأنَّ الأقدام المُرتجفة التي

(1) الفورة: هي ساحة في السجن، يخرج إليها الأسرى من الغرف لمدة ساعة ونصف يرون فيها الشمس، يمارسون فيها هواياتهم الخاصة.

تسـيرفي شـوارع القطـاع لـن تردعهـا الزُّجاجـاتُ الحارقة، والحجـارة القرميديَّـة، ولكي تُحقِّق نتـائج فعَّالـة، يجـب أن تتطـوَّر الوسـائل بـين يديـك، ففَهِم عمـاد ذلك، وقـرَّر منذ الدَّقيقـة الأولى مـن الإفـراج عنـه أنْ يبـدأ رحلـة البحـث عن السِّـلاح...!

من أين أبدأ؟

في كلِّ ليلـةٍ وبعـد أن تجـفَّ أرض المـنزل مـن أقـدام المهنِّـئين بعودتـه، كان عمـاد يجلـس في حاكـورة بيتـه[1]؛ يبحـث عـن خيـوطٍ تدلُّـه علـى سـلاحٍ مـن بقايـا حـرب عـام 1967م أو المجموعـات الأولى لجمـع السِّـلاح الـتي أسَّسـها الشَّـيخ أحمد ياسـين بداية الثَّمانينيَّـات، والـتي شُـكِّلت بعد القرار بالبَدء بالعمل العسـكريِّ في قطاع غـزَّة، وقرَّروا تشـكيل مجموعـاتٍ عسـكريَّة، مـن مَهمَّاتها الإعداد وجمع السِّـلاح.

ظـنَّ عمـاد أنَّـه سـيجد شـيئًا مـن السِّـلاح المُخبَّـأ رغـم درايتـه باكتشـاف أمـر المجموعـة عـام 1984م؛ لكنَّ ذلـك لم يمنعه من البحث والسُّـؤال، ليصطدم باعتقال الصَّهاينـة للشَّـخص المسـئول عـن المخبأ وهـو الشَّـيخ "عبـد الكريـم الجعبير".

"مـاذا عـن الوحـدة (101) ؟ لا يمكـن أن يخطفـوا الجُنديَّـين (سـعدون وسسـبورتاس) دون سـلاح ؟! ... يجـب ألَّا تخلـو تلـك المجموعـة مـن السِّـلاح! "

يسأل عماد نفسه، محاولًا البحث عن جوابِه الثَّمين...

لكـن، كيـف سـيصل إلى أفـراد هـذه الوحـدة؟ وقائدُهـا قابعٌ في زنزانتـه، وبـاقي الأفـراد انتقلـوا إلى خـارج قطـاع غـزَّة؟

---

(1) الحاكورة: فناء المنزل.



الشهيد القائد / محمود المبحوح

وبعد مدةٍ من التَّفكير، قرَّر عماد الذَّهاب إلى شقيق الشَّهيد القائد محمود المبحوح[1]، العنصر الفعَّال في الوحدة (101)، فيروي لنا شقيقه ما دار بينه وبين عماد قائلًا: "في إحدى الليالي جاءني عماد عقل مُلثَّمًا إلى منزلي، وكنتُ أعرفه قبل ذلك من خلال عملنا في جهاز الأحداث؛ ولكنَّها المرَّة الأولى التي أراه بعد خروجه من السِّجن، لأوَّل وهلةٍ ظننتُ أنَّني أمام مطارَدٍ من الثُّوَّار الكبار، بادرني بجرأةٍ وحذر: "أريد التَّواصل مع الحج محمود!، نريد أيَّ قطعة سلاحٍ نبدأ بها مجموعتنا العسكريَّة"، فقلت له: ولكن أنت تعلم أنَّه خارج القطاع منذ عامين، ويصعب التَّواصل معه؛ ولكنِّي أعدك أن أجتهد في إيصال الرِّسالة".

يتابع شقيق القائد محمود: "حينها وجدتُ نفسي أمام مقاتلٍ عنيد، ليس كالمقاتلين الذين عرفتهم من قبل، لم أستطع التَّواصل مع أخي محمود؛ ولكنِّي قطعت على نفسي عهدًا أنْ أساعد عمادًا في الحصول على السِّلاح..."

(1) **محمود عبد الرؤوف المبحوح (1960–2010م)**: يُكنىّ (أبو العبد)، ولد في 14 فبراير 1960م بمخيم جباليا، نشأ في بيئة ملتزمة، عشق الرياضة وارتاد نادي خدمات جباليا، وحاز على المرتبة الأولى في كمال الأجسام على مستوى قطاع غزة، تزوج عام 1983م وله أربع أبناء، حاصل على دبلوم ميكانيكا وتفوق في المجال. التزم في جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل عدة مرات في سجون الصهاينة والسجون المصرية، بتهمة حيازة السلاح ومقاومة الاحتلال. عمل في المجموعة العسكرية 101 التي أسسها القائد محمود الشراتحة، وكان المبحوح المسؤول عن خطف الجنديين الصهيونيين (إيلان سعدون وآفي ساسبورتس) وقتلهما، وبعد انكشاف المجموعة نهاية عام 1989م، غادر قطاع غزة إلى مصر ثم ليبيا، ثم استقر في سوريا، واستمر بالعمل العسكري ضمن القسّام هناك. في ليلة 19 يناير 2010م، نفّذ الموساد عمليةً في أحد فنادق دبي بالإمارات استهدفت الشهيد وأدت لارتقائه.

المثَّقف المُشتبك!

لم ينس عماد رسالته الأولى، رسالة الدَّعوة إلى الله، فقد كان يعلم أنَّ الأعمال الثَّوريَّة بحاجةٍ لرجالٍ ثوريِّين مُؤصَّلين على حبِّ الله و الأوطان، وكان يعلم أنَّ العقل والبدن والفكر هي المحرِّكات الأساسيَّة للشَّخصيَّات النَّاجحة؛ فممَّا لا ينساه المجاهد فهد زقزوق لحظات تعرُّفه على عماد: "كان لي صديق طفولةٍ يُدعى حاتم أبو وادي، وهو أحد المجاهدين الأوائل بمجموعات الأحداث، فقال لي يومها: هناك شابٌّ من حيِّنا خرج من السِّجن، فما رأيك أن نزوره؟، كان ذلك الشَّاب هو عماد عقل، وقد سُجن سنةً ونصفًا في النَّقب، فذهبنا وما أن وصلنا على مقربةٍ من بيته، وإذ بي أرى شابًّا أبيض البشرة، قصير القامة، لحيته كثَّة، وبها بعض الفراغات، ووجهه دائمًا مبتسم، جالساً في شارع بيته، وقد كان قبلها بساعةٍ أو ساعتين قد عاد من سجن النَّقب، فسلَّمنا عليه واطمأنَّنا عليه، وكعادة أيِّ زائرٍ قمنا بالزِّيارة؛ ولكنَّ عماد لم يشأ أنْ يتركنا، فأصبح يتواصل معنا يومًا بعد يوم، يريد أن يجلس معنا، وبعد إلحاحه ذهبنا لنزوره، فبدأ يطمئنُّ علينا، ويُناقشنا في مفاهيم العبادة والفكر الجهاديِّ و التَّنظيمي".

ويتابع زقزوق: "دخلت تلك الجلسات قلوبنا وصرنا نتردَّد إليه ونقاشاتنا لا تنتهي، كنتُ أرى أمامي مُفكِّرًا شابًّا، يحمل على كاهله عبئًا كبيرًا، لأوَّل وهلةٍ تظنُّه قد هضم مئات الكتب، ترى بداخله انجذابًا رهيبًا نحو قضيَّته، لقد كان لمَّاحًا بما يكفي لجذبنا واستقراء تفكيرنا، فقد كان يعلم أنَّنا مُتردِّدون في الانضمام إلى حركة حماس في البداية، فأصبح يُفنِّد لنا الأفكار التَّنظيميَّة – دون أن يُبخِّس من جهد أيِّ تنظيم – فوجدتُ فيه مسحةَ التَّسامح رغم عنفوانه... لا يمكن لي أن أنسى كرمه، فقد كان كريمًا فِعلًا في كلِّ مرَّةٍ نزوره. تعدَّدت جلساتنا، وأصبحت تربطنا علاقة صداقةٍ ومحبَّة، وفي ذات الأيَّام كنَّا نمشي في زُقاق مخيَّم جباليا، فبادرنا عماد: "آهٍ يا شباب... ألم تأخذوا قراركم بعد؟" فنظر إليَّ حاتم، فقلت لعماد: ننضمُّ بشرطٍ واحد! فقال لي: "وما هو؟" فقلت له: "أن تبلِّغنا بأيِّ تحرُّكٍ عسكريٍّ قادم، ونكون أوَّل من يلتحق به!" فابتسم عماد، وقال لنا: لكم ذلك!"

لقمة العيش المرَّة

ما بين انهماكه في تفعيل الانتفاضة الشَّعبيَّة من خلال أجهزتها العاملة، لم يكن يغفل حاجة أهله للمال، فعمل تارةً في مهنة الدِّهان، وتارةً داخل الأرض المُحتلَّة، وتارةً أخرى في مصانع الحمضيَّات برفقة جيرانه آل عثمان، يقول المجاهد محمَّد عثمان: "كنَّا عندما يأتي الصَّيف نقضي نهارنا شرق الشجاعية حيث المناطق المحتلة التي سميت "ناحل عوز" لنقطف الخُضار، ونُحصِّل بعض المال، ذلك المال الذي كنَّا نُسرُّ به كثيرًا رغم قلَّته، وتزداد مسرَّتنا عندما نضعه بين يدي والدَينا، كنَّا نفعل ذلك دومًا، وهكذا كان يفعل عماد في كلِّ مرَّةٍ يتحصَّل فيها على المال".



الشهيد القائد / عماد عقل

بعد أن خرج عماد من السِّجن أُتيحت له فرصة العمل في مخرطةٍ للحديد، يُسمُّونها أصحابها بـ "مخرطة المجاهدين"... فما قصة هذه المخرطة؟ وما علاقتها برصاصات عماد وخلايا القسَّام الأولى؟ وما دورها تحديدًا؟

المخرطة

بعض النَّاس يُسخِّر الله على أيديهم مشاريعَ خير، تكون انطلاقًا لأصحاب الأفكار النَّقيَّة، كانت تلك مخرطة المجاهدين، فهي مخرطةٌ بسيطةٌ كشراكةٍ بين المجاهد بسيم الكرد وأحد العمَّال، فيها ماكينةٌ أو ماكينتان، موجودةٌ في شمال القطاع، كانت تقوم بخدمات الحدادة، وقصِّ الحديد، وتركيب الأبواب الحديديَّة.

بدأت المخرطة تكبر وتكبر، وأصبح يعمل فيها عددٌ من الشُّبَّان، أمثال: تيتو مسعود[1] وعماد عقل ومحمَّد عثمان وإخوة آخرين يزيد عددهم عن العشرة، كانت حياتهم منفتحةً على بعضها في المجال الحركي، ففي ذلك الوقت كان من توجد لديه أسرةٌ تنظيميَّة يجب أن يذهب لحضورها، ومطلوبٌ منه أن يُعوِّض ساعات غيابه عن المخرطة، فكان العمل في الحركة وفي المخرطة جميلًا، وقد كان الشَّباب مسرورين بهذا العمل إلى حدٍّ كبير.



الشهيد القائد /تيتو مسعود

كانت المخرطة مركزًا يتجمَّع الشَّباب الفاعلون من خلالها، ويتحصَّلون على ما يسدُّ رمقهم واحتياجات عوائلهم، ويُجرون من خلالها تجاربَ التَّصنيع الأولى من تنظيف الرَّصاص وصناعة العبوَّات اليدويَّة والأسلحة البدائيَّة، وكواتم الصَّوت فيما بعد؛ فكان لها الدَّور الفاعل في احتضان مجموعة الشُّهداء، تلك المجموعة التي برز عماد من خلالها.

(1) **تيتو محمد مسعود (1967-2003م)**: يُكنَى (أبو عبيدة)، ولد بتاريخ 8/4/1967م في مخيم جباليا، نشأ في أكناف أسرةٍ ملتزمة، تعود أصولها لبلدة دير سنيد المحتلة، شارك في أحداث الانتفاضة وانضم في جهاز الأحداث، ثم مجموعات الردع عام 1990م، اعتقله الاحتلال ثلاث مرات، وأجهزة السلطة مرة واحدة، ألتحق بكتائب القسام عام 1987م نفّذ عملية بطولية برفقة عددٍ من المجاهدين عبر شنِّه هجوماً على دورية راجلة على الخط الشرقي، موقعاً قتيلين وإصابة آخرين، وكان أحد مهندسي القنابل والعبوات وصواريخ القسام الأولى، استشهد بتاريخ 11/6/2003م مع القائد المجاهد سهيل أبو نحل، إثر استهداف طائرات الاحتلال سيارةً كانا يستقلانها قريباً من مدخل حي الشجاعية.

الفصل الثاني

إطلالةٌ جهاديَّة
وبراعةٌ عماديَّة

أوّلاً: العقيدة الجهاديّة وشغف النَّفير

مجموعة الشُّهداء

بعد أن خرج عماد من السِّجن وجد قاعدة العمل الجهاديّ قد ازدادت خصوبةً بنشوء جيلٍ جديد، وخروج عددٍ كبيرٍ من قادة العمل الإسلاميّ من السُّجون، ما هيَّأ له فرصة الانضمام إلى جهازي الأحداث والصَّاعقة من جديد.

عاد عماد على رأس مجموعته في جهاز الأحداث، وكانت مجموعته من أكثر المجموعات فعاليَّة، حيث كانت تتعامل بنهج "اللا هوادة" مع قوَّات الاحتلال... وممَّا يُسجله التَّاريخ هو وجود كتاباتٍ حماسيَّةٍ بخطِّ عماد عقل موجودةٌ إلى يومنا هذا على جدران سوق الفالوجا الشَّعبي، كان يستخدمها المجاهدون في إيصال رسائلهم للشَّعب أو لجنود الاحتلال أو عملائهم، جملةٌ واحدةٌ على حيطان المخيَّم كانت كفيلةً بشلِّ الحركة فيه، وإغلاق المحال التِّجاريَّة، وإعلان الإضراب العام؛ رفضًا لسياسات الاحتلال التَّعسُّفيَّة بحقِّ اللاجئين.

كان عماد في منزله، وذلك عندما طرقوا بابه ليلًا في ظلِّ وضعٍ أمنيٍّ صعب، ينادون بخفَّة: عماد، عماد... خرجت الأمُّ لِتَرَى من بالباب، فوجدت مجدي حمَّاد[1] وابن عمِّه بشير "صديقَي عماد".

---

(1) **مجدي أحمد محمد حمّاد (1965-2014م):** ولد بتاريخ 20 مارس 1965م، تعود أصوله لبلدته الأصليّة المحتلّة بربرة، التحق بصفوف الجماعة الإسلاميّة في الثّمانينات، وكان له نشاطٌ واضح في الأجهزة الامنيّة والعسكرية التّابعة للحركة، انضمّ لصفوف العمل العسكري ما قبل تأسيس الكتائب بقليل، وقام بتأسيس مجموعة الشّهداء العسكريّة الّتي كان القائد عماد عقل أحد أفرادها، تمّ اعتقال شهيدنا مجدي مرّتين من قبل قوّات الاحتلال، وقد حكمت عليه المحاكم الصّهيونية في الاعتقال الثّاني ستّ مؤبّدات وثلاثين عاماً، ليتنسّم الحرّية بعد عشرين عاماً من الاعتقال عبر صفقة وفاء الأحرار الّتي نفّذتها كتائب القسّام عام 2011م، وعلى إثر وعكاتٍ صحّيّةٍ متعدّدة قد أصابته خلال فترة تواجده في السّجون كان الصّهاينة قد أهملوا علاجها وكانوا يعطونه الدّواء الخاطئ لمدة أربع سنواتٍ متواصلة، خرج من السّجن مكتشفاً أنّه مريضٌ بالقلب، لتبدأ معاناته حتّى ارتقى إلى الله شهيداً على إثر هذا المرض بتاريخ 19 مارس 2014م.

ففي وقتٍ سابق حدث لقاءٌ في سجن النقب، جمع المجاهدين (ياسر النمروطي[1]، ومجدي حمَّاد) على إثر حملة اعتقالاتٍ جرت عام 1990م، اتَّفقا خلاله على البَدء بتشكيل مجموعاتٍ عسكريَّةٍ فور خروج المجاهد مجدي من المعتقل، وكان له ذلك بعد أن كان إطلاق سراحه وتشاوره مع أخيه وقائده فتحي حمَّاد خلال زيارته في سجن غزة المركزي الذي يقبع فيه، دالًّا إياه على المجاهد عماد عقل ليكون أحد أفراد هذه المجموعة.



الشهيد القائد / مجدي حماد

توجَّه مجدي إلى بشير، وبدأ بتشكيل المجموعة، وكانت المهمَّات واضحةً بشنِّ ضرباتٍ أمنيَّةٍ تستهدف أذرع الشَّاباك الصُّهيوني داخل قطاع غزَّة، ثُمَّ الانتقال للعمل العسكري ضدَّ الاحتلال.

(1) ياسر أحمد يوسف النمروطي (1964-1992م): ولد في 28 سبتمبر 1964م بمدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، تعود أصوله لبلدة صرفند العمار، التزم في مسجد الشافعي بخان يونس وأتم حفظ كتاب الله، ملتحقاً بعدها بجماعة الإخوان المسلمين، انضم لجهاز أمن الدعوة عام 1986م على يد القائد يحيى السنوار، ثم عمل في الجهاز العسكري "المجاهدون الفلسطينيون". قاد إحدى المجموعات في جهاز الأحداث، وفي عام 1990 التحق بصفوف جهاز الصاعقة وكُلف بقيادة منطقة المعسكر الغربي وحي الأمل بخان يونس، اعتقل لدى قوات الاحتلال مرتين (1988، 1989)، والتقى في معتقله بصديقه القائد مجدي حماد، وتعاهدا على استمرار العمل العسكري بعد الإفراج. فور خروجه انضم للعمل في مجموعة الشهداء العسكرية التي أسسها مجدي، وتم ضم المجموعة إلى كتائب القسام منذ تأسيسها عام 1992م. نشط في العمل العسكري حتى تمت مطاردته، ويذكر له الفضل في تجنيد القائد جميل وادي والقائد عوض سلمي وغيرهم. كلفه إخوانه بـ(القائد العام الأول لكتائب القسام)، وشهدت فترة قيادته تنفيذ العديد من العمليات ضد قوات الاحتلال، أبرزها: (قتل قائد الشرطة في عملية الشيخ عجلين، وقتل ديفيد كوهين في مدينة بيت لاهيا، ومقتل ثلاث صهاينة في عملية طعن في مصنع كارني). وارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 15 يوليو 1992م، في اشتباك مع قوات كبيرة من جيش الاحتلال حاصرت منطقة تحصن بها في حي الزيتون بمدينة غزة.

دخل الإخوة "مجدي وبشير" منزل عماد، وكانت قد مرَّت عليهم فترةٌ لم يروا بعضهم فيها، فأخذاه بالعناق، قائلًا له مجدي: "أرسلني إليك أخي فتحي أبو مصعب؛ لتجنيدك في مجموعة الشُّهداء، فما رأيك؟". لأوَّل وهلة كان التَّوجُّس باديًا على ملامح عماد؛ لكنَّه بادرَهما بسرعته المعهودة: "أبشرا! ما هي مهمَّتُنا؟". فقالا له: "العملاء والصَّهاينة"، وأشارا له بيديهما نحو العُنُق في إشارةٍ للإعدام"، فقال عماد: "أمعكم سلاح؟"، فقالا له: "معنا السِّلاح الأبيض[1]" فقال بحدَّة: "لا أعمل في عملٍ عسكري إلَّا بوجود سلاح، نحن لسنا لقمةً سهلة!"



المجاهد / بشير حماد

في تلك اللحظة كان مجدي وبشير يتوقَّعان ردَّة الفعل هذه، ومُتيقِّنان أنَّ هذه غير نابعةٍ من جبنٍ منه؛ ولكن لحزمه ورغبته في تأسيس عملٍ منظَّمٍ وفعَّال، حيث كان يرى أنَّ أيَّ تحرُّكٍ عسكريٍّ يجب أن تكون بدايته السِّلاح. فقال له بشير: "نريدك معنا يا أبا حسين، وبإذن الله سنتمكَّن من إيجاد السِّلاح لاحقًا"، فردَّ عليه عماد قائلًا: "يا أخ بشير بإمكاني تنفيذ مهمَّات الرَّصد إلى أن يتوفَّر السِّلاح، هل هذا جيِّد؟" فقال له بشير: "على بركة الله..."



مجموعة الشُّهداء

(1) السِّلاح الأبيض: مصطلح عسكري يطلق على الأسلحة اليدوية ما دون السِّلاح، مثل السّكاكين والبلطات والجنازير.


مجموعة الشُّهداء

بدأ المجاهدون الثَّلاثة بالتَّحرُّك لتشكيل مجموعتهم العسكريَّة يقودهم المجاهد "مجدي" -مؤسِّس المجموعة-، فتعرَّفوا على طلال نصَّار والثُّلاثي محمَّد "محمَّد أبو عطايا، ومحمَّد حرز، ومحمَّد أبو عايش"، ثُمَّ باتِّساع أعمالهم العسكريَّة بدأ يتوافد إليهم أعضاء جدد أمثال المجاهد خالد المغيِّر.

لم يكن تشكيل مجموعة الشُّهداء في بداية عام 1991م بالأمر السَّهل، فقد كان الباعث على تشكيلها الإيذان ببَدء العمل المُسلَّح ضدَّ العدوِّ الصُّهيوني وعملائه في القطاع، وذلك من خلال عددٍ من المجاهدين.

أوَّل ظهورٍ لاسم "الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام"

("مجموعة الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام" تعلن عن قتل العملاء... بعد أن ثبت تورُّطهم في دماء شعبنا وتواطؤهم مع جيش الاحتلال الصُّهيوني)

كان ذلك أوَّل مرَّةٍ يظهر فيها هذا الاسم على جدران قطاع غزَّة، بعد أن تمَّ إطلاقه على اسم مجموعة رفح، وذلك بعد أن تمكَّنت من قتل مجموعةٍ من العملاء، كان ذلك دون أنْ يُعرف أحدٌ أنَّها تتبع لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، وذلك قبل تأسيس كتائب القسَّام عام 1992م.

بسبب الاعتقالات والظُّروف الأمنيَّة المعقَّدة، كان القرار بتشكيل مجموعاتٍ عسكريَّة عام 1990م في مناطق متنوِّعةٍ من قطاع غزَّة، وبشكلٍ غير منظَّم، حتَّى تُدار بشكلٍ ميدانِّيٍّ خيطيٍّ يصعب كشفه، في تلك المدَّة وحتَّى نهاية عام 1991م برزت عدَّة مجموعاتٍ عسكريَّةٍ منفردةٍ في أنحاء قطاع غزَّة بجانب مجموعة الشُّهداء في الشَّمال وغزَّة، مثل: مجموعة الشَّاطئ، ومجموعات الوسطى، ومجموعة رفح، ومجموعة خان يونس.

وكانت ترتكّز جُلُّ أعمالها في البداية على ملاحقة العملاء والمشبوهين أخلاقيًّا، فكان لكلِّ مجموعةٍ بصمتها في العمل العسكريِّ وكذلك الأمني.

الاجتماع الأوَّل والقرار الأوَّل

الكلُّ يعلم أنَّ تشكيل مجموعةٍ عسكريَّةٍ بهذه السِّرِّيَّة في ظلِّ الظُّروف الأمنيَّة والعسكريَّة المشدَّدة أمرٌ شاق؛ لكنَّ ذلك لم ينل من عزيمة المجاهدين الثَّلاثة "مجدي، وبشير، وعماد"، فتواصلوا مع قيادة الحركة، وطرحوا لهم بعض الأسماء، وأصبحت أسماء الشَّباب تُتداول على مائدة الكشف الأمنيِّ والدَّعويِّ بين قيادة الحركة وقيادة المجموعة.

أمَّا تربيط خيوط المجموعة، فلها قصَّةٌ ذكيَّةٌ يرويها المجاهد محمَّد أبو عايش: "كنت أُلحُّ على إخواني في قيادة الدَّعوة والحركة لإلحاقي بعملٍ عسكريٍّ ضدَّ الاحتلال وأعوانه، وكنتُ أتحسَّس كلَّ عملٍ عسكري، فلم أغفل عن أيِّ حراكٍ هنا أو هناك، فمرَّت أيَّام وأشهرٌ عديدةٌ دون أن تصلني الإشارة... لقد كان الانتظار صعبًا، ولكنَّ تفرُّغي للعمل الدَّعوي والانشغال بالعبادة، كانا يُخفِّفان عنِّي وطأة الانتظار، وبينما انتهيتُ من صلاة الفريضة في مسجد اليرموك وإذ بأحد الإخوة يتَّجه نحوي بذكاء، ويضع يده في جيبي!، لأوَّل وهلة ارتعشتْ، لكنَّني بقيتُ في مكاني كأنَّ شيئًا لم يكن، ثُمَّ انطلقتُ إلى منزلي، وضعتُ يدي في جيبي، وإذ بالرِّسالة: "هناك أناسٌ يريدون أن يَرَوْك في المكان الفلاني، ستجدهم في سيَّارةٍ مفتوحة الباب الأيسر، اُدخُل واستمع!".

"ارتياحٌ وريبةٌ وإقدامٌ وحذر، هكذا كانت حالتي عندما توجَّهت إلى المكان الموصوف؛ لكنَّني ضبطتُ نفسي، واتَّجهت إلى المكان المحدَّد، فلمحتُ السَّيَّارة، ودخلتُها على الفور، وبدأ الحوار: كيف حالك أبا يوسف؟ فأجابه: الحمد لله، فقال له أنا أخوك أبو مصعب، ومعي رسالةٌ لك، فأجابه أهلًا وسهلًا".

"... ودار الحديث دورَتَه، وتحدَّث الأخ بمقدِّماتٍ كثيرة، ثُمَّ مدَّ يده إلى جيبي، وقال لي: "هذه الورقة موضَّحٌ فيها كلَّ شيء، ثُمَّ رَبَتَ على كتفي، وهمس في أُذُنِي:

"يا أبا يُوسُف هم طريقان: الحياة الرَّغيدة مقابل الذُّلّ والاستسلام، أو الدَّرب الصَّعب مقابل العِزَّة والتَّحرير والسِّيادة! بإمكانك أنْ تقرأ الورقة فتحرقَها وتُدير ظهرك للدَّرب الصَّعب، أو أنْ تقرأها ثُمَّ تُقابلنا في المكان الفلاني!".

أضاف هذا النِّقاش أكوامًا من الأسئلة إلى ذهن محمَّد، الذي لم يجد ما يفكُّ استفهاماتها، فانطلق إلى منزله آملًا أنْ يجد في تلك الورقة ما يُزيح عن كاهله عبءَ التَّساؤل؛ فهل ستروي تلك الورقة ظمأه؟!

"إنَّها الصَّحراء... قاحلة! إنَّها الرِّيح... ملتفَّةٌ على أعناق المهجَّرين!

وإنَّنا الوحيدونَ في وجه الرِّيح، لا إمكاناتٍ، لا دعمٍ، لا نقودٍ، لا رجال؛

لكنَّنا النُّواة! النُّواةُ التي ستُلقيها عجلة الزَّمان، وتبذر على درب التَّحرير...

عملُنا عظيمٌ جدًّا، وأنت تُقاتل مكشوفًا من الخلف، مجابهًا من المقدِّمة، حسيرًا من العتاد إلَّا من عونِ الله.. فهل قبلت التَّحدِّي؟"

قرأها محمَّد بتمعُّن، ليعرف فيما بعد أنَّ هذا الأخ هو المجاهد بشير حمَّاد، وهكذا تجمَّعت خيوط المجموعة والتقوا في الاجتماع الأوَّل!

حضور الاجتماع

دقَّت ساعة الموعد، وحضر الجميع للمكان؛ ليجدوا مجدي وبشير حمَّاد بانتظارهم، فكان بذلك الاجتماع الأوَّل لمجموعة الشُّهداء؛ لكنَّ عمادًا لم يكن موجودًا لنفس السَّبب السَّابق. وضمَّ اللقاء كلًّا من: محمَّد أبو عايش، ومحمَّد وأبو عطايا، ونهرو مسعود، ومجدي حمَّاد، وبشير حمَّاد.



بشير حماد، طلال نصار، نهرو مسعود

أمَّا فيما بعد فقد انضمَّ عماد عقل وطلال نصَّار ومحمَّد حرز وخالد المغيَّر لتكتمل بوجودهم أركان المجموعة!

كان القرار الأوَّل بتنفيذ عمليَّة تصفيةٍ للمدعو "المُشَلْوَح"، الذي يُعدُّ من أخطر عملاء الاحتلال في قطاع غزَّة، فهل نجحوا؟!

محاولة تصفية عميل: العمليَّة رقم (1)

المهمة	محاولة تصفية أخطر عميلٍ وتاجر مخدِّراتٍ في قطاع غزَّة
التاريخ	1991/5/2م
الزمان	07:30 ص
المكان	غزَّة - غرب بيت لاهيا
المنفذون	محمَّد أبو عطايا، وغسَّان أبو ندى، ومحمَّد أبو عايش، وبشير حمَّاد، ونهرو مسعود، ومجاهد آخر.
الحصيلة	هروب العميل واستشهاد المجاهد غسَّان أبو ندى

الرَّصد والتَّخطيط:

جاءت إشارة فريق الرَّصد واضحةً بخروج العميل من منزله السَّاعة 6:30 - 6:45 صباحًا، ووصوله إلى أحد الشَّوارع الضَّيِّقة المؤدِّية لشارع البحر قرب مغتصبة "دوغيت"، فكانت الخطَّة أنْ يستقلَّ المجاهدون سيَّارتَين، الأولى يوقفونها "بالعرض" في ذلك الشَّارع الضَّيِّق، فيتظاهر المجاهدون بتصليحها، وفي حال مرور العميل بسيَّارته تنقضُّ عليه السَّيَّارة الثَّانية من خلفه، فيصبح محاصرًا من الجهتين؛ لكنَّ السِّلاح ليس متوفِّرًا وليس بأيديهم سوى السِّلاح الأبيض، فماذا يفعلون؟

حينها جاء المجاهد بشير بفكرة تصنيع مسدَّساتٍ خشبيَّة، وطلائها بنفس شكل مسدَّس 9 ملم؛ في محاولةٍ لإيقاف العميل، فاستلم محمَّد أبو عطايا سكِّينه، وانتقل كلُّ مجاهدٍ للمكان المُخطَّط له.

التَّنفيذ:

مـرّت السَّـاعة السَّادسـة، وتهيَّأ المجاهدون لقـدوم العميل، وما هـي إلَّا دقائق، وإذ بـه يمـرُّ في نفـس الشَّـارع فوجدَه مغلقًـا؛ لوجود السَّـيَّارة المعطَّلة.

كانـت أهـمُّ جزئيَّـةٍ في الخطَّـة أن ينتظـر المجاهـدون نـزول العميـل مـن سـيَّارته؛ لـيرى سـبب وقـوف السَّـيَّارة؛ لكـنَّ الجُـرأة الزَّائـدة لـدى غسَّـان أبـو نـدى[1] دفعتـه للإسـراع إلى العميـل، والهجـوم عليـه بالأيـدي وهـو داخـل سـيَّارته، فكانـت المفاجـأة أنَّ العميـل كان قـد وضـع سـلاحه بـين رجليـه، وكان مسـتعدًّا لتشـغيل السَّـيَّارة، فضغـط علـى المحـرِّك، وسـار بسـرعةٍ هائلـة، واصطـدم بالسَّـيَّارة وأزاحهـا جانبًـا؛ في الوقـت نفسـه كان نصـف جسـم غسَّـان معلَّقًـا داخـل السَّـيَّارة، فأطلـق العميـل رصاصـةً علـى رأسـه، فارتقـى شـهيدًا علـى الفـور، وفـرَّ العميـل هاربًـا.



الشهيد المجاهد / غسان أبو ندى

ارتقـى غسَّـان أبـو نـدى، ليكـون بذلك الشَّـهيد الأول في كتائـب الشَّـهيد عـزِّ الدِّين القسَّـام.

مـا بعـد العمليَّـة: مـرَّت العمليَّـة، وكان وطؤهـا صعبًـا علـى رفـاق عمـاد، حيث إنَّ الخسـارة هـي استشـهاد أحـد أعضائهـا الفاعلـين؛ فقـرَّروا أنْ يضربـوا عمـلاء الاحتلال بيـدٍ مـن حديـد.

---

(1) **غسـان مصبـاح أبـو نـدى (1969-1991م):** وُلـد عـام 1969م في مخيـم جباليـا شـمال قطـاع غـزة، نشـأ في أكنـاف أسـرةٍ ملتزمـة مجاهـدة، تعـود أصولهـا لبلـدة بيـت جرجـا المحتلـة، مـا أن اقـترب مـن إنهـاء مرحلـة دراسـته الثانويـة حتـى اشـتعلت شـرارة الانتفاضـة عـام 1987م، فـكان المشـارك في فعالياتهـا، مكمـلاً دراسـته بعدهـا، وحاصـلاً علـى شـهادةٍ في العـلاج الطبيعـي، فعمـل بالمستشـفى الأهلـي العـربي بغـزة، التحـق بمجموعـات الـردع في جباليـا بقيـادة المجاهـد مجـدي حمـاد، ارتقـى إلى الله شـهيداً بتاريـخ 3/5/1991م خـلال محاولتـه وأفـراد مجموعتـه تصفيـة العميـل المشـلوح.

وشهدت الأيَّام التي تلت استشهاد غسَّان ردَّة فعلٍ عنيفةٍ على العملاء، حيث ملاحقة مجاهدي المجموعات العسكرية الفاعلة في قطاع غزَّة لعددٍ كبيرٍ منهم.

في غضون أيَّام قضت مجموعة الشُّهداء على أربعة عملاء من أخطر عملاء الاحتلال في قطاع غزَّة، وذلك في ليلة العيد، وتمَّ إلقاء جثثهم في بِركة الشَّيخ رضوان، وأنزلت بيانًا في صبيحة العيد، فكانت فرحة أهالي القطاع فرحتَين، فرحةٌ بالعيد، وفرحةٌ بتصفية العملاء الذين أرهقوا المجتمع الفلسطينيَّ بفسادهم.

ثانياً: إشعال الجذوة الجهاديَّة وانطلاق كتائب القسَّام

أوّل عرضٍ عسكري لكتائب القسَّام:

يقول صلاح عثمان: "أذكر أنَّه في الانطلاقة الرَّابعة لحركة حماس، جاءني عماد عقل، وقال لي: "الآن الآن يجب أن تنطلق لكلٍّ من مسجد: "أبو خوصة والعودة والخلفاء" وتحشد الجماهير لصلاة العصر في مسجد النُّور، فقلت له: لا مُتَّسعَ للوقت لدينا!، فقال لي: يجب أن تخرج الآن، فخرجتُ، ومعي أخوان، وحشدنا ما استطعنا من النَّاس وأبناء التَّنظيم، فصلَّى المئات في مسجد النُّور. كنَّا حينها على موعدٍ مع أوَّل عرضٍ لكتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، وذلك بتاريخ 14/12/1991م قبل الإعلان عن تأسيسها بشهر[1].



استعراض مجاهدي القسام باللثام لأول مرة

(1) تم الإعلان عن تأسيس كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام رسميًا بتاريخ 1/1/1992م.

خرج بضع عشراتٍ من المجاهدين، وهم يرتدون الملابس العسكريَّة، وبيدهم ما توفَّر من السِّلاح، وبدأ المجاهدون الأبطال يجوبون شوارع مخيَّم جباليا، وفي كلِّ شارعٍ يجتازونه تتعالى أصوات التَّكبير والتَّرحيب، والحلوى المتطايرة فوق الرُّؤوس، كانت المرَّة الأولى التي لا يخشى النَّاس فيها من السِّلاح، والمرَّة الأولى التي تتغيَّر فيها نظريَّة اللثام، فصاحب اللثام كان يعني للنَّاس "سارقًا أو تاجرَ مخدِّرات"، واليوم هم أمام ثلَّةٍ من المجاهدين الذين يعيشون بينهم، ويأكلون طعامَهم، ويمشون بأسواقهم.

سار المجاهدون، وتحقَّق الهدف من هذا المسير، وأصبحت حاضنةُ الرَّصاصات الصَّادقة تتَّسع في مجتمع غزَّة؛ ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، لقد كُشف أمر المجاهد مجدي حمَّاد "مؤسِّس مجموعة الشُّهداء"، فقد كانت بُنيته الجسمانيَّة مألوفةً لدى أبناء المخيَّم، فأصبحوا يُنادون: "ها هو مجدي"، فأمسى مجدي معروفًا.

رصاصات الانطلاقة ورأس الحاخام

إنَّ الأهداف الصَّعبة والطُّرق الشَّاقَّة تحتاج لبدايةٍ جديدة، وانطلاقةٍ لامعة؛ كي تخطف الأنظار، وتهزُّ أركان الأعداء والخصوم.

كانت تلك الأفكار تدور أمام أعينهم، فالمجموعات العسكريَّة في أرجاء القطاع جُمعت تحت قيادةٍ واحدة، وأصبحت الوُجهة واضحة، جناحٌ عسكريٌّ تساندُه أذرعٌ أمنيَّةٌ ودعويَّةٌ وجماهيريَّة! والأسلحة المتوفِّرة بات التَّنسيق بتداولها عاليًا، والأهداف العسكريَّة صِيغت في الأوراق، وعُلِّقت على حائط التَّخطيط؛ لكن كيف البدء؟!

مرَّ أسبوعان على العرض العسكريِّ الذي كُشف فيه أمر مجدي حمَّاد -قائد مجموعة الشُّهداء-، فكان القرار من قيادة حركة حماس توحيد جميع المجموعات العسكريَّة التَّابعة لها تحت غطاء جناحٍ عسكريٍّ سُمِّي فيما بعد بكتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.

أجمعت قيادة الحركة على اختيار المجاهد ياسر النَّمروطي؛ ليكون قائدًا عامًّا للجناح العسكري؛ فاستلم ياسر مَهمَّة قيادة الجناح، ووحَّد المجموعات، لتُطوى بذلك حِقبة المجموعات العسكريَّة المُتفرِّقة، فاتَّحدت مجموعات القمع برفح، ورصاصات القسَّام الأولى بالوسطى، والمطاردون الأشدَّاء بخان يونس، وزخم العمل العسكريِّ بغزة والشَّمال... كلُّها تحت جناحٍ واحدٍ هو كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام!

في صبيحة اليوم الأوَّل من يناير عام 1992م التقى المجاهدان (خميس عقل وسالم أبو معروف)؛ لينفِّذا تصفيةً جسديَّةً للحاخام دورون شورشان "مسؤول أمن التَّجمُّع الاستيطاني في المحافظة الوسطى..."



الحاخام القتيل / دورون شورشان

حيث استقلَّ المجاهدان سيَّارتهما، وانطلقا إلى حيث مكان هذا الحاخام قريباً من بوَّابة مُغتصبة كفاردروم وسط القطاع، وفور وصولهما أفرغ المجاهد سالم سبعَ رصاصاتٍ في رأسه من مسافة صفر، فخرَّ صريعًا، وعاد المجاهدان إلى رفاقهما بهذه الغنيمة الكبيرة.

وبعد أسبوعين من تنفيذ العمليَّة، وبالتَّحديد في الرَّابع عشر من شهر يناير عام 1992م، كانت المفاجأة، إذ استيقظ أهالي القطاع على بيان أوَّل عمليَّةٍ بعد انطلاقة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام وتبنِّيها لعمليَّة قتل الحاخام شورشان، وهي تعدُّ أوَّل عمليَّةٍ يتم تبنِّيها باسم كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.

ما بين المحنة والمنحة

تصدَّرت قضيَّة مجدي حمَّاد قائمة المهمَّات على طاولة القائد ياسر النَّمروطي، فينبغي أن يوجدوا حلًّا عاجلًا لها، فهو مؤسِّس مجموعة الشُّهداء، ومطاردتُه تعني مطاردة جميع عناصر المجموعة التي أصبحت جزءًا من القسَّام، ومسؤولةً عن الجناح العسكري في منطقتي وسط القطاع وشماله.

بعد العرض العسكري بيومٍ واحد، وبعد أن بدأت محنة المطاردة لمجدي، توجَّه المجاهد مجدي سرًّا للمجاهد بشير ليخبره برغبته في الخروج إلى خارج قطاع غزَّة؛ خشيةً من اكتشاف أمر باقي المجموعات، وطالبًا منه أن يرافقه للقاء القائد ياسر النَّمروطي؛ ليخبراه بذلك، فنسَّق القائد ياسر والمجاهد بشير لتهريبه عبر الحدود المصريَّة، وبرفقته المجاهد محسن العايدي من المنطقة الوسطى، فكان الوداع لهما، لينطلقا بعدها إلى وجهتهما، وفي ذلك الوقت، وصلت الإشارة لجميع مجاهدي كتائب القسَّام في شمال القطاع، ألَّا يبيتوا في منازلهم ريثما تصل الإشارة من مجدي حمَّاد أنَّه بخير، وأنَّ عمليَّة تأمين الخروج قد انتهت بسلام؛ لكن حدث ما لم يكن متوقَّعًا.

لقد تمَّ اعتقال مجدي حمَّاد على الحدود المصريَّة في كمينٍ صهيوني، ثُمَّ محاكمته 624 عامًا بتهمة حيازة السِّلاح وقتْل العملاء وتشكيل مجموعاتٍ عسكريَّة، فور انطلاق المجاهد مجدي إلى الحدود المصريَّة توجَّه المجاهد بشير إلى مأواه، ولم يكن يعلم بالخبر الذي ينتظره، وكان ذلك في الوقت الذي أرسلت له أمُّه رسالةً تشرح فيها رغبتها في رؤيته للضَّرورة، فردَّ عليها أن يلتقيا في منطقة السَّاحة بمدينة غزَّة، فجاءته والتقت بفلذة كبدها المُطارد، وقالت له: أعرف أنَّكم تخرجون لمقاتلة الصَّهاينة والعملاء، ومهما حاولتَ إخفاء ذلك، فأنا أمُّك وأعلم بذلك جيِّدًا، هل ما زلتم تبحثون عن السِّلاح؟، فقال لها: نعم، نعم، فمدَّت له سلَّةً فيها كيس، وقالت له: هذا سلاح خالك من بقايا حرب عام 1967م عندما قاتل في صفوف الفدائيِّين، كان قد دفنه في إحدى البيَّارات، وها هو في أيديكم الآن.

حينها انطلق بشير إلى عماد ورفاقه من المجاهدين؛ ليريهم السِّلاح! إنَّها قطعة السِّلاح التي لطالما انتظروها!، فيقول المجاهد بشير: "لقد كانت البداية الحقيقيَّة لمجموعة الشُّهداء هي لحظة الانضمام الحقيقيِّ لعماد، حيث لم يوافق الاشتراك في المهمَّات إلَّا بوجود السِّلاح، وها قد أصبح بين يديه".

عندما استلم عماد السِّلاح قبَّله، وسجد سجدةً طويلةً لله تعالى، وأصبح يقول لمن حوله: "الآن يمكننا أن نتحرَّك، الآن نحن أقوى، الآن بإمكاننا أن نمرِّغ وجوههم في التُّراب".

المطاردون الخمسة

وبعد أن خرج عماد وبرفقته المجاهد خالد المغيِّر لتوديع قائدهم مجدي، وصلهم خبر سلاح الكارل غوستاف الذي أحضره بشير، فاتَّجها إلى مخيَّم جباليا، واستلما السِّلاح، وفي الوقت نفسه وصلتهم إشارةٌ بعدم المبيت في منازلهم، وأثناء سيرهما بالسَّيَّارة، جاء خبر اعتقال مجدي، ففجأةً صرخ عماد بمن في السَّيَّارة، وأمرهم بالخروج بسرعةٍ منها.

خرج المجاهدون من السَّيَّارة وتفرَّقوا... حينها لم يكن المجاهد خالد يعلم كثيرًا عن شوارع شمال القطاع؛ وفي اللحظة نفسها كان معه سلاح الكارل الخاص بالمجموعة، فما كان منه إلَّا أن وضعه بين قدميه، وتهيَّأ لأيِّ مباغتةٍ من قوَّات الاحتلال المنتشرة في الشَّوارع؛ لكن الله سلَّمهم، وبعد ذلك بدأت محنة مطاردة عناصر المجموعة.

مُطاردون بلا مأوى!

لقد ازداد عدد المطاردين في قطاع غزَّة، وضاقت عليهم الأرض، وشحَّ وجود السِّلاح، وانقلبت حياتهم رأسًا على عقب، وبات من الصَّعب جدًّا أن ترى واحدًا منهم يمشي على هيئته الطَّبيعيَّة في الشَّوارع إلَّا مُتخفِّيًا بالعباءات أو عِقال الشَّيخ وغيرها من وسائل الإخفاء والتَّمويه.

أن تكون مطاردًا يعني أن تكون منفيًّا داخل موطنك، فلا تجد مأوىً لك في ليلك، وأن تقضي نهارك في البيّارات مُتخفِّيًا، دون مأكلٍ أو مال، بعيدًا عن أهلك وأحبابك، تدقُّ في رأسك كل هواجس الخوف على الأهل والأحباب ورفاق السِّلاح.

لقد بات من المتوقَّع جدًّا أن تُوصَد معظم الأبواب في وجهك، فسطوة الاحتلال كانت تُطارد النَّاس في بيوتهم؛ ما جعلهم حذرين في استقبال المطاردين، وأن تأوي مطاردًا يعني أنَّك تُضيف فردًا جديدًا إلى عائلتك التي أنت لا تستطيع إيجاد الطَّعام لها أساسًا.



عماد عقل يحمل سلاح الكارل غوستاف

كانت تلك ظروف عماد ومن حوله من المطاردين؛ لكنَّها لم تُثْنهم عن هدفهم الذي طوردوا من أجله، فالسِّلاح بات بأيديهم الآن، وأصبح معهم بندقيَّتان ومسدَّس بعد أن أمَّنت لهم قيادة الحركة بندقيةً ومسدَّسًا إلى جانب الكارل الذي جلبه المجاهد بشير، فكانوا يجلبون الذَّخيرة من خلال بعض التُّجَّار، وكذلك بإرسال الشُّبَّان الصِّغار إلى أماكن تدريب الجيش الصُّهيوني؛ ليجمعوا الرَّصاص، فيرسلونه إلى المخرطة حيث يُقلِّبها المجاهد بسيم الكرد والعاملون فيها قريبًا من النَّار -تحميصها- ثُمَّ تعريضها للشَّمس؛ بغرض إزالة الرُّطوبة منها.

والآن أصبح الرَّصاص والسِّلاح متوفِّرين، ولا أحد يمنعهم من الانتقام لشعبهم!

ثالثاً: بِشارة البَدء وشارة الانطلاق

عمليَّة استهداف قائد الشرطة في غزَّة: العمليَّة رقم (2)

بعد أن أصبح السِّلاح متوفِّرًا بأيديهم، وبعد أن امتصُّوا صدمة استشهاد رفيقهم غسَّان، واعتقال قائد مجموعتهم مجدي، عقد أعضاء المجموعة اجتماعًا في أحد بيوت مخيَّم جباليا – رغم الطَّوق الأمنيِّ المفروض عليه – وحدَّد المجاهد بشير هدفًا جديدًا للمجموعة، يعتمد على نصب كمينٍ مُسلَّحٍ لاغتيال قائد شرطة غزَّة آنذاك.

المهمة	كمين مسلَّح ليوسف آفني "قائد شرطة غزَّة"
التاريخ	1992/5/4م
الزمان	10:30 ص
المكان	غزَّة – الرِّمال
المنفذون	عماد عقل، وخالد المغيِّر، وبشير حمَّاد "الرَّاصد" وعبد الفتاح جابر "السَّائق"
الحصيلة	إصابة قائد الشرطة (يوسف آفني) وجنديين آخرين
السلاح المستخدم	(2) كارل غوستاف

الرَّصد والتَّخطيط:

كان ذلك ما يسعى إليه المجاهد عماد بعد أن تحصَّلوا على السِّلاح، أن يبدؤوا بدايةً جادَّةً للعمل الجهادي، فالبدايات القويَّة تظلُّ قويَّة، وتؤدِّي إلى نهاياتٍ عظيمة.

استلم المجاهد بشير مهمَّة الرَّصد والتَّخطيط للعمليَّة، فتعقَّب سير مركبة الهدف –من نوع جيب– من وإلى مركز الشُّرطة الصُّهيونيَّة، عبر سيَّارةٍ من نوع "بيجو 504" كان قد حصل عليها من أحد معارفه، وبينما هو كذلك، وإذ به يُقابل القائد الصُّهيوني وجهًا لوجه، كمواطنٍ فلسطينيٍّ يسير بسيَّارته، فعرف تحديدًا متى يصل إلى مركز الشُّرطة ومتى يخرج منه.

بعد أن فرغ من ذلك ودوَّن ملاحظاته، سلك تلك الطَّريق التي يسلكها ذاك الكولونيل، فوقعت عينه وأمعن عقله في إحدى قطاعاتها، ليجد المكان المناسب لنصب الكمين، وتبقَّت الخطوة الأخيرة، وهي طريق الانسحاب والوقت المستغرق لقطعها، فضبط عدَّاد سيَّارته ومؤقِّت ساعته منطلقًا من مكان الكمين وصولًا إلى مكان الانسحاب المُعدِّ مسبقًا، حيث منطقة الزيتون الواقعة شرق مدينة غزَّة.

سار المجاهد بشير بسيَّارته بسرعةٍ لا تزيد عن "60 كم/ساعة" -كأيِّ سيَّارةٍ تسير في الشَّارع-؛ فإسراعه يعني أنَّ في الأمر ريبةً فتُركِّز الأنظار عليه، في ظلِّ مهمَّةٍ تحتاج للحذر والهدوء الشَّديدين، ليجد أنَّها قد استغرقت 6 دقائق فقط، فحساب الوقت دليلٌ على أنَّ الثَّانية الواحدة في مثل هذه المهمَّات لها قيمتها، فقد تخطف روحًا أو تحفظها بإذن الله ومشيئته.

التَّنفيذ:

كان المجاهد خالد المغيَّر طالبًا في كُلِّيَّة التِّكنولوجيا بمدينة خان يونس، وكان لديه اختبارٌ جامعيٌّ السَّاعة الثَّامنة صباحًا من ذات اليوم المُقرَّر فيه تنفيذ العمليَّة، فقدِم إليه المجاهدان "عماد وبشير"؛ ليُخبراه أنَّ موعد العمليَّة التي خطَّطوا لها مُسبقًا هو السَّاعة السَّابعة صباحًا، أي قبل امتحانه بساعةٍ واحدة، فلم يتردَّد في المُشاركة ولو للحظةٍ واحدة، وكان الحماس قد بان عليه.

انطلق المجاهدون الأبطال حيث مكان العملية، وبينما هم في الطَّريق، انتهز المجاهدان "عماد وخالد" فرصة تفقُّد سلاحيهما من نوع كارل غوستاف، المراد تنفيذ العملية بهما، وما أن اقتربوا من موقع الكمين حتَّى أشار عليهم المجاهد بشير بضرورة نزوله بعيدًا عنهم؛ بغرض إكمال عمليَّات الرَّصد والمتابعة، وتأمين طريق الانسحاب.

نزل المجاهد بشير وأكمل المجاهدون "عماد، وخالد، وعبد الفتاح" طريقهم حيث موقع الكمين، الذي أعدَّه المجاهدون باستغلالٍ مُحكمٍ للتِّلال الرَّملية المُجاورة للشَّارع الذي سيسلكه الهدف، والتي من خلالها يتمكَّن المجاهد عماد من التَّمركز

عليها وإسناد المجاهد خالد خلال عمليَّة هجومه كما أراد، وما أن ينتهي "خالد" حتَّى يترَّجل "عماد" من مكانه؛ مُطهِّرًا الهدف ومُجْهزًا عليه.

كمن المجاهدان "عماد وخالد" كلٌّ في مكانه، وما هي إلَّا دقائق، وإذ بالهدف يظهر، حيث مركبتان تنتصفان الشَّارع المقابل للمركز، يستقلُّ إحداها قائد شرطة غزَّة وعددٌ من مرافقيه، وما أن وقع الهدف في مقتلته حتَّى تسارع المجاهد "خالد" أمامه؛ ليصبَّ عليهم وابل رصاصاته، إلَّا أنَّ المركبتين لم تتوقَّفا، ما اضطرَّ المجاهد عماد للقفز تُجاه الهدف وفتح النَّار عليه.

وفي اللحظة التي فرغ فيها مخازن رشاشيهما، استقلَّا سيارتهما، منطلقًا بهما المجاهد "عبد الفتاح" في طريق الانسحاب، حيث مكان الإيواء وقائدهم بشير الذي كان يرقبهم فيه وعددٌ من المجاهدين.



قائد الشرطة / يوسف آفني

وصل المنفِّذون الأبطال بسلام، فتعانقوا وبسمات الفرحة على وجوههم تُنير دروب الجهاد في سبيل الله، ليلتفُّوا بعدها حول المذياع؛ منتظرين إذعان العدوِّ وإعلانه عن العمليَّة، أمَّا المجاهد خالد المغيِّر، والذي شارف اختباره الجامعي على البدء، فقد سجد لله سجدة شكرٍ وتمكين، وصافح رفاقه المجاهدين، منطلقًا بعدها إلى الجامعة لتقديم الاختبار. وبعد أن عاد من اختباره الجامعيِّ والطَّمأنينة تملأ قلبه، التقى برفيق دربه عماد الذي زفَّ إليه تمكُّنهما من إصابة ثلاثة، من بينهم قائد الشُّرطة يوسف آفني، الذَّي كثيرًا ما كان يتصَّدر الإعلام؛ ولكن بعد هذه العمليَّة لم يعد له أيُّ حضور، ولم يروا له وجهًا في الإعلام مطلقًا، ما يعني أنَّ الإصابة قطعته عن الخدمة العسكريَّة إلى الأبد.

رابعاً: الباكورة الجهاديَّة في الضِّفَّة الفلسطينيَّة

اتَّسعت ظاهرة المُطاردين، وأصبح وجودهم في غزَّة يُشكِّلُ خطرًا أمنيًّا عليهم، فقد زاد عددهم، وقلَّ من يُؤوونهم، وإنَّ بقاءهم في غزَّة سيجعل أمر الإمساك بهم شيئًا سهلًا، فغزَّة ضُيِّقت، والجنود الصَّهاينة وعملاؤهم يحكمون القبضة الأمنيَّة عليها.

لقد أصبحت مسألة خروج عددٍ منهم خارج غزَّة أمرًا مُلحًّا؛ لكنَّ عماد لم يقبل بهذا العرض رغم وجود فرصة الالتحاق بجامعات الأردن.

فماذا فعل؟

تغيير قواعد الاشتباك

كان الخيار الوحيد لعماد وبقيَّة المطاردين أن ينقلوا قواعد الاشتباك للضِّفَّة الغربيَّة، فبعد أن اطمأنُّوا على هيكليَّة الكتائب في غزَّة بقيادة القائد ياسر النَّمروطي؛ كان القرار بانتقالهم إلى الضِّفَّة.

مكث المجاهدون هناك عددًا من الشهور دون أيِّ تواصلٍ مباشرٍ مع قيادة الضِّفَّة، إلى أن التقوا بقائد كتائب القسَّام هناك الشَّيخ صالح العاروري، وذلك عبر المجاهد زياد الحسنات، الذي كان يُعدُّ حلقة الوصل الأولى بين كتائب القسَّام في الضِّفَّة وقطاع غزَّة، فوصل عماد وعمل بِنِيَّة تنفيذ عمليَّاتٍ عسكريَّةٍ هناك، منها عمليَّات خطفٍ لجنودٍ صهاينة.

إنَّها المهمَّة الأصعب في تغيير قواعد الاشتباك .. فهل ينجحون...؟

وإن نجحوا، كيف سيخرجون؟

حاجز التَّوقيف

بعد العمليَّات المُتفرِّقة التي نفَّذتها مجموعات القسَّام في قطاع غزَّة، شدَّدت حكومة الاحتلال قبضتها الأمنيَّة على منافذ القطاع، وأصبح معبر بيت حانون -إيرز- مُثقلًا بعشرات المُغتصبين، وضبَّاط المخابرات، وجنود الاحتلال، فكانت مهمَّة اجتيازه صعبةً للغاية، وبحاجةٍ لجهودٍ استخباريَّةٍ تفوق تجهيزات الاحتلال على الحاجز، فجاءت فكرة تزوير البطاقات الشَّخصيَّة الخاصَّة بالمطاردين بطلابٍ من جامعات الضِّفَّة، ثُمَّ كانت خطَّةٌ لكيفيَّة الانتقال بالتَّعاون مع الشَّهيد صلاح جاد الله[(1)]، وذلك بإحضار صور هويَّاتٍ لأهالي القدس "الزَّرقاء" وتزييفها من خلال رفع الصُّورة ووضع صورةٍ بديلة.



حاجز إيرز عام 1992م

كانت البداية للمجاهد عماد عقل، حيث إنَّ أوَّل بطاقةٍ شخصيّةٍ زُيِّفت له، ثُمَّ لصلاح جاد الله، حتَّى أصبحوا يعملون على تجهيز الهوايا، وإرسالها لباقي المطاردين.

---

(1) صلاح حسن جاد الله (1972-1994م): وُلِد بتاريخ 26/11/1972م في حيِّ الشَّيخ رضوان بمدينة غزَّة، لينشأ وسط عائلةٍ مشهودٌ لها بالتزامها وأصالتها، ترعرع في مسجد الرضوان منذ صغره، برفقة والده الذي كان إمامه، تسلسل بتفوق في مراحله الدراسية، وصولاً إلى حصوله على شهادة الدبلوم في الأشعة من الكلية العربية للمهن الطبية برام الله، شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى ضمن جهاز الأحداث، يحارب الاحتلال بكل قوته بعد ارتقاء أخيه خالد أمامه شهيداً في إحدى المواجهات، أصيب برصاصةٍ اخترقت كبده والبنكرياس مستقرةً في الاثنا عشر، فمكث شهرين في مشفى الشفاء، ثم ثلاثة شهور في مشفى المقاصد لسوء حالته، انضم لصفوف كتائب القسام، وكان له الفضل في تجهيز البطاقات المزورة التي تُمكّن مجاهدي الكتائب من التنقل بين الضفة وغزة، وقد اُعتقل على إثرها عام 1992م، شكّل خلية مقدسيةً سرية خطفت الجنديين "سيماني وفرنكتال" وقتلتهما، إضافة لمشاركته في خطف الجندي نحشون فاكسمان عام 1994م، وقد ارتقى إلى الله شهيداً خلال تصديه للقوات الخاصة التي اقتحمت مكان إخفاء الجندي في سبيل إنقاذه.

كان أوَّل الخارجين إلى الضِّفَّة الغربيَّة هو عماد عقل، حيث اجتاز بكلِّ بساطةٍ الحاجز الوحيد الذي يربط قطاع غزَّة بالكيان الصُّهيوني من خلال بطاقةٍ شخصيَّةٍ وكَرْتِ دخولٍ لحاجز إيرز العسكري "مُمغنط" مزوَّرَين، ثُمَّ تبعه المجاهد محمَّد دخان، لتكتمل الحلقة بانتقال محمَّد أبو عايش وطلال نصَّار ومحمَّد حرز ثُمَّ محمَّد أبو عطايا وبشير حمَّاد، الذي استطاع تهريب قطعة كارل غوستاف إلى الضِّفَّة.

أمَّا عن كيفيَّة تهريبها، فما زالت حاضرةً في ذهن الأسير المُحرَّر بسيم الكرد، حيث قال: "ذلك اليوم لا أنساه عندما التقيتُ بالمجاهد بشير في أحد الأيَّام، وكان معه شابٌّ من القدس، لا أذكر اسمه، فطلب منِّي أن يصطحب واحدةً من قطع الكارل غوستاف الثَّلاثة التي بحوزة المجموعة، ففكَّكتُها، وبدأتُ أُلصق أجزاءها داخل السَّيَّارة، وأجريتُ التَّمويه اللازم لإخفائها، وبحمد الله استقلَّ بشير سيَّارته، ومضى إلى الضِّفَّة الغربيَّة دون أن يمسَّه أحد.

هناك حطَّت رِحاله

وصل عماد إلى الضِّفَّة الغربيَّة في الثَّاني والعشرين من شهر مايو عام 1992م، واستقرَّ بمدينة القدس، فلو كان عماد حاضرًا لأخبرنا عن شعوره عند أوَّل خطوةٍ حطَّتها قدماه على تراب القدس، إنَّها زهرة المدائن، وبُقعة الله المباركة، وفيها تلك القبَّة الذَّهبيَّة التي أفنى عماد وآلاف الفلسطينيين أرواحهم في سبيل تحريرها وتطهيرها.

وصل باقي أفراد الخليَّة وتوزَّعوا في ثلاث شقق، الأولى في القدس، حيث كان فيها عماد، والثَّانية والثالثة برام الله، حيث الشقة الأولى التي كان فيها كلٌّ من: "محمَّد حرز ومحمَّد أبو عايش ومحمَّد أبو عطايا"، والشقة الثَّانية التي مكث بها بشير حمَّاد وطلال نصَّار.

ليتني كنتُ معهم



تشديد الإجراءات في حاجز إيرز، مايو 1992م

بقلبه المُعلَّق بالجهاد والشَّوق للوطن، وبنبرةٍ حزينةٍ ولغةٍ مُتكسِّرة، أجابنا فهد زقزوق عندما سألناه عن آخر ساعات عماد في غزَّة: "كان من المفترض أن أكون معهم، وكنتُ أتمنَّى ذلك..."، قبل أن يخرج عماد للضِّفَّة كان حريصًا على أن ألحق به إلى هناك، فأذكر أنَّه جهَّز بطاقةً شخصيَّةً غير حقيقية، وأرسلها مع أحد الإخوة لضرورة لحاقي به إلى القدس، وفي ذلك اليوم أذكر أنَّني كنت في الجامعة الإسلاميَّة برفقة أخوَين مطارَدين، فقلت لهما: إن عدتُ إليكم فأنا بخير، وإن لم أعد فإمَّا أن أكون قد اُعتُقلت أو أنجزتُ عمليَّة الخروج بنجاح.

وصل المجاهد فهد حاجز بيت حانون -إيرز-، وعند وقوفه أمام الحاجز، أوقفه ضابط التَّوقيف، آخذًا منه الكرت "المُمغنط" وذهب به بعيدًا، حينها لم يُفكِّر المجاهد فهد في شيءٍ سوى الاعتقال... انتظر لدقائق دون عودة الضَّابط الصُّهيوني، وبعد مدةٍ من الانتظار جاءه الضَّابط، وقال له: أنت ممنوعٌ من السَّفر.

وبعد برهةٍ من الصَّمت، طلب فهد من الضَّابط الصُّهيوني أن يُعيد له بطاقته المُمغنطة، ولكنَّ الضَّابط ردَّ عليه قائلًا: "لا، اذهب أوَّلًا أحضر أغراضك وتعال لتأخذها"، حينها شعر فهد بأمرٍ مريبٍ سيحدث، فما كان منه إلَّا وأن أخذ أغراضه وانسحب من المكان خفيةً دون أن يراه الضَّابط الذي يقف على أوَّل الحاجز بانتظاره.... وبعد تلك الحادثة بأشهرٍ قليلة، كان اعتقال قوَّات الاحتلال له، ليخرج من السِّجن بعد تسعة عشر عامًا في صفقة وفاء الأحرار البطوليَّة.

المهمَّة رقم (1)

أثناء سير المجاهدين في أحد شوارع القدس، لفت انتباههم اصطفاف الجنود أمام مواقف الباصَّات، فاكتشفوا وجود ثغرةٍ أمنيّةٍ تُمكِّنهم من اقتناص عددٍ منهم في عمليَّة طعنٍ مزدوجة، ثُمَّ الانسحاب وفق خطَّةٍ آمنة، فتجمَّعوا في إحدى الشُّقق، وبدأوا العمل لإنجاز المهمَّة... لكن حدث ما لم يكنْ مُتوقَّعًا...!

كان الاتِّفاق على أن تكون السَّاعة الثَّالثة من فجر الثلاثين من شهر يوليو/تموز موعدَ تنفيذ العمليَّة، باشتراك اثنين من أفراد المجموعة، وبرفقتهما السَّائق الذي سيوصلهما إلى مكان التَّنفيذ؛ ليقوما بالطَّعن المُزدوج ثُمَّ يعودا من طريقٍ مختصر، يقودهما إلى الملجأ المُتَّفق عليه في إحدى الشُّقق المُعدَّة مسبقًا.

وفي مساء اليوم الذي يسبق موعد تنفيذ العمليَّة، التقى عماد برفاقه المجاهدين في الشقَّة التي يمكث فيها المحمَّدون الثَّلاثة "محمَّد أبو عطايا، ومحمَّد أبو عايش، ومحمَّد حرز"، فسهر المجاهدون مع بعضهم لساعاتٍ عدَّة، وبعدها خرج عماد وطلال وبشير من الشُّقَّة، مُتوجِّهين إلى شقّةٍ أخرى؛ كي يستريحوا قليلًا قبل حلول الصَّباح، حيث موعد التقائهم بالمجاهد محمَّد أبو عطايا حسبما اتَّفقوا سابقًا، وعندما حان وقت اللقاء، جلس عماد ورفاقه في شُقَّته؛ ينتظرون قدوم محمَّد أبو عطايا حسب الاتِّفاق الذي دار بينهم، ولكن بعد ساعاتٍ من الانتظار كانت المفاجأة... اعتقال أفراد المجموعة!

ففي مساء التَّاسع والعشرين من شهر يوليو عام 1992م أصبح المُحمَّدون الثَّلاثة في قبضة الشَّاباك، وعماد وطلال وبشير في عِداد المُطارَدين!

حُظوظ الأغبياء!

"أنا على قناعةٍ تامَّةٍ أنَّهم لم يكونوا يبحثون عنَّا؛ بل لم يكونوا يعلمون بمجيئنا إلى الضِّفَّة أساسًا"

هو موقفٌ صعب، وحسَّاسٌ فعلًا أنْ تحاول فكَّ استفهاماتِ اعتقالهم بعد تسعة عشر عامًا من الاعتقال؛ لكنَّ ذلك أصبح ضربًا من التَّخيُّل عندما تسأل محمَّد أبو عايش عن السَّبب: "بعد أن غادر عماد وطلال وبشير قضيت أنا ومحمَّد أبو عطايا بعض الوقت في مشاهدة التِّلفاز، فيما تركَنا محمَّد حرز ليذهب إلى النَّوم، وبعد مرور ساعة، وإذ بالشُّبَّاك يُفتح وقطعُ العوزي موجَّهةٌ علينا، والجنود يصرخون: "افتحوا الباب!"، فذهبنا لنفتح الباب، وإذ بمجموعةٍ من الجنود يقتحمون المكان، كانت ترى الحكومة الصُّهيونيَّة أنّ هذا إجراءً عاديًّا، حيث إنَّهم يباغتون كلَّ طالبٍ جديدٍ يَقدمُ إلى الضِّفَّة الغربيَّة. ونحن جئنا إلى الضِّفَّة بحجَّة الدِّراسة في جامعة بيرزيت، فعندما تأكَّدوا من هويَّاتنا وبطاقاتنا الجامعيَّة كادوا أن يخرجوا من الشُّقَّة؛ لكن كعادتهم التَّخريبيَّة أرادوا ابتزازنا بدخول الغرف، فقلبوا أثاثها رأسًا على عقب. تماسكنا واحتسبنا ذلك، خرج جميع الجنود من الشُّقَّة وأصبحوا يُنادون على زميلهم الذي تركوه في المطبخ، فلم تمرَّ ثوانٍ، وإذ به يصرخ، فما رأينا وإذ بالجنودُ مبطوحين على الأرض، يُصوِّبون أسلحتهم تُجاهنا! وبدأت أجهزة الاتِّصالات اللاسلكيَّة "المخشيرات" تنادي من كلِّ مكان، وفجأةً! وجدنا أنفسنا مُقيَّدين بمرابط الحديد ومهدَّدين تحت السِّلاح... فلقد اكتُشف أمرُنا.

عرفنا حينها أنَّ ذلك الجنديَّ الأبله، قد وجدَ أجزاءً من سلاح الكارل غوستاف الذي استلمناه قبل ساعتين وخبَّأناه تحت مُصرِّف المياه داخل المطبخ".

وهكذا تنطوي صفحةُ المحمَّدين الأبطال، عناصر مجموعة الشُّهداء، الذين لقي كثيرٌ من العملاء والصَّهاينة حتفَهم ببركةِ أيديهم المُتوضِّئة!، كم كان هؤلاء الجنود محظوظين!، حيث ذهبوا يطلبون سمكةً فاصطادوا حيتانًا... اكتشفوا أمر المجموعة، فأصبحوا يضربون رؤوسهم بأكفِّهم؛ لأنَّهم قلبوا غزَّة منذ شهور؛ للبحث عنهم ولم يجدوهم؛ بل لم يكونوا يعلمون أنَّهم قد غادروا غزَّة إلى الضِّفَّة حقيقةً!

ما أن علم القائد عماد بالأمر، حتَّى انتقل والمجاهدان بشير وطلال إلى شقَّةٍ سكنيَّةٍ جديدةٍ في قرية "أبو قش" برام الله، فالتقطوا أنفاسهم هناك، وبدأوا

يُفكِّرون بما حدث مع أفراد مجموعتهم الثَّلاثة، وما الذي سيكون بعد ذلك؟، حتَّى كان القرار بأن يُوصلوا ما حدث لقيادة كتائب القسَّام في قطاع غزَّة، فكان ذلك.

في ذلك الوقت كان قائد كتائب القسَّام في الضفَّة الفلسطينيَّة "الشيخ صالح العاروري" يترقَّب مرسالًا من قيادة الحركة في الخارج حتَّى حضر إليه المجاهد زياد الحسنات، والتقيا معاً في جامعة الخليل ليُبلغه المجاهد زياد بأمر المطاردين الثَّلاثة -عماد وبشير وطلال- وغاية قيادة الحركة من تواجدهم هنا في الضِّفَّة، ليتوافق الطَّرفان على آليَّة نقل المجاهدين إلى الأماكن الآمنة ودمجهم في العمل العسكريِّ هناك؛ واستغلال طاقاتهم وعزائمهم القويَّة.


المجاهد القائد/ صالح العاروري

تكمن خطورة آليَّة النَّقل في إخفائها عن عيون الصَّهاينة وأعوانهم، لذا توافق الشَّيخ صالح على اختيار موعد صلاة الجمعة لحظة نقل المجاهدين من الحرم الجامعيِّ إلى الأماكن الآمنة المُجهَّزة لهم، حيث لا وجود لطلبةٍ في ذاك الحرم في تلك اللحظة غيرهم.

انتقل المجاهدون "عماد وبشير وطلال" لمدينة الخليل برفقة الشَّيخ صالح ومجاهدٍ آخر، وما أن وصلوا مكانهم الآمن حتَّى اجتمع الشيخ صالح بأفراد مجموعة الخليل العسكريَّة التي كان المجاهد عباس شبانة قد شكَّلها بإيعازٍ من الشَّيخ صالح، وتضمُّ المجاهدين: "سفيان جمجوم -قائد المجموعة-، وهارون ناصر الدِّين، وجميل النَّتشة"، وأصدر قراره بانضمام المجاهد عماد عقل لهم.

كان المجاهد عماد يُعدُّ أوَّل مطاردٍ تتعامل معه المجموعة، فكان التَّوافق بين أفراد المجموعة أن يتمَّ تأمين عماد بكلِّ الوسائل المتاحة، فعقدوا العزم على توفير عددٍ من البيوت الآمنة والمغارات البعيدة عن نظر العدوِّ وأعوانه، التي تسمح لعماد بالمبيت فيها ليومٍ أو يومين كحدٍّ أقصى، وكان لهم ذلك.



المجاهد / سفيان جمجوم

وبعد الانتهاء من مرحلة التَّأمين هذه، كلَّف الشَّيخ صالح المجاهد موسى دودين بتدريب المطاردين الثَّلاثة على أنواع الأسلحة المُتوفَّرة لديهم، مثل: "الكلاشنكوف، m16، كربينا الأمريكية"، فانطلقوا معاً نحو جبال بلدة دورا، وكانت جولة التَّدريب القويَّة.

تلك الجولة التي نهل فيها المجاهدون الثَّلاثة من العلوم العسكريَّة البسيطة ما مكَّنهم من استخدام هذه الأنواع الجديدة، إضافةً إلى معرفتهم حين وجودهم في قطاع غزة بآليَّة التَّعامل مع أسلحةٍ أخرى، مثل "المسدَّس، والكارل غوستاف، والعوزي".



المجاهد / هارون ناصر الدين

بعد جولة التَّدريب هذه أوعز الشَّيخ صالح العاروري للمجاهدين "بشير وطلال" أمر الانتقال إلى قرية قبلان بمدينة نابلس، حيث القائد

القسَّامي المجاهد زاهر جبَّارين؛ وذلك بغرض تدريب المجاهدين هناك على الأسلحة المُتاحة، من حيث الفكِّ والتَّركيب وآليَّة التَّعامل البسيطة معها.



المجاهد / زاهر جبارين

فكان لقاء الأحرار الذي لم يشهده المجاهد زاهر من قبل، تعانق فيه قسَّام غزَّة بقسَّام الضِّفَّة، فما أن وصل المجاهدان "بشير وطلال" مدينة نابلس وبحوزتهما قطعة سلاحٍ من نوع m16، حتَّى تفاجآ بلهفة المجاهدين هناك للتَّعلم على السلاح وشوقهم لاقتنائه، فقد كانت هي المرة الأولى التي يحمل فيها مجاهدو مدينة نابلس سلاحًا رشَّاشًا من نوع m16، لتنطلق تكبيرات مجاهدي كتائب القسَّام من غزَّة والضَّفة، يتوعَّدون الصَّهاينة فيما يُثلج صدور قومٍ مؤمنين.



المجاهد / جميل النتشة

وكانت البداية أن باشر المجاهدان "بشير وطلال" بتدريب مجاهدي نابلس على كيفيَّة التَّعامل مع السِّلاح وطريقة فكِّه وتركيبه، وآليةً بسيطةً في طريقة استخدامه، فمع أنَّ العلوم والخبرات كانت بسيطة، إلَّا أنَّها في نظر المجاهدين في ذاك الوقت كانت عظيمة، تُنير لهم درب الجهاد وتلقين الصَّهاينة الويلات تلو الويلات.

غضبةُ المطارد



الشهيد القائد / عماد عقل

لقد حتّمت حادثة اعتقال المحمّدين الثّلاثة على عماد أن يُناور بعقليّته الأمنيّة، فهو الآن مطاردٌ في مكانٍ لا يعرف تفاصيله، بعد تخطيطٍ مُحكمٍ لعمليّةٍ أراد ورفاقه تنفيذها... لقد اعتُقل رفاقه المجاهدون، وأصبحت الضِّفّة في بداية الأمر تمامًا كغزّة، مليئةً بالعقبات والتّضييقات الأمنيّة؛ لكن وما أن انضمّ لمجموعة كتائب القسّام في مدينة الخليل حتّى عادت نشوة الفدائيّ له من جديد، يزأر زئير الأسد في قمّة نشاطه، بادئًا بالتّنقُّل بحرّيّةٍ في أنحاء خليل الرحمن بوسائل التّخفّي المُبتكرة، فكان يلبس لباس الطّلبة مرّة، ولباس العجائز مرة أخرى، ويحلق لحيته تارة، ويضع لحيةً وشعرًا اصطناعيّين تارةً أخرى، علّه يلتقط صهيونيًّا فيُشفي به غليله ويثأر لرفاق دربه، حتّى لاحت الفرصة وكانت البشارة.

عماد وقيادة مجموعات الخليل بالإنابة:

بعد تسلُّم المجاهد عزِّ الدين الشّيخ خليل [1] قيادة كتائب القسّام في قطاع غزّة خلفًا للقائد العام ياسر النّمروطي، اجتمع بقائد كتائب القسّام في الضِّفّة -الشّيخ صالح العاروري-، وتباحثا معًا عددًا من الأمور التي من شأنها ربط العمل العسكري بين قطاع غزّة والضِّفّة.

(1) عز الدين صبحي الشيخ خليل (1962-2004): ولد بتاريخ 24 يوليو 1962م، تعود أصوله لمدينة غزّة، انضم لجماعة "الإخوان المسلمون" عام 1980م، تعرّف على القائد عبد الله عزّام في أفغانستان، اعتقلته قوات الاحتلال لمرات عديدة، ترأس قيادة كتائب الشّهيد عزّ الدين القسّام بعد استشهاد القائد العام الأول للقسام "ياسر النمروطي" في 15 يوليو 1992م، ومكث "الشيخ خليل" في قيادة القسّام لمدّة قليلة حتى تم اعتقاله، ثم إبعاده من معتقله إلى مرج الزهور نهاية عام 1992م، استشهد بتاريخ 26 سبتمبر 2004م نتيجة عملية اغتيالٍ مدبرة من قبل جهاز الموساد، حيث تم تفجير سيارته في العاصمة السورية دمشق.



المجاهد / عباس شبانة



الشهيد القائد / عز الدين الشيخ خليل

فكان أن اتَّفقا على أن يكون المجاهد عبَّاس شبانة -قائد مجموعات مدينة الخليل- حلقة الوصل الرَّسميَّة بينهما.

ولحتميَّة تغيُّب المجاهد عبَّاس عن ساحة العمل في الخليل أثناء وجوده في قطاع غزَّة، أصدر الشَّيخ صالح قراره، بتكليف المجاهد عماد عقل نائبًا عن المجاهد عبَّاس حال غيابه، يقوم بأعماله ويقود مجموعتي مدينة الخليل ويكون حلقة الوصل بينهما وبين الشَّيخ. مُنوِّهًا عليه الشَّيخ صالح بعدم تنفيذ أيِّ عمليَّةٍ عسكريَّةٍ قبل إعلامه بها وأخذ الموافقة منه عبر نقاطٍ ميتةٍ معلومةٍ لكليهما؛ وذلك بسبب صفقة السِّلاح المُرتقبة التي كان الشَّيخ صالح قد خطَّط لها وقد تصل في أيِّ لحظةٍ في ذلك الوقت.

عمليَّة الحاووز: العمليَّة رقم (3)

أصبح من الحتميِّ على قادة كتائب القسَّام أن يكون لهم ردٌّ قاسٍ، يبعث الأمل في نفوس النَّاس بعد أن أحزنهم اعتقال عددٍ من مجاهدي الكتائب في الضِّفَّة وغزَّة واستشهاد القائد العام الأوَّل لكتائب القسَّام في قطاع غزَّة "ياسر النَّمروطي".



الشهيد القائد/ ياسر النمروطي

لم يُفكِّر المجاهد عماد كثيرًا، فما أن حصل أفراد مجموعة الخليل الأولى على سيَّارةٍ شروها بمبلغٍ ماليٍّ كانوا قد حصلوا عليه من الشَّيخ صالح؛ تساعدهم على التَّنقُّل بين قرى المدينة وأنحائها، وبحثًا عن صهاينةٍ يقعون في فخاخ رشَّاشاتها، كانت اللحظة المناسبة قد أُتيحت لعماد؛ لينقل أمجاد العمل العسكريِّ بعنفوانه المعهود في قطاع غزَّة إلى مدن الضِّفَّة، بآليات اشتباكٍ جديدة، وخططٍ عسكريَّةٍ فريدة، وكأنه درس التّكتيك العسكريَّ وخاض تجاربه فيه، فجمع أفراد المجموعتين كلٌّ على حدة بأسلوبه القياديِّ وشخصيَّته المُفضَّلة، ليكون الدَّرس الأوَّل الذي لم يعهده أيُّ مجاهدٍ سابقاً، يُركِّز في تعليمهم على الاشتباك مع هدفٍ متحرِّكٍ بوسيلةٍ متحرِّكة أو ما سمِّي بعد ذلك بـ "فنُّ التَّجاوز"، وما هي إلا أيَّامٌ قليلة من اجتياز المجاهدين لهذه الجولة من التَّدريبات، حتَّى كان الكرم من الله سبحانه.

لقد وصلت رسالةٌ من القائد عماد للشَّيخ صالح، كان مفادها أنَّه تمَّ التَّخطيط لعمليَّةٍ عسكريَّةٍ من قِبَله وينتظر الموافقة على تنفيذها، فكان ردُّ الشَّيخ صالح بالتَّريُّث قليلًا، مع درايته وتأكُّده أنَّ أمثال المجاهد عماد ممَّن امتشقوا السِّلاح وأعلنوا الكفاح لا مجال لهم للتَّراجع أو التَّريُّث، فكان كما اعتقد، فلأنَّ الفرائس لا تنتظر كثيرًا، امتشق القائد عماد سلاحه ووزَّع أدوار العمليَّة على أفراد مجموعة الخليل الثَّانية "موسى عمرو، وغسان المدبوح"، وبمساعدةٍ وإسنادٍ مباركٍ من قائد مجموعة الخليل الأولى "سفيان جمجوم".

المهمة	إطلاق نارٍ على سيَّارةٍ تابعةٍ للجيش الصُّهيوني
التاريخ	1992/10/21م
الزمان	07:00 ص
المكان	إحدى طرق مدينة الخليل
المنفذون	عماد عقل، وموسى عمرو، وسفيان جمجوم، وغسان المدبوح
الحصيلة	إصابة الملازم أول تهيلا دفيفدي بجراحٍ طفيفة، والعريف إيتان ميخال سون بجراحٍ خطيرة
السلاح المستخدم	كلاشنكوف، (2) عوزي

التَّنفيذ

امتازت عقليَّة عماد عقل بسرعة البديهة والشَّجاعة ورباطة الجأش، هذه الصِّفات بجانب دهائه وذكائه منحته سرعةً كبيرةً في اتِّخاذ القرارات الصَّعبة تحت أيِّ ظرف.

ففي صباح الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام 1992م، رصد المجاهدون سيَّارةً من نوع رينو5 تحمل نمرةً صفراء -للجيش الصُّهيوني-(1) بجانب الطَّريق السَّريع، تُقلُّ ضبَّاط صهاينة، فأمر عماد سائقه أن يتعقَّبها، وأن يجعل شبَّاك السَّائق على يمينه؛ ليُطلق النَّار أثناء تجاوزها، حيث كان عماد يجلس في السَّيَّارة بجانب السَّائق.

القائد الإنسان

لم يكن المجاهد عماد مجرَّد قائدٍ عسكريٍّ فقط؛ فعندما تدرس شخصيَّته تتفاجأ بشخصيَّةٍ عسكريَّةٍ بثوب إنسانٍ كامل الإنسانيَّة، فعندما أمر عماد سائقه بتعقُّب السَّيَّارة الصُّهيونيَّة رأى منه قوَّةً واستجابة، وأصبحوا يُطاردونها لعدَّة دقائق، وأثناء مطاردتها خشي المجاهد عماد أن يكون في قلب سائقه المجاهد شيءٌ

(1) اعتادت قوات الجيش الصهيوني على التنقل في أرجاء مدينة الخليل بسيارات مدنيةٍ تحمل لوحة أرقامٍ عسكريَّة كان من السهل لسكَّان الضفة الفلسطينية التعرف عليها؛ لتعايشهم وتكرار مشاهدتهم لمثلها.

من التَّردُّد أو التَّوتُّر، وهذا شيءٌ طبيعيٌّ ووارد؛ لأنَّها كانت أوَّل عمليَّةٍ يشارك فيها هذا السَّائق المجاهد، فأراد عماد تهدئته، فقام بالذِّكر والتَّسبيح، ثُمَّ سكت قليلًا، وقال للسَّائق المجاهد: الآن سنعدُّ للرَّقم ثلاثة، وسنبدأ بالنَّشيد معًا، فأصبحا ينشدان إلى أن وصلا السَّيَّارة الصُّهيونيَّة وتجاوزاها، وأطلقا النَّار عليها، فتعثَّرتْ وانقلبت في الشَّارع".

لم تكن الرِّسالة في حصيلة المصابين من العمليَّة؛ بل في الأسلوب الجديد الذي انتهجته كتائب القسَّام، فهذه من أوائل العمليَّات في تاريخ المقاومة الفلسطينيَّة، التي يتمُّ فيها استهداف هدفٍ متحرّكٍ بوسيلةٍ متحرِّكة.

لم يكن يخطر ببال جنود الاحتلال أن يُفاجئهم عماد بهذه العمليَّة، بل لم تكن هذه العمليَّة في حُسبان قادة الشَّاباك الصُّهيوني، هذه العمليَّة كانت رسالةً واضحةً للحكومة الصُّهيونيَّة بعد أيَّام فقط من اعتقال رفاق عماد، هذه العمليَّة وغيرها من العمليَّات كانت بمثابة وقودٍ يُشعل الحميَّة في صدور الشُّبَّان الفلسطينيِّين الثَّائرين، وتدفع بهم للانضمام إلى صفوف المقاومة الفلسطينيَّة المُسلَّحة، ما أكسب نشاطات الانتفاضة فعاليَّةً ممتدَّةً، لم تخمد منذ تأسيس كتائب القسَّام، لقد أصبح الشَّعب مُتيقِّنًا أنَّه لا عودة للاجئين، ولا تحريرَ للأقصى، ولا إفراج عن المعتقلين إلَّا بالقوَّة.

الحَرَم الإبراهيمي: العمليَّة رقم (4)

مكانٌ غير متوقَّع:

في مغارة الأنبياء القريبة من الحرم الإبراهيمي... قاعدةٌ عسكريَّة، أبنيةٌ عالية، وحداتٌ مدجَّجة بأعتى الأسلحة في الشَّرق الأوسط، أبراج مراقبةٍ يتمركز فيها جنودٌ لا ينامون، ورادارات تلتقط كلَّ شيءٍ إلَّا وجه عماد، جيبَّاتٌ عسكريَّةٌ بتجهيزات الطَّوارئ، مُتنبِّهةٌ على مدار السَّاعة، نقاط حراسةٍ مشدَّدةٍ على جميع أطراف القاعدة العسكريَّة... لا ثغرات أمنيَّة، والمنطقة مُغلقة، والتَّكثيف الأمنيُّ على أشُدِّه، فما الحلُّ يا عماد؟

الخطّة والرّصد:

كان لابدَّ لعماد أثناء الرّصد مرّاتٍ عديدة أن يكتشف ثغرةً في هذه المنطقة العسكريَّة المُغلقة، وبعد دراسة جميع نقاط الحراسة، وُجد أنَّ أنسب ثغرةٍ يُمكن الانقضاض على الموقع من خلالها هي نقطة الحراسة الموجودة على بوّابة الموقع، التي عادةً ما يتواجد فيها جنديّان أو ثلاثة.



برج المراقبة قرب الحرم الابراهيمي

أمَّا موعد تنفيذ العمليَّة فقد لاحظ عماد أنَّ تبادل الحراسة بين الجنود يُجرى في تمام السَّاعة الواحدة ظهرًا، ونظرًا لأنَّ الجنود الذين يحين دورهم في تلك المدَّة لا يكونون قد أخذوا وضعهم القتاليَّ جيّدًا، قرَّر عماد أن يُنفّذ العمليَّة من خلال هذه النُّقطة، عبر زاويةٍ لإطلاق النِّيران تبعد ثلاثين مترًا عن الهدف.

ولكن لم يسبق أن نُفِّذت عمليّةٌ عسكريّةٌ ضدَّ قوّات الجيش الصِّهيوني في وضح النَّهار، ضدَّ جنود جيشٍ كان قد غرق في سكرة أنَّه "الجيش الذي لا يُقهر" ولا يتجرّأ أحدٌ على المساس به.

هيهات هيهات لهم ذلك، فقد خرج من أصلاب الشَّعب الفلسطيني شابٌّ في بداية شبابه، أذاقهم الويلات تِلو الويلات، وجعل جنود هذا الجيش أضحوكةً أمام النَّاس الذين عانوا منهم، إنَّه القائد المجاهد عماد حسين عقل.

المهمة	إطلاق نارٍ على موقع عسكري تابع للجيش الصُّهيوني
التاريخ	1992/10/25م
الزمان	01:00 م
المكان	مدينة الخليل – الحرم الإبراهيمي
المنفذون	عماد عقل، وهارون ناصر الدِّين، وجميل النَّتشة
الحصيلة	مقتل الجندي الصُّهيوني "شموئيل جريش"، وإصابة الجندي الصهيوني "رونيف ألون" وآخر بجراحٍ خطيرة
السلاح المستخدم	(3) كلاشنكوف، (3) مسدس

التَّنفيذ:

أدار المجاهد جميل سيَّارة البيجو 504، واستلم الإشارة من قائده عماد، منطلقًا نحو الهدف، وفي مدخلٍ جانبيٍّ يبعد عن الموقع 200 مترٍ تقريبًا، أنزل جميل المُنفِّذين "عماد المطارد، وهارون المُلثَّم"، يحمل كلُّ واحدٍ منهما قطعتي سلاح، الأولى من نوع كلاشنكوف والثَّانية مسدَّس.

تسلَّل الفدائيَّان حتَّى وصلا الزَّاوية المُخطَّط التَّنفيذ منها، وباشرا بإطلاق النَّار عبر أسلحة الكلاشنكوف الرَّشَّاشة، فكانت الرَّصاصات من نصيب الجنديَّين الواقفين على البوَّابة، حينها كانت زخَّات الرَّصاص تمطر حول المجاهدين "عماد وهارون"، عبر أبراج المراقبة والثَّكنات العسكريَّة المُتواجدة في ذاك الموقع، ما أجبر المجاهدين على الانسحاب تاركين خلفهم جنديًّا قتيلًا غارقًا في دمائه، وآخرَ مصابًا بإعاقةٍ دائمةٍ أجبرته على عدم القدرة على الحركة إلَّا بكرسيٍّ



الجندي القتيل/رقيب أول/ شموئيل جريش

متحرِّكٍ طيلة حياته، ووُفق شهود العيان في تلك المنطقة لم يتجرَّأ صهيونيٌّ واحدٌ من ذاك الجيش -الذي لا يُقهر- من الخروج من ثكنته العسكريَّة أو برج المراقبة الحصين، إلَّا بعد مُضيِّ 20 دقيقة على انتهاء العمليَّة، والتَّأكُّد من توقُّف نيران رشَّاشات المُنفِّذين.

انسحب المجاهدون من مكان العمليَّة بسلام، مُتَّجهين صوب الأماكن الآمنة المُجَّهزة لذلك مسبقًا، حيث بلدة "تفُّوح"، يستغلُّون الدَّقائق التي تفصلهم عن الحظر الشَّامل الذي ستفرضه قوَّات الجيش الصُّهيوني على مدينة الخليل إثر هذه العمليَّة، فوصلوا أماكنهم بأمان تحفُّهم رعاية الرَّحمن.

لم يُرِدِ المجاهدون أن يخرجوا من مكان العمليَّة دون تقديم الواجب، وهو تركُ هديَّةٍ للحكومة الصُّهيونيَّة، "ورقة كرتونٍ" مكتوبٌ عليها بالعبريَّة: "نفَّذتْ هذه العمليَّة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام".

ردَّة الفعل على هذه العمليَّة:

اشتاطت الحكومة الصُّهيونيَّة غضبًا على هذه العمليَّة، فكيف لرصاصات القسَّام أن تصل إلى جسد جنودهم الآمنين في أكثر المربَّعات الأمنيَّة تحصينًا في الضِّفَّة؟!


محيط الحرم الإبراهيمي بعد العملية

حينها شنَّت عمليَّات تمشيطٍ موسَّعةٍ طالت مدن الضِّفَّة، وفُرض حظْر التَّجوُّل في مدينة الخليل، ودوهمت أعدادٌ من البيوت؛ ولكنَّ محاولات الإمساك بمنفِّذي العمليَّة باءت بالفشل.

وهكذا استطاعت كتائب القسَّام أن تُربك حسابات الحكومة الصُّهيونيَّة ببضع رصاصات، حقَّقت عنصرَ المفاجأة والصَّدمة، في خطوةٍ عسكريَّةٍ إبداعيَّةٍ جديدة.

كان ردُّ حكومة الاحتلال عبارةٌ عن جملةٍ واحدةٍ عمَّمتها على كلِّ المغتصبين وجنود الاحتلال الذين يسكنون في مدينة الخليل: "من الآن فصاعدًا لا تخرجوا من منازلكم إلَّا بالسِّلاح، للضَّرورة القُصوى".

ما بعد العمليَّة

استنفرت قوَّات جيش الاحتلال، وفقدتْ دولة الكيان صوابها، لتشنَّ حملة اعتقالاتٍ شرسةٍ طالت جُلَّ نشطاء حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في مدينة الخليل، فارضةً منع تجوُّلٍ وطوقٍ أمنيٍّ عليها، استمرَّ لمدَّة 12 يومًا، جابت خلالها الطَّائرات المروحيَّة سماء مدينة الخليل على مدار هذه الأيَّام.

رسالةٌ من غزَّة

بعد العمليَّة بأيَّام قليلة، وصلت إشارةٌ للقائد عماد بقدوم المجاهد محمَّد دُخَان إلى أراضي الضِّفَّة، حيث مكث فور قدومه بمدينة نابلس، حينها أشار على المجاهد هارون ناصر الدين بَدْء البحث عن المجاهد محمَّد وجلبه إليه بعد التَّأكُّد من شخصيَّته.



المجاهد / محمد دخان

بدأ المجاهد هارون عمليَّة البحث عبر أصدقائه ورفاق دربه ممَّن يسكنون في مدينة نابلس، حتَّى أوصله أحدهم إلى ضيفٍ قد حلَّ عليه من غزَّة يحمل كُنية "أبو محمَّد" يبحث عن صديقٍ له يريد الوصول إليه، حينها طلب المجاهد هارون لقاءه، وما أنْ وصل إليه وتعرَّف على شخصيَّته حتَّى سأله عن صفات ذاك الشَّاب الذي يبحث عنه؛ كي يتمكَّن من مساعدته، وما أنْ سرد المجاهد محمَّد حديثه حتَّى كانت الصِّفات تطابق القائد عماد بشكلٍ واضح.

عاد المجاهد هارون مُحدِّثًا قائده عماد عن هذا الرَّجل، فسأله عماد عن صفاته وطبيعة مظهره، ليجد أنَّ هذا الشَّاب هو رفيق دربه محمَّد الذي يرقب لُقياه.

حضر المجاهد محمَّد دُخَان حيث رفيق دربه القائد عماد، ليتعانقا عناق المشتاقين للعمل في سبيل الله معاً، يستذكرون تلك اللحظات التي مكَّنتهم من رقاب الصَّهاينة معاً، ووسط هذا الاشتياق وروعة اللقاء، سرد المجاهد محمَّد رسالةً من قيادة كتائب القسَّام في قطاع غزَّة، مفادها ضرورة عودة القائد عماد إلى هناك.

الفصل الثالث

العودة الجهاديَّة لقلعته العتيَّة

أوَّلاً: جهادٌ يتجدَّد

"ستة شهور" هي المدَّة التي قضاها عماد في الضِّفَّة الغربيَّة، كانت كفيلةً بأن يُشعل العمل العسكري، وأن يُكدِّس الرُّعب في قلوب الصَّهاينة الذين باتوا يحسبون تحرُّكاتهم في شوارع المدن، فرصاصات عماد باتت أقرب من أيِّ ملجأٍ لهم، فهذه العمليَّات التي قاموا بها دفعت الحكومة الصُّهيونيَّة إلى ضخِّ كلِّ إمكاناتها الاستخباريَّة والعسكريَّة في الضِّفَّة؛ للإمساك بعماد وضبط الخلايا القسَّاميّة، فأغلقت الطُّرقات، وأوجدت حواجز عسكريَّة، وكثَّفت من تجمُّع الجنود فيها، وبثَّت عيونها في كلِّ مكان، والهدف معروف، "أيُّ معلومةٍ تدلُّها على عماد!"

أمَّا بالنِّسبة لخلايا الضِّفَّة الغربيَّة، فقد تلقَّت ضربةً مُوجعةً باعتقال قائد كتائب القسَّام هناك "الشَّيخ صالح العاروري" واثنَي عشر من إخوانه؛ فكان القرار السَّريع خروج عماد من الضِّفَّة الغربيَّة واستلام حاتم المُحتسب لقيادة العمل العسكريِّ هناك.

غزَّة من جديد

من فوَّهة بندقيَّته كان يرى أنَّه ليس من الضَّروري أن تمسَّ رصاصاته كلَّ الجنود في مدن الضِّفَّة؛ فرصاصاتٌ في رأس جنديٍّ بمربّعٍ أمني تكفي لسلْقِ قلوبهم بالرُّعب؛ وتكفي بضع عمليَّاتٍ لتُعيد اتِّزان الأرض لأصحابها، فصليةُ الرَّصاص بحاجةٍ إلى ضغطة زنادٍ واحدةٍ؛ كي تُزغردَ باقي الرَّصاصات.

بقدر الدَّهاء الأمنيِّ الذي تمتَّع به عماد، والشَّجاعة التي تحلَّى بها، بقدر الجرأة التي كانت تتملَّك تصرُّفاته، كان ذلك باديًا أثناء عودته إلى غزَّة، فبعد أن شدَّدت قوَّات الاحتلال قبضتها الأمنيَّة على الضِّفَّة، كانت ترى احتماليَّة عودته إلى قطاع غزَّة من خلال معبر بيت حانون (إيرز) أمرًا واردًا جدًّا؛ ومع ذلك فإنَّ عمادًا كان مُصرًّا على العودة إلى غزَّة من خلال معبر بيت حانون (إيرز) نفسه، فهل يخذله حدْسه هذه المرَّة، وتنتهي حكاية الثَّائر في منتصف الطَّريق؟!

حاجز التَّوقيف مجدَّدًا

سيَّارة مرسيدس صفراء –سعة 7 ركَّاب–، يقودها أحد الشُّبَّان المقرَّبين، يحمل هويَّةً صهيونيَّة. هذا ما احتاجته رحلة عماد، الذي لم يكن برفقته في السَّيَّارة سوى السَّائق والمجاهد محمَّد دُخان الذي يجلس بجانبه.

جلس القائد عماد في الكراسي الوسطى للسَّيَّارة وبحوزته المسدَّس وقطعة سلاحٍ من نوع كلاشنكوف كان قد أخفاها في سلَّة الملابس الموجودة أسفل قدميه، أمَّا المجاهد محمَّد فقد استقرَّ في الكرسيِّ المجاور للسَّائق، الذي أشار عليه المجاهد محمَّد أنْ يُدير محرِّك السَّيَّارة، مُنطلقين إلى معبر بيت حانون (إيرز)، وقبل وصولهما إلى حاجز التَّوقيف، وضع عماد مسدَّسه بين قدمَيه، وحبس أنفاسه، وقال لمحمَّد: على بركة الله!، وحينما وصلت السَّيَّارة حيث الحاجز، تقدَّم الجنديُّ المتمركز هناك طالبًا من السَّائق أوراق سيَّارته، فأعطاه إيَّاها دون إبداء أيّ ردَّة فعل، ولكن ودون أيِّ سبب، وإذ بالجنديِّ يأمره كذلك بتسليمه مفاتيح السَّيَّارة، في وقتٍ كان فيه المجاهد محمَّد يرسم خطَّته أنْ يُدير محرِّك السَّيَّارة، ويهرب إذا انكشف أمرهما. قاطع تفكير المجاهد محمد تراجع الجندي عن طلبه لمفاتيح السَّيَّارة، ومُكتفيًا بفتح الباب المجاور للسَّائق؛ ليُلقي نظرةً على السَّيَّارة من الدَّاخل؛ خوفًا من أن تكون مسروقةً أو غير ذلك، وبعد أن أنهى إجراءاته وأغلق الباب، همس عماد في أذن مُحمَّد قائلًا: "لو أنَّه أتى من عندي لأطلقتُ النَّار عليه"، فردَّ عليه محمَّد قائلًا: "أنت تُطلق عليه النَّار، وأنا أذهب هباءً منثورًا..." وأخذ يضحك.

وبعد خمس دقائق، أرجع الجنديُّ أوراق السَّيَّارة ومفاتيحها لمحمَّد، قائلًا له: "اذهب"، فتحرَّكتْ السَّيَّارة لتجتاز الحاجز، منطلقةً إلى قطاع غزَّة، حيث مخيَّم الشَّاطئ، وبينما السَّيَّارة تسير في شوارع غزَّة استدرك محمَّد أنَّ السَّيَّارة تحمل نمرةً صفراء "صهيونيَّة"، وكانت الأجواء في تلك اللحظة أجواء انتفاضة، فخاف أن يُشاهدهم الشَّباب الثَّائر فيرشقونهم بالحجارة؛ ظنًّا منهم أنَّ من بالسَّيَّارة مُغتصِبون صهاينة، فبسرعةٍ أشار على السَّائق أن يُوقف السَّيَّارة جانبًا، ويُغطِّي هذه النِّمرة.

ما أنْ وصلت السَّيَّارة المخيَّم حتَّى لمح أحد أطفالها تلك النِّمرة التي انكشفت بسبب الهواء، فبدأ ومن معه برشق السَّيَّارة بالحجارة، حينها انتفض المجاهد محمَّد وخرج من السَّيَّارة، ليُبصر شابًّا يعرفه، فاستدرك الشَّابُّ الأمر وأشار على الأطفال بالتَّوقُّف.

وهكذا استطاع المطلوب رقم (1) - بعد معيَّة الله - أن يدخل قطاع غزَّة بسيَّارةٍ عاديَّةٍ ودون هويَّة، مُتفوِّقًا على المنظومة الأمنيَّة للجيش الذي لا يُقهر كما يزعمون.

مرحلةٌ جديدة... وقراراتٌ فريدة

إثرَ التَّشديدات الخانقة التي مارستها الحكومة الصُّهيونيَّة، وقلَّة الإمكانات والإيواء، ونقص السِّلاح، وشُحِّ التَّمويل، وازدياد عدد المُطاردين؛ قرَّرت القيادة إخراج مجموعةٍ من المطاردين إلى خارج فلسطين؛ من أجل التَّخفيف من عددهم، واكتساب خبراتٍ عسكريَّةٍ جديدة، وجلب التَّمويل والسِّلاح، فطُرحت العُروض على جميع المطاردين، حينها كان قائد الكتائب ياسر النَّمروطي قد استشهد.

كان عماد المطارد رقم (1)، وكانت قيادة الحركة تخشى فقْدَ شخصيَّةٍ بوزنه، فعندما عاد من الضِّفَّة الغربيَّة أرسلت له قيادة الحركة المجاهد ناصر عبده؛ كي يُقنعه بالخروج إلى خارج القطاع، فردَّ عليه قائلًا: "ما الذي فعلتُه أنا كي أخرج إلى خارج القطاع؟، أنا لم آتِ إلى قطاع غزَّة كي أخرج منه".

ماذا وجد عماد في غزَّة من متغيِّرات؟

- قائد عامٍ جديد
- نتيجة قلة السِّلاح وندرته ولصعوبة الإيواء خرج معظم المُطاردين إلى الخارج.
- خرج من غزة ولديه علمٌ عن الكارل غوستاف والعوزي والمسدَّس، وعاد إليها وقد تدرَّب على الجاليل و M16 والكلاشنكوف.

- عماد عاد بسمعةٍ جهاديةٍ ومجدٍ عظيمٍ ونموذجٍ ملهمٍ للشباب المجاهد المنتفض الثائر.

لقد أخذ القائد عماد عقل قراره بالبقاء في قطاع غزّة؛ ولم يكن يعلم أنّه على موعدِ التّكليف... إنهّا مسؤوليّة كتائب القسّام في غزّة! وهنا تبدأ الحكاية الحقيقيّة لعماد عقل.

القائد عماد عقل والعمليّات العسكريَّة في قطاع غزَّة...

عماد الوفي يتفقَّد أصدقاءه!

لم يكن من الغريب على شخصٍ مثل عماد أن يستقطع شيئًا من وقته الثَّمين؛ كي يتفقَّد أصدقاءه الذين عاش معهم ذكرياتٍ كثيرةٍ في حياته، فبعد أن وصل إلى قطاع غزَّة، بدأ يُجهِّز نفسه للمرحلة التَّالية.

"ليس من السَّهل أن تنبش في ذاكرتك عن بقايا ذكرياتٍ جمعتك مع أناسٍ أحببتهم"... بهذه الكلمات افتتح المجاهد "أبو أحمد" كلمته حينما سُئل عن عماد، وقد أكمل قائلًا: "بعد ما يقارب الرُّبع قرن، لم أعد أستذكر لحظاتي مع عماد؛ لكنَّني ممَّا لا أنساه ذلك اليوم الذي جاءني فيه زوج أختي، وأخبرني أنَّ أحد الإخوة مشتاقٌ لي، ويريد أن يراني، فقلتُ له: من هو؟ فقال: تعال معي، فاصطحبني إلى أحد الأماكن، وعندما دخلتُ البيت، كان ذلك الشَّخص هو أبو حسين "عماد عقل"...

احتضنتُه طويلًا وطويلًا، فأنا لم أره منذ أنْ كنَّا في السِّجن عام 1989م، لم أكن أتوقَّع أن يتذكَّر أصدقاءَه في غمرة الجهاد والمطاردة؛ لقد كان وفيًّا من أهل الوفاء، كنتَ ترى مسحةَ الولاية الربَّانيَّة على وجهه".

عماد في غزَّة

وصل عماد عقل إلى قطاع غزَّة والأمان يغمره، فاستقبله المجاهد ناصر عبده وتولَّى مَهمَّة إيوائه فور وصوله، هذه المرَّة تختلف عن المرَّات السَّابقة، فلقد أصبح الجناح العسكري أقوى عودًا، وأشدَّ تماسكًا، وأكثر انتظامًا وفعاليَّة،

فبمجرد وصوله كانت البيئة الجهاديَّة الحاضنة له جاهزةً من إمكانات العمل والمال والسِّلاح والشَّباب المنظَّم، وكذلك المأوى؛ ما جعل عمادًا فرِحًا بما وصل إليه الإخوة؛ لكنَّ (عماد) البار بوالدَيه لم يُطِق ساعات انتظاره، فأخبر ناصرًا عن شوقه لوالديه، فطلب منه ناصر التَّريُّث في مأواه، وأنَّه سيتولَّى مهمَّة إحضارهما له؛ وبالفعل لقد كان لقاءً حميميًّا تلقَّف فيها الوالدان ابنهما الغالي على قلوبهما بأحضانٍ عميقة، وتأمُّلاتٍ عظيمةٍ في وجه ابنهما الذي ابتعد عنهما ولا يوجد خبرٌ هل يعود أم لا؟ إنَّه ولَدُهما، الذي ربَّياه على يدَيهما، وتجرَّعا سويًّا قسوةَ العيش والغُربة عن الوطن.

كان والده يعلم مدى حبِّه للجهاد، وحجم الرُّوح الجهاديَّة التي يُدثِّرها في حنايا قلبه؛ لكنَّه لم يتوقَّع أن يغيب عنه ابنه لعامَين فقط، ثُمَّ يعود إليه المطلوبَ رقم (1) للحكومة الصُّهيونيَّة! لقد ملأ هذا الرَّقم قلب والدَيه خوفًا وحرصًا عليه، وفي الوقت نفسه عزَّةً وكرامةً وعظمة... مكثا عدَّة ساعاتٍ عنده، تناولا طعام الغداء، تداولا معه أخبار إخوته وشقيقته، وعندما همَّا بالانصراف شدَّ الوالد كتف ابنه بلهفة، وقال له: احرص على نفسك يا ابني، أرجوك احرص على نفسك وكن حذِرًا... فقال له مقولتَه الخالدة:

" طالما أنّي أحمل سلاحي فلن يستطيع أحدٌ أن يمسني بسوء بإذن الله...!"

لأوَّل وهلةٍ، يُثيرك الرَّيبُ في مستقبلٍ مجهول؛ وما يُدريك، قد يعتقلون عمادًا، قد يسافر ... لكن هل سيُوفَّق عماد في هذه المقولة؟!

يوميَّات مطارَد

يقول صلاح عثمان: "في إحدى ليالي شهر نوفمبر عام 1992م وبينما كنتُ أسير في إحدى شوارع المنطقة القريبة من البيت، وإذ بصوت عماد يُنادي علي، فالتفتُّ وإذ به هو حقًّا وقد كان مستقلًّا سيَّارة، وبعد أن اقتربتُ منه قال لي: "سوف آتي إليك السَّاعة التَّاسعة مساءً"، وذهب بعدها، ووصلتُ البيت وجلستُ أنتظر عقارب السَّاعة وهي تدور حتَّى وصلت إلى التَّاسعة ولكنَّ عماد لم يأت، ومرَّت العاشرة والحادية عشر ولم يأت... حينها خشيتُ أن يكون قد أصابه مكروه؛ لأنَّ

معرفـتي بعمـاد أنَّـه يحترم المواعيـد، مـرَّت دقائق وأتى عماد، فأدخلتُـه في إحـدى غـرف المنزل واستفسـرتُ عـن تأخُّـره فأخبرني أنَّ الشَّـوارع كانـت مكتظَّـةً بالجنـود، وبالـكاد اسـتطاع أن يجتازها، فتركتُـه ليرتـاح قليـلًا مـن أثـر التَّعـب الظَّاهـر علـى عينيـه".


القائد عماد عقل، يخطط للعمليات خلال المطاردة

ثمَّـةَ شيءٌ يُحدِّثنـا بـه المجاهـد صـلاح كان يقـرأه في عيـني عمـاد: "إنَّ عينيـه كانتـا تخبرك بحجم التَّعـب الذي يعانيـه يوميًا هو ورفاقـه المطـاردون، فـأن تكون مطـاردًا يعني أن تعيـش بـلا مـأوى ولا أهـلٍ ولا أصدقـاء ولا مـال، تـدور في حَلَبَـةٍ دائريَّـةٍ مُدجَّجـةٍ بالعيـون الـتي ترصـدك وتتعقَّبـك، تسـير في شـوارع وبيَّـاراتٍ طويلـةٍ على قدميك تحت لهيـب الشَّـمس، لا تسـتطيع التَّواصـل مع رفاقـك إلَّا مـن خلال النِّقـاط الميتة، ويجب أن تنتظـر أيَّامًـا كـي يصلـك ردُّهـم، تمـرُّ أيَّامٌ عليـك لا تجـد فراشًـا تنـام فيـه، لحافـك السَّـماء، وفراشـك أوراق الشَّـجر المُعفَّـر بالتُّربـة الطِّينيَّـة، إنْ أردتَ المسـير في الليـل فيجـب أن تأخـذ حـذرك مـن كلِّ شيء، حـتَّى مـن أوراق الشَّـجر المتنـاثـرة علـى الأرض، هـذه الأوراق قـد تكـونُ كفيلـةً - وحدهـا - بكشـف أمـرك عندمـا تطأهـا، فتُحـدِثُ صوتًـا مزعجًـا يشـدُّ العيـون الـتي ترصُدُك. هكـذا بدتْ عينـا عمـاد المُتعبتـان، وهكذا بـدتْ حالـه وحـال المطارديـن مـن خلفـه".

يُكمـل صـلاح: "أحضـرتُ لـه طعـام العشـاء، وبدأنـا نتبـادل أطـراف الحديـث، وهـو يحدِّثنـا عـن رحلتـه في الضِّفَّة؛ لكـنَّ عمادًا من طبعـه الأمني، لم يكـن يتحدَّث عن تجاربـه والمواقـف الـتي تحـدُث معـه، وهـذا مـا كنـتُ أقـدِّره فيـه، فلم أشـأ أيضًـا أنـا وأخي محمَّـد أن نُرهقـه، فتركنـاه وحـدَه حـتَّى الصَّبـاح".

"مرَّ الليل وأشرقت شمس الصَّباح واجتمعنا على مائدة الإفطار... وعاد عماد لممارسة مهمَّاته في العمل العسكري، طلب منِّي أن أُحضر له رفيق دربنا المجاهد ماهر زقوت "أبو عماد" ووالدَيه، وبعض الإخوة المجاهدين. كان ماهر زقُّوت "أبو عماد" عائدًا من دولة ليبيا، وبالفعل لبَّيتُ طلبه خلال ساعات، وجلس مع كلِّ واحدٍ منهم على انفراد، ولم يكن من عادتنا الفضول لمعرفة ما يجري، وكنَّا نهتمُّ بحدود ما يُكلِّفنا به... لكن ما لفت انتباه أخي محمَّد، وحدثَّني به فيما بعد أنَّه عندما جاء المجاهد ماهر زقُّوت "أبو عماد" ليُمسك سلاح M16 فكَّ المِشط بطريقةٍ فنِّيَّةٍ تُوحي لك أنَّه مدرَّبٌ جيِّدًا على السِّلاح، ولشدَّة فطنة عماد لاحظ ذلك، فقال له: "من درَّبك على سلاح M16؟" فقال له: "ومن أدراك أنِّي على درايةٍ به؟"، فقال له عماد: "يبدو أنَّك صيَّادٌ ماهرٌ يا ماهر!"، فضحك ماهر، وقال له: "لقد تسنَّت لي فرصةٌ للتَّدرُّب عندما كنتُ في الخارج". فهزَّ عماد رأسه، وقال له: "جهِّز نفسك للصَّيد إذن".

مرَّت شهورٌ ليجتمع البطلان مرةً أخرى على هدفٍ دَسِم في عمليَّة "مصعب بن عُميْر" إحدى أشهر عمليَّات عماد.

كان هذا يومٌ من يوميَّات المطارد، أوامرٌ بالرَّصد، تربيطٌ للمجموعات، تخطيطٌ للتَّحرُّكات... ثُمَّ تنفيذٌ في جوٍّ مليءٍ بالتَّعب والإرهاق والصُّعوبات التي لا يتوقَّعها بشر؛ لكنَّها عيون اللاجئ التي لم تعرف التَّعب منذ أن هُجِّر أجدادُه... ولن تعرف...

استجمع عماد نفسه، شكرَ صديقه صلاح على استضافته، وغادر بسلَّته البلاستيكيَّة إلى مأوىً آخر وعمليَّةٍ تاليةٍ.

فأين ستكون العمليَّة التَّالية؟ ومن هو صاحب الحظِّ السَّيِّء الذي ستطاله رصاصات "ذو الأرواح السَّبعة...؟"

(المطارِد)!

بينما كانت الحكومة الصُّهيونيَّة منهمكةً في البحث عن عماد عقل في الضِّفَّة

الغربيَّة؛ لم يكن يعلم رابين أنَّ عمادًا وصل غزَّة فعلًا، وهو الآن على مقربة أمتارٍ فقط من أحد جنوده المُغفَّلين الذين يخدمون هناك!، وكانت هذه المدَّة تُسمَّى بـ "الحِقْبة المجنونة" فكلُّ يومٍ كان يمر للتَّخطيط للعمليَّة التي تليها، كان عماد يخرج لعمليَّةٍ واحدةٍ كلَّ أسبوع، لقد أصبحت العمليَّة عادةً يوميَّة.

عملية الشَّيخ رضوان: العمليَّة رقم (5)

المهمة	قتل جنود حراسة
التاريخ	1992/11/25م
الزمان	09:30 ص
المكان	الشَّيخ رضوان
المنفذون	عماد عقل، سالم أبو معروف، أبو شعبان
الحصيلة	قنص جنديٍّ صهيوني
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف

الخطَّة والرَّصد:

لم تمرَّ بضعة أيَّامٍ على مجيئه إلى غزَّة، حتَّى أبلغه فريق الرَّصد بوجود جنديَّين يحرسان أحد معسكرات الجيش غربَ الشَّيخ رضوان، ولوحظ خلال الرَّصد أنَّ أحد الجنود يبقى لوحدِه السَّاعة التَّاسعة والنِّصف صباحًا، وأنَّ أقرب نقطةٍ للتَّصويب على هذا الجندي تبعد 20 مترًا عنه، حيث الأسلاك الشَّائكة التي تحُول دون دخول الموقع، فكان القرار بقنصه.

التَّنفيذ:

بات واضحًا منذ انطلاق المجاهدين "عماد وسالم" بسيَّارة البيجو 504 مدى سهولة العمليَّة؛ فبساطة تنفيذها ووفق المخطَّط المرسوم لها لم تكن تحتاج لخروج مجاهدين اثنين؛ إلَّا أنَّ الحيطة مطلوبة، والتَّجهُّز للأسوأ من حسن التَّخطيط العسكري.


معسكر جيش الاحتلال، غزة، الشيخ رضوان

بكلِّ بساطة... وصل المجاهدان إلى محطَّة البترول المقابلة للهدف، ووقفا بجانب جدار المكتب الخاص بالمحطَّة، الذي كان يُخفيهما عن الهدف -جندي الحراسة- وكذلك نقطة المراقبة التي تعلو الموقع العسكري، وما أن سنحت الفرصة، حتَّى عدا المجاهدان نحو الهدف الذي كان يضع يديه في جيوبه، وسلاحهما بين يديهما، وما أن وصلا قُبالة الهدف، حتَّى صبَّا رصاصات سلاحيهما نحو الجندي واصطاداه بكلِّ سهولة، ثُمَّ عادا إلى قواعدهما بسلام، وهما يهتفان من داخل السَّيَّارة (القسَّام... القسَّام... القسَّام).

انسحب المجاهدان وتركا خلفهما حشودَ النَّاس، وصوتًا يتلاشى شيئًا فشيئًا "الله يحميكم! الله ينصركم".

عمليَّة الشَّيخ عجلين الأولى: العمليَّة رقم (6)

المهمة	كمين لمركبةٍ عسكريَّة -من نوع جيب-
التاريخ	1992/12/04م
الزمان	09:00 ص
المكان	الشَّيخ عجلين - شارع 8
المنفذون	عماد عقل، جميل وادي، أبو شعبان
الحصيلة	إصابات في الجنود الصَّهاينة
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف

هذه المرَّة يشارك عماد عقل في هذه العمليَّة الجنرال القسَّامي جميل وادي "قائد المنطقة الجنوبيَّة في كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام..."

الرَّصد والتَّخطيط:


عماد عقل وهو يحمل سلاح العملية "كلاشنكوف"

ما زالت عمليَّة رصد الأهداف العسكريَّة مستمرَّة، فقد وصل للقائد عماد خبرٌ مفاده أنَّ مركبةً عسكريَّةً من ذات الفئة التي تُقلُّ ضبَّاطًا صهاينة -جيب قيادة-، تسير في وقتٍ مُحدَّدٍ في شارع 8 التُّرابي، مُتَّجهةً صوب مفترق الشَّيخ عجلين، حينها استقلَّ القائد عماد سيَّارته، وانطلق صوب المكان يُعاين أرجاءه، وإمكانيَّة نجاح العمليَّة حال تنفيذها ضدَّ هذا الهدف، فاطمئنَّ قلبه، وبرزت البسمة على شفتيه، فقد وقع للمجاهدين هدفٌ جميلٌ باستطاعتهم نصب كمينٍ له والتَّعامل معه.

وفي ذات الوقت لم ينس القائد عماد تجريب سيَّارة التَّنفيذ في مكان العمليَّة، فأشار على سائق السَّيَّارة، وهو المجاهد أبو شعبان، أن يتفقَّد قدرة السَّيَّارة على تنفيذ العمليَّة العسكريَّة بها، فكانت جيِّدةً وعلى أكمل وجه.

عاد القائد عماد إلى مأواه واللهفة تتفجَّر منه، فقد علا حماسه لتنفيذ هذه العمليَّة، ليلتقي هناك بالقائد المجاهد جميل وادي، فشرح له مُجرياتها، ونسبة نجاحها العالية، حينها بدأ برسم خطَّة التَّنفيذ ومحاور الهجوم، ومقتلة الكمين، وما أن توافقا على الحيثيَّات حتَّى حملا سلاحيهما، وانطلقا معًا برفقة المجاهد أبو شعبان صوب ذاك الهدف الذي اقترب من نهايته.

التَّنفيذ:

وصل القائدان الشَّارع الذي ستمرُّ منه المركبة العسكريَّة، وقنصا تلك التَّلَّة التُّرابيَّة التي ستُخفيهما عن رؤيتها لهما قبل وصولها لمقتلة الكمين، والتي تُمكِّن المجاهدين من تحقيق عنصر المفاجأة بكلِّ دقَّة.

تـرك القائـدان بينهما مسـافة أمتـارٍ قليلـة، وأخفيا نفسـيهما خلـف التِّلال الرَّمليَّـة الصَّغـيرة المجـاورة لطريـق عبـور المركبـة، ومـا هـي إلَّا دقائـق قليلـة حـتَّى كان الصـوت الهـادر قـد لامـس أسـماع المجاهديـن، نعـم فقـد اقتربـت المركبـة العسـكريَّة -مـن نـوع جيـب- مـن الكمـين، حـتَّى وقعـت في المقتلـة، ليصـبَّ المجاهـدان "عماد وجميـل" وابـل رشَّاشـيهما تجاهها، مُصيبانها بشـكلٍ مباشـر، إلَّا أنَّها لـم تتوقَّـف مكانها، وظلَّـت في خطِّ سـيرها مُترنِّحـة، حـتَّى اختفـت بـين البيـوت السَّـكنيَّة، فأنهـى المجاهـدون العمليَّـة وانسـحبوا مـن المـكان بسـلامٍ والتَّكبـيرات تغمـر قلوبهـم.

نتائج العمليَّة:

هنا يتحـدَّث المجاهـد رائـد الحـلَّاق عـن تلـك اللحظـات قائـلًا: "لا زلـتُ أذكـر تلـك السَّـاعة مـن صبـاح يـوم الجمعـة، الـتي سـمعنا فيهـا أصـوات زخَّـات الرَّصـاص المُدوِّيـة، وذاك النِّـداء الـذي صـدح بـه أحـد المجاهديـن عـبر مكبِّرات الصَّـوت الخاصَّـة بمسـجد فلسـطين الكبـير؛ مُعلنًـا فيـه تبـنِّي كتائـب الشَّـهيد عـزِّ الدِّيـن القسَّـام تنفيذ العمليَّـة العسـكريَّة، والـتي نتـج عنهـا وقـوع إصاباتٍ في صفـوف جنـود الجيـش الذيـن كانـوا يسـتقلُّون هـذا المركبـة العسـكريَّة المُسـتهدفة".

هديَّة الانطلاقة الأولى: العمليَّة رقم (7)

المهمة	مباغتة جيبٍ عسكري
التاريخ	07/12/1992م
الزمان	بعد صلاة الفجر
المكان	مفترق الشِّجاعيَّة على الخطِّ الشَّرقي
المنفذون	عماد عقل وجميل وادي وأبو شعبان
الحصيلة	مقتل الملازم الصهيوني "حاجاي عميت"، والرَّقيبان "شالوم صبري، وأودي يهودا"
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف -دون أخمس-

الهدف:

جيبٌ عسكريٌّ متمركزٌ على مفترق الشِّجاعيَّة، به ثلاثة من الجنود، اثنان في المُقدِّمة والثَّالث في الخلف.

الرَّصد والخطَّة:

في عمليَّةٍ مشابهةٍ لعمليَّة التَّجاوز بمدينة الخليل؛ لكن هذه المرَّة في قطاع غزَّة... منطقةٌ محروقةٌ أمنيًّا... اكتظاظٌ سكَّاني... إمكاناتٌ بسيطة... تسع عشرة طلقة كلاشنكوف بحوزة جميل، وستٌّ وعشرون طلقة M16 بحوزة عماد.



القتيل / الرقيب / شالوم صبري

لاحظ أحد عناصر وحدات الرَّصد القسَّاميَّة مرور جيبٍ عسكري يُقلُّ ثلاثة جنودٍ يوميًّا، ينطلق من معسكرٍ للجيش شرق الشِّجاعيَّة، سالكًا الخطَّ الشَّرقي الذي يصل مدينة غزَّة بشمالها، ومركز الجيش بمنطقة المغراقة جنوبًا، حيث يمرُّ بمغتصبة ناحل عوز، فيتحرَّك ذهابًا وإيابًا. وممَّا أفاده الرَّاصد العسكري أنَّ الجيب يستقرُّ دقائق قليلة على مفترق الشِّجاعيَّة منذ أيَّام دون أن يتعرَّض أحدٌ له؛ ما يجعل عمليَّة مباغتته أمرًا غير متوقَّع، وهذا ما كان يظنُّه الجنود، الذين نقلوا ذلك حرفيًّا لأحد المُراسلين الصَّحفيِّين في جيش الاحتلال أنَّهم محظوظون لوجود هذا الشَّارع الآمن.



القتيل / الملازم / حاجاي عميت


القتيل / الرقيب / أودي يهودا

أجـل، لقـد كان آمنًـا فعـلّا، لكـن قبـل دقيقـةٍ مـن مـرور الجنرالـين "عمـاد وجميــل"!

كانت الخطّة كالتّالي: تمرُّ سيَّارة المجاهدين بجانب الجيب العسكري، فيفتح عماد الجالس في الكرسيِّ الخلفيِّ النَّار على الجنديِّ الجالس في الخلف، ومن ثَمَّ يتجاوز السَّائق الجيب، فيُطلق جميل النَّار على الجنديَّين الجالسَين في المقاعد الأماميَّة.

ما قبل العمليَّة

"كان القائدان "عماد وجميل" وعددٌ من المجاهدين الآخرين في منزل عائلةٍ مجاهدة، كانت تأويهم وتسهر على راحتهم، وهم من أوائل الرِّجال الذين آووا المطاردين، وسهروا على راحتهم، برغم ما تسبَّب ذلك لهم من أذى وخوفٍ وزيادةٍ في الأعباء المعيشيَّة؛ إلَّا أنَّهم وكغيرهم من العوائل المجاهدة القائمة على إيواء المطاردين كانوا مرحِّبين بذلك.


من مكان عملية الشجاعية 7/12/1992م

وممَّا لا يمكن أن يُنسى أن ربَّة بيت هذه العائلة المجاهدة لم تكن تترك دقيقةً في جوف الليل إلَّا وتدعو للمطاردين وتتعهَّدهم بالماء والطَّعام باستمرار، فيُذكر أنَّه في الليلة التي سبقت يوم العمليَّة طلبت الحاجَّة من عماد وجميل أن يأخذا قسطًا من الرَّاحة؛ كي

يخرجا للعمليَّة بكامل طاقتهما، أمَّا هي فقد ظلَّت مُستيقظةً حتَّى بزوغ الفجر، وهي تدعو الله لهم أن يحفظهم بحفظه ويكتب لهم التَّوفيق في جهادهم، وما أن صدح الأذان بكلمات التَّكبير حتَّى أيقظتهم، فصلَّوا الفجر معًا، ودعوا الله بلسانٍ واحدٍ معًا، ثُمَّ انطلقوا إلى العمليَّة، ودعوات الحاجَّة تُنير دربهم وتُهدِّئ من قلق قلوبهم.



من مكان عملية الشجاعية 7/12/1992م

فلم تكن ظروفهم ورديَّةً، فرصاصات الكلاشنكوف كانت شحيحةً جدًّا، فقد كان المجاهدون يُرسلون الشَّباب الصِّغار لإحضار الرَّصاصات الزَّائدة من أماكن تدريب الجيش والشُّرطة الصُّهيونيَّة، ثُمَّ يجلونها بالليمون، ثم يُحمِّصونها في الشَّمس، ولا يعلمون بمدى فعاليَّتها إلَّا أثناء تنفيذ العمليَّة.

التَّنفيذ:

انطلق المجاهدان "عماد وجميل" برفقة المجاهد الذي يقود السَّيَّارة، وما أن وصلوا المفترق حيث الجيب أضاء المجاهد السَّائق الضُّوء العالي في وجه الجيب؛ كي يعيق عليه الرُّؤية، فأشهر عماد سلاحه تُجاه الجنديِّ الجالس في المقعد الخلفي فأرداه قتيلًا، وحسبما تمَّ التَّخطيط له، تجاوز السَّائق الجيب في ثوانٍ سريعة، ليُفرغ القائد جميل رصاصاته في الجنديَّين الجالسين في المقدِّمة ... وفي دقيقةٍ واحدة اختفى أثر هؤلاء المنفِّذين!



إيهود باراك قائد الأركان يعاين الجيب المستهدف

القسَّام يتبنَّى العمليَّة

ما زال أحد المجاهدين يستذكر تفاصيل العمليَّة البطوليَّة التي قال عنها أحدُ المُحلِّلين الصَّهاينة: "إنَّها أكسبت حركة حماس نصفَ الشَّارع!"

بعد سماع المجاهد "ناصر" بالعمليَّة انطلق حيث مأوى المجاهدين، فوجدهم هناك "عماد وجميل وأبو شعبان" بانتظاره، وفور وصوله أخبروه بتفاصيل العمليَّة، وتلقَّف من أحدهم ورقةً تحمل في طيَّاتها تبنِّي كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام لهذه العملية البطوليَّة، فحملها المجاهد "ناصر" منطلقًا بها صوب أحد معارفه من الصَّحفيِّين، وما أن وصل إليه، وإذ بالصَّحفيِّ يبادر المجاهد "ناصر" قائلًا: "للتَّو وصلنا خبرٌ مفاده أنَّ عمليَّةً عسكريَّةً قد تمَّ تنفيذها على مفترق الشِّجاعيَّة..." فقطع المجاهد "ناصر" حديثه قائلًا: "نعم فكتائب القسَّام من قامت بتنفيذها وها هو بيان التَّبنِّي بخطِّ المنفِّذ" ولكن، كم كانت الحصيلة؟، فما أن نطق بها الصَّحفي حتَّى انفجرت سعادته وهرول مسرعًا صوب المجاهدين يحمل البِشارة.

نعم، فقد عاد لهم المجاهد "ناصر" ببشارةٍ عظيمة، وقف أمامهم والضَّحكات تتفجَّر من قلبه، مشيرًا على المجاهدين بيده... ثلاثةُ جنود!

حينها انطلقت الضَّحكات، وصدحت الحناجر بالتَّكبيرات، وتبادلت الأجساد والقلوب العناق والتَّحيَّات، فالفرحة عظيمة بالنَّتائج الكبيرة... فهي فرحةٌ بالتَّخطيط السَّليم، والتَّنفيذ المُحكم القويم... وهي عمليَّةٌ بطوليَّة أكسبت حركة حماس وجناحها العسكري كتائب القسَّام قوة إضافية، فقد أعطت صدى كبيرًا وتعاطفًا واسعًا.

ما الجديد في هذه العمليَّة؟

لقد استطاع القائدان "عماد عقل وجميل وادي" بهذه العمليَّة أن ينقلا عمل المقاومة الفلسطينيَّة من السَّكاكين إلى الكرِّ والفر، وإدخال عنصر المفاجأة، وتحقيق

مبدأ الصَّدمة بإيقاع أكبر قدرٍ من الخسائر البشريّة في صفوف الجيش؛ ما أعجز قوّات الجيش عن ملاحقة المجاهدين.



الشهيد القائد / جميل وادي

ومن زاويةٍ أخرى أظهر الجناح العسكريُّ لحركة حماس تفوُّقًا أمنيًّا واستخباراتيًّا؛ رغم قلَّة الإمكانات، وقبضة الحكومة الصُّهيونيَّة على قطاع غزَّة آنذاك، حيث إنَّها تُغيِّر من تكتيكها العسكري في كلِّ عمليَّةٍ تُنفِّذها، وظلَّت محافظةً على سرِّيَّة الرَّصد حتَّى آخر طلقةٍ أطلقها القائدان المجاهدان عماد وجميل.

كانت هذه العمليَّة الأجمل التي اشترك فيها جنرالا المقاومة الفلسطينيَّة "عماد عقل، وجميل وادي[1]".

عناية الانتقاء... وسموّ الأداء

اتَّسعت العمليَّات البطوليّة، وتسارع الشَّباب الثَّائر في الانضمام إلى صفوف الكتائب، ما حذا بقيادة القسَّام إلى البحث عن الشَّباب الكُفء، فكان القائد المجاهد "باسم عيسى" أحد هؤلاء الشَّباب، فيروي لنا قصَّة تعرُّفه على عماد،

(1) جميل إبراهيم أحمد وادي (1967-1993م): وُلد بتاريخ 1967/12/17م بمدينة خان يونس تعود أصوله لبلدة بيت دراس، التحقَ بكلِّيَّةِ أصول الدِّين في الجامعة الإسلاميَّة، انتمى لحركة حماس عن طريق القائد يحيى السِّنوار، وبدأ نشاطَه فيها عامَ 1988م. تسلَّم قيادة القسَّام في المنطقة الجنوبية لقطاع غزَّة وأسَّس الوحدةَ المختارةَ رقم (7)، يُعدُّ العقل المُدبِّر لكثيرٍ من العمليَّات العسكريَّة، أبرزها عمليَّة جاني تال، وعمليَّة خطف الجندي ألون كرفاتي، وعمليَّة إطلاق النَّار على مجموعة من المغتصبين في منطقة البحر غرب مدينة خان يونس، وعمليَّة الشُّجاعيَّة بالاشتراك مع القائد عماد عقل، إضافةً إلى عمليَّة إطلاق النَّار على الحاجز الصُّهيوني بتاريخ 1993/6/27م والتي أسفرت عن استشهاده بعد قتْلِه لضابطٍ صهيوني.

وكيف أصبح بعد ذلك مُرافقًا له: "كنتُ حديثَ الزَّواج، وكنتُ حاصلًا على رخصة قيادة، وأتمتَّع بقدرةٍ جيِّدةٍ على المناورة بالسَّيَّارات، فأذكر أنِّي كنت في زيارةٍ لبيت أخي في منطقة الشَّيخ رضوان، فرأيتُ عمادًا وعرض عليَّ الانضمام للعمل!

لم أتردَّد في القَبول، وانطلقتُ معه، فاشترى لي سيَّارةً، وأشار عليَّ بالتَّدرُّب على القيادة السَّريعة والالتفافات، وسرعة المناورة في المناطق الرمليَّة... فجئته بعد مدَّةٍ وأخبرته بجهوزيَّتي لمَهمَّات القيادة، ثُمَّ طلبت منه أن يدرِّبني على السِّلاح، فقال لي: "فقط؟ هذه بسيطة، اصعد معي" فقلتُ له: إلى أين؟، فقال لي: اصعد وستعرف!

بعد ذلك تعمَّقت العلاقة بين عماد والمجاهد باسم، وأصبح مُرافقًا خاصًّا له في درب الجهاد والمقاومة، ونفَّذا معاً عددًا من العمليَّات، كانت أهمُّها عمليَّة مصعب بن عُمير الشَّهيرة... استُشهد عماد، واستمرَّ هذا المجاهد وغيره ممَّن تنظَّموا على يد عماد في ذات الطَّريق فقاد أحد الألوية العسكرية في كتائب القسام وأبدع في ورش التَّصنيع العسكري إلى أن ارتقى شهيدًا بعد **30** عاماً من الجهاد في سبيل الله.

ثانياً: تخبُّط الكيان لاعتقال المقدام

إنَّه أمرٌ مُحزنٌ أنْ يُصبح المطلوبُ رقم (1) لكيان الاحتلال حسيرًا من الأهل والأحباب، إنَّها ليست كالمرَّة السَّابقة، لقد جفَّت منابع الإيواء التي اعتادت أنْ تحتضن عماد فجأةً في ليلةٍ وضُحاها، ولكن كيف؟ ما الذي حدث؟!

بعد أن فشلت كلُّ محاولات الإمساك بعماد ورفاقه المطاردين، وزاد عدد المُنكبِّين على إيوائهم، والعمل معهم من أبناء الشَّعب، وجد إسحاق رابين نفسه أمام تحدٍّ أصعب من سابقيه، فعماد نفسُه الذي لم يستطع الإمساك به عندما كان يتنقَّل وحيدًا في الضِّفَّة، كيف سيُمسِك به الآن وهو مدجَّجٌ بمناطق الإيواء والشَّباب المجاهد الفتي؟ "يجب علينا أن نُعرِّيَ غزَّة من كلِّ معارف المُطاردين، ويجب أن نُقصي كلَّ شخصٍ له علاقةٌ بهم"

هذه هي النَّتيجة التي توصَّلت إليها حكومة الاحتلال، فإنَّ إبقاء عماد طليقًا في قطاع غزَّة سيجعل مسألة "خدمة الجنديِّ الصُّهيونيِّ في قطاع غزَّة" ضربًا من الجنون والانتحار، إنَّهم يُطاردونَ شبحًا بسبع أرواح!



اعتقالات الإبعاد

بعد هذه الإخفاقات الأمنيَّة، أخذ رابين وحكومتُه التَّفكير في مسألة إبعاد 415 من كوادر وقيادات حركة حماس والجهاد الإسلامي إلى منطقةٍ تُسمَّى "مرْج الزُّهور" جنوبَ لبنان؛ في محاولةٍ لتضييق الخيارات وتشديد الخناق على أبطال المقاومة، فهل حدث ذلك؟ وكيف ستُنفَّذ هذه الفكرة المجنونة؟ وهل ستهتزَّ الكتائب بها؟ وهل سيظلُّ عماد ورفاقه وحيدينَ في وجه الرِّيح؟ أم هل سيُمسكون بهم فعلًا؟

هل القسَّام بخير؟

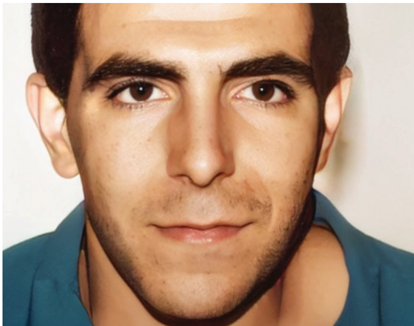
اعتقلت قوَّات الاحتلال الصُّهيوني مُعظم كوادر حماس، وأبعدوا الأغلبيَّة منهم، ولم يتبقَّ للمنابر أحدٌ يعتليها، فأركان العمل الدَّعويِّ والعسكريِّ والأمنيِّ لم يعودوا يقودون العمل؛ كان الحديث العام بين النَّاس أنَّ هيكليَّة حركةَ حماس وكتائب القسَّام ذابتْ تمامًا من اللَّحم إلى العظم!

في ظلِّ هذه المدَّة العصيبة على أبناء الشَّعب الفلسطيني، كان الكلُّ يُراوده الشَّك: "هل القسَّام بخير؟"، لقد كان الشَّعب ينتظرُ إطلالةً قسَّاميَّةً تُبدِّدُ شكَّهم، عمليَّةً واحدة، طلقتا رصاص، لقاءً صحفيًّا، أيَّ شيءٍ يُطمئنُهم على أصحاب البنادق الصَّادقة... كان أبناء الشَّعب يعلمون أنَّ هذه البنادق الصَّادقة إذا اندثرت فهم بحاجةٍ إلى عشرات السِّنين لإيجاد بنادقَ تقودهم للتَّحرير، إنَّ أبناء الشَّعب لم يريدوا الخوْض مع هذه الكوابيس!

اعتقد الصَّهاينة أنَّهم باعتقال كوادر حركتي حماس والجهاد الإسلامي قد قضوا على كتائب القسَّام فعلًا، فكان دور الإعلام الاستقصائي في وكالة رويترز، التي قطعت الشَّكَّ باليقين، وحصلت على لقاءٍ حصريٍّ مع أحد قيادات القسَّام! وخرج الخبر على لسانه!

هو ذاته ذلك القيادي ما زال حيًّا؛ ليُخبرنا بخبايا اللقاء: "بطريقةٍ أو بأخرى، وصلتني رسالةٌ من أحد صحفيِّ وكالة رويترز، يريد إجراء مقابلةٍ مرئيَّةٍ مع كتائب القسَّام، فرحَّبتْ الكتائب بذلك، وردَّت عبر قنواتها الآمنة بموعد ومكان المُقابلة، كان المكان في مسجد فلسطين وسط مدينة غزَّة، وصلتُ للمكان مُتأخِّرًا، وذلك بعدما تأكَّدتُ من تأمينه، ومن وجود الصَّحفي، فوضعتُ لِثامي وأقبلتُ عليه، فبادرَني بسؤاله قبل تسجيل الكاميرا: هل أثَّرت الاعتقالات على كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام؟ هل القسَّام بخير؟ فابتسمتُ له، ودعوتُه لتشغيل الكاميرا ليسمع الجواب: "بسم الله الرحمن الرحيم... إنَّ الاعتقالات الأخيرة وظرف الإبعاد لم تُؤثِّر على النُّواة الصَّلبة لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس وجناحها العسكري كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام، وإنَّ الأيَّام القادمة ستشهد عمليَّاتٍ نوعيَّةً وجريئةً، وستُثبت أنَّ الاعتقالات لم تطل إلا الأناس الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالعمل العسكري، والسَّلام عليكم!".

بعد أسبوعين من هذا اللقاء وبالتَّحديد في الثَّالث من شهر يناير عام 1993م وجَّهت كتائب القسَّام ضربةً قاصمةً باغتيال الضَّابط في جهاز الشَّاباك النَّقيب "حاييم نحماني" في إحدى فنادق مدينة القدس المحتلَّة، وذلك بعد أن



ضابط الشاباك / حاييم نحماني

تسلَّل المجاهد القسَّامي ماهر أبو سرور[1] إلى غرفة نومه واغتياله، واغتنام سلاحه الشَّخصي وحقيبة أوراقه الخاصَّة... لم تتمكَّن منظومة "الجيش الذي لا يُقهر" حسب زعمهم من معرفة ما جرى للضَّابط إلَّا بعد (4) ساعاتٍ من العمليَّة!



الشهيد المجاهد / ماهر أبو سرور

لستَ وحدَك!

إنَّها سُنَّةُ الكون التي رسَّخها الله تعالى، وهدى إليها مخلوقاته ... إنَّ صاحبَ الرِّسالة النَّقيَّة لا يندثر، وإنَّ قُوى الدُّنيا تتَّحدُ من أجل إنجاح رسالته، فإن لم تكن يا عزيزي القارئ رسالةُ كتائب القسَّام من تلك الرسائل، فأيُّ الرَّسائل تستحقُّ عناية الله وترحيب الكون؟!

كانت كلمةً عابرة تحدَّث بها المجاهد "أبو أحمد" في إحدى الجلسات الدَّعويَّة، فترتَّبت عليها أحداث وتفاصيل كبيرة، يُسطِّرها التَّاريخ بوفاءٍ كبير، هذه الكلمة هي التي عرَّفت عماد عقل على بيت الأم مريم فرحات "خنساء فلسطين".

فكيف تعرَّف عماد على آل فرحات؟!

يروي لنا المجاهد وسام فرحات قصة ارتباط عائلته بقمر الثُّوار "عماد": "كنتُ في جلسةٍ مع أخٍ لي من المجاهدين وهو "أبو أحمد"، كانت تربطني به علاقةٌ قويَّة، وكان على علاقةٍ مع المجاهد عماد عقل وبعض المطاردين، حيث كان يساعدهم في تأمين البيوت.

(1) ماهر أبو سرور (1971-1993م): وُلِد عام 1971م في مخيم عايدة ببيت لحم، بين أحضان أسرة متديِّنة، تعلَّق قلبُه بمسجد أبو بكر الصِّديق، وكان أوَّل من أقام له مكتبةً ثقافيَّة، التحق بدعوة الإخوان المسلمين في سن الخامسة عشر من عمره، شارك في أحداث الانتفاضة منذ بداياتها، واعتقلته قوات الاحتلال عام 1989م، مطلقةً سراحه بعد 4 أشهرٍ قضاها في سجن كيتسعوت، نفَّذ عملية قتلٍ لضابط المخابرات الصهيوني "حاييم نحماني" واغتنم مسدسه وحقيبته الشَّخصيَّة، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 1/7/1993م خلال تنفيذه عملية "التلة الفرنسية البطولية" والتي نفَّذها برفقة المجاهدين "محمد الهندي وصلاح عثمان" في قلب القدس.

وفي تلك الجلسة أخذنا نتناول موضوع المطاردين والمجاهدين، فأخبرنا المجاهد "أبو أحمد" عن حجم المعاناة التي يُعانيها الإخوة، وكان ممَّا قاله: "لنا إخوةٌ مطاردون يبيتون في السَّيَّارات وعلى الشَّجر"، فقلتُ له: "لماذا؟، وما هي المشكلة؟"، فقال لي: "لا يجدون بيوتًا تأويهم من شدَّة الخوف والرُّعب"، فما أن سمعتُ تلك الكلمة قلت في نفسي: كيف لي أن أدَّعي محبَّتي للدِّين وحرصي على المقاومين، ولا أستطيع أن أكون سندًا لهم؟! يجب أن أُنقذهم، ويجب أن يكون لي سهمٌ في هذه المنظومة المُشرِّفة، وبعد يومين من التَّفكير قرَّرت الاجتماع بإخوتي نضال[1] وحسام، فجلسنا في غُرفتنا وعرضتُ عليهما فكرة استقبال المطاردين في بيتنا، فكان التَّرحيب منهما كبيرًا؛ ما شجَّعني على الاستمرار في الفكرة، كنَّا نعرف أنَّ أقلَّ الخيارات ستكون صعبة، فإمَّا أن يُهدم البيت أو أن نستشهد بداخله أو أن نُلاحق، أو أن نُمنع من السَّفر؛ لكنَّنا أخذنا قرارنا واستندنا إلى والدتنا أمِّ نضال[2] التي أخبرناها بالقصَّة، فكان ممَّا قالته لنا: أنتم جئتم لإقناعي؟!، فقلنا: نعم يا حجَّة، فانفعلت، وقالت: هذا الأمر لا يحتاج لإقناع، توكَّلوا على الله! وبالنسبة لوالدكم، فسأتولَّى أمر إقناعه.

---

(1) **نضال فتحي فرحات (1971-2003م)**: وُلد بتاريخ 8/4/1971م في حي الشجاعية شرق مدينة غزة، وسط عائلةٍ مجاهدةٍ مضحِّية، التزم في مسجد الإصلاح منذ صغره، حصل على شهادة الثانوية العامة ثم انخرط في تجارة القماش بكلِّ أمانةٍ وإتقان، تزوج ليُرزق بولدٍ و4 بنات، اعتقلته قوات الاحتلال 3 مرات ومثلها على أيدي أجهزة السلطة الفلسطينية، وانخرط في صفوف كتائب القسام عام 1993م، وقد لازم القائد عماد عقل خلال إيوائه في بيت عائلته، كان له الفضل في تصنيع أول صاروخ قسام، ونقل مخططاته إلى مجاهدي القسام في الضفة، ثم عمل بعد ذلك على مشروع الطائرات الشراعية، وقد ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 16/2/2002م في عملية أمنية معقدة نفَّذتها قوات الاحتلال بمشاركة عملائه واستشهد معه ثُلَّة من مجاهدي كتائب القسام.

(2) **مريم محمد فرحات "خنساء فلسطين" (1949-2013م)**: تُكنَى (أمُّ نضال) وُلدت بتاريخ 24/12/1949م في قطاع غزة وسط بيتٍ محافظ، تزوجت بفتحي فرحات، وحصلت على شهادة الثانوية العامة بمعدل 80% وهي حامل بمولودها الأول، رزقها الله بـ 6 أولاد، و4 بنات، فتحت بيتها الواقع بحي الشجاعية مأوى للمجاهدين وعلى رأسهم القائد عماد عقل حتى استشهاده، وقد انطلق منه لتنفيذ عددٍ من العمليات العسكرية، ربَّت أبناءها على حب الوطن والجهاد، وانضموا جميعاً لصفوف كتائب القسام، فقدّمت نجلها الأكبر "نضال" شهيداً -صاحب الفضل في صواريخ قسام -1، وقدمت نجلها محمد استشهادياً في عملية بطولية أدت لمقتل 9 جنودٍ صهاينة، وقدمت نجلها رواد شهيداً إثر استهداف طائرات الاحتلال لسيارته، وقدَّمت نجلها وسام أسيراً في سجون الاحتلال لـ 11 عاماً، قصف الاحتلال بيتها 4 مرات، عملت نائباً في المجلس التشريعي عن حركة حماس، توفيت بعد صراعٍ مع المرض بعد 64 عاماً من العطاء.


خنساء فلسطين / مريم فرحات (أم نضال)

بعد ذلك ذهبتُ للمجاهد "أبو أحمد" وقلت له: "كلامك بخصوص المطاردين أثَّر بي، وأنا جلستُ مع الأهل ونحن قرَّرنا أن نفتح بيتنا لهم". فقال لي مُتعجِّبًا: "هل تتحدَّث بجدِّيَّة؟"، فقلت له: "نعم" فقال لي: "هل تعرف ماذا يعني المُطارد؟"، فقلت له: "أنا أعرف ماذا يعني ذلك، ونحن جاهزون لكلِّ شيءٍ بخصوص هذا الأمر". فقال لي: "سأردُّ عليك خلال أيَّام".


القائد عماد عقل في بيت القائد نضال فرحات

بعد ذلك جلستُ معه جلسةً خاصَّة، وقال لي: "الأخ المطارد الذي سأُحضره لكم هو مطاردٌ كبير، وله قيمته ووزنه، والاحتلال بكلِّ أركانه يُطاردونه على وجه الخصوص، وهو يبحث عن بيتٍ في منطقتكم. فقلت له: لا مشكلة لدينا، فمرَّ يومان وإذ بعماد يطرق باب منزلنا فأذنَّا له ودخل، وأخذ يستطلعه ويُدقِّق به، في تلك اللحظة كان والداي في باحة البيت، فرحَّبا به وجلسا معه، والتففنا جميعًا حوله وسبحان الله ما أعظم هذا الرَّجل".

أحبَّنا وأحببناه

يقول وسام: "سبحان الله في هذا الرَّجل، لقد كان جذَّابًا في حديثه، رائعًا من أوَّل جلسة، قويَّ الشَّخصيَّة، يتكلَّم بطلاقةٍ ويسحر الذي أمامه، وجدنا ارتياحًا من نوعٍ خاصٍّ بمجرَّد وصوله لمنزلنا، نفس الشُّعور من الارتياح تسلَّل إلى فؤاد عماد عندما عاد للمجاهد "أبو أحمد" وأخبره أنَّه ارتاح لمنزلنا كثيرًا وقرَّر المكوث فيه".

في المرَّة الثَّانية جاء عماد إلى المنزل، وكنَّا ملتفِّين حول "كانون النَّار"، فكان سبب مجيء عماد ليسمع الرَّدَّ الشَّافي من والدي، حينها قرأ والدي ذلك في عينَي عماد، وقال له: يا أخ أبو حسين "أنا وأبنائي وزوجتي وبيتي تحت أمرك، وفداءً لسلامتك أنت وإخوانك المطاردين". بعد هذا الموقف تغيَّرت حياتنا بأكملها.

بعد أن استقرَّ عماد في المنزل، قرَّرت الكتائب إجراء بعض الإصلاحات والتَّأمينات فيه؛ حفاظًا على سرِّيَّة المكان، فبنوا ملجأً بجانب البيت، وغرفةً تحت الأرض.

أصبح هذا البيت فيما بعد أكثر البيوت التي لازمها عماد، وكان أهله من أكثر النَّاس محبةً إلى قلبه، وصار له فيه حكايات... تشهدها الصَّفحات القادمة من الكتاب.

ثالثاً: لحن الجهاد بسلاح عماد

عمليَّة النَّصر الأولى: العمليَّة رقم (8)

المهمة	مهاجمة دوريَّةٍ عسكريَّةٍ تابعةٍ للجيش الصُّهيوني
التاريخ	01/1993م
الزمان	09:00 ص
المكان	شارع النَّصر - الرِّمال الشَّمالي
المنفذون	عماد عقل، باسم عيسى، رائد الحلَّاق
الحصيلة	غير معروف
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كارل غوستاف

ما قبل العمليَّة:

في صبيحة ذلك اليوم أرسل القائد عماد رفيق دربه باسم في طلب المجاهد رائد، وما أن اجتمعوا معًا، حتَّى أشار عليهما برغبته في تنفيذ عمليَّةٍ عسكريَّةٍ على الأهداف المُتحرِّكة دومًا على الخطِّ الشَّرقيِّ لمدينة غزَّة، ولكن وقبل ذلك، لابدَّ

للقائد من تفقُّد منطقة الكمين، ومحيطه، وطريق الانسحاب منه، فأصدر أوامره للمجاهد باسم قائلًا: "انطلق بسيَّارتك صوب المكان المعلوم، وتفقَّد وبرفقتك رائد منطقة التَّنفيذ ومحيطه وكذلك طريق الانسحاب، وبعد انتهائكما من ذلك ينزل رائد من السَّيَّارة جالبًا لنا سيَّارة التَّنفيذ والتي من الأفضل أن تكون من نوع "فلوكس واجن"، أمَّا أنت يا باسم، تعُدْ إليَّ استعدادًا لوصول رائد والانطلاق للتَّنفيذ".

مرَّت ساعاتٌ ثلاث وعاد المجاهدان "باسم ورائد" وقد أنجزا ما عليهما من مهمَّات، فاستقلُّوا السَّيَّارة والأسلحة مجهَّزةٌ بين أيديهم، وما أن وصلوا المكان حتَّى كمنوا يرقبون أهدافاً أخرى، إلَّا أنَّ عقيدة القائد عماد كانت محدَّدةً وواضحة، كما قالها للمجاهدين من حوله: "لا إطلاق نارٍ إلَّا على الهدف الذي خرجنا إليه".

فسمح للأهداف الصَّغيرة أن تمرَّ دون ارتعاش، ولسان حاله يقول: "لستُ مُتفرِّغًا لكم الآن، ولم تحن نهايتكم على يديَّ بعد"، مُرتقبًا ذاك الهدف الذي سمع صدى صوته من بعيد -دوريَّةٌ عسكريَّةٌ محمَّلةٌ بالجنود المدجَّجين بالسِّلاح-، مُعلنًا شارة البَدْء للمجاهد باسم، أن "انطلق بالسَّيَّارة صوبهم لننقضَّ عليهم"، وما أن أدار المفتاح حتَّى صُعقوا بتوقُّف السَّيَّارة عن العمل، وكأنها صخرةٌ كبيرةٌ عنيدة.

قفز المجاهدون من السَّيَّارة في اللحظة التي التفت فيها جنود الدَّوريَّة لهم عائدون إليهم، حينها أوقف عماد سيَّارةً من نوع "سوبارو" كانت تسير في الشَّارع، واستقلَّها والمجاهدان؛ منسحبون من المكان قبل تمكُّن الجنود من اعتقالهم.

لم يكن للقائد عماد بدٌّ من العودة "بخفَّي حُنين"، مُستذكرًا تلك الدَّوريَّة العسكريَّة التَّابعة للجيش الصُّهيوني التي تضمُّ ثلاثة جيبَّاتٍ عسكريَّةٍ مليئةٍ بالجنود الصَّهاينة تتحرَّك في وقت الظَّهيرة بتوقيتٍ معلومٍ من معسكر الجيش بحيِّ الشَّيخ رضوان، سالكةً طريق النَّصر الرَّئيسي، حينها انطلق بهم الماهر باسم صوبه، مخطِّطين معًا على استعجالٍ حيثيَّات الكمين وشارة فتح النَّار والاشتباك.

التَّنفيذ:

تفقَّد المجاهدون أسلحتهم الرَّشَّاشة، ووقفوا في إحدى الطُّرق يتفقَّدون السَّيَّارة؛ تجنبًا للوقوع في ذات الخطأ السَّابق، وما أن جهَّزوا أمرهم حتَّى انطلقوا نحو شارع النَّصر، حيث الهدف المنشود، وما أن وصلوا إحدى مفترقات الطُّرق هناك، ركنوا سيَّارتهم قُربه وارتقبوا الهدف يَقْدُم من بعيد.

مرَّت دقائق التَّرقُّب ثقيلةً قليلًا، حتَّى لاح من بعيد ذاك الهدف، حيث الدَّوريَّة العسكريَّة المكوَّنة من الجيبَّات الثَّلاثة، فذخَّر المجاهدون أسلحتهم، وتقدَّموا صوب الدَّوريَّة رويدًا رويدًا، حتَّى تتمَّ فصول المفاجأة على أكمل وجه، وينالون من هذا الهدف.

مع دنوِّ المجاهدين من الدَّوريَّة، أثار انتباه المجاهد باسم اكتظاظ الشَّارع بالمارَّة، فهمس لقائده عماد يُنبِّهه لذلك، وإمكانيَّة إصابة أحدهم حال بَدْء الاشتباك، في لحظةٍ كانت الدَّوريَّة العسكريَّة قد شارفت على الالتقاء بهم.

حينها اتَّخذ القائد عماد قراره، مُشيرًا على المجاهدين بإيقاف تنفيذ العمليَّة؛ حفاظًا على الأرواح، فأخفى المجاهدون أسلحتهم وتركوا الدَّوريَّة تمرُّ من جانبهم دون المساس بهم، وأحد ضبَّاط الدَّوريَّة يُحدِّق بهم.

تعرقلت حركة السير قليلًا، وبات الضَّابط يُمعن نظره في سيارة المجاهدين، وما هي إلا لحظات حتَّى أبصره المجاهد باسم وهو يُشير على سيَّارة المجاهدين، حينها أدرك المجاهدون أنَّ في الأمر ريبة، فارتكز القائد عماد بسلاحه، وجهَّز نفسه لأيَّة حيلة، مشيرًا على المجاهد باسم أن يسلك إحدى الممرَّات الضَّيِّقة الواقعة على الطَّريق، أمَّا المجاهد رائد فقد أشار



استنفار جنود الاحتلال، عملية شارع النصر 1993م

عليه القائد عماد بتجهيز نفسه وسلاحه؛ لمواجهة أيِّ طارئٍ قد يحلُّ بهم.

وما أن سلك المجاهدون الطّريق الفرعي، حتَّى أسرعت الدَّوريَّة الصُّهيونيَّة بجيبَّاتها خلف المجاهدين تلحق بهم، وما أن كان فارق المسافة بينهم كبير، اصطفَّ المجاهدون بسيارتهم في مكانٍ مخفي، ونزلوا من السَّيَّارة جميعًا، منسحبين من المكان سيرًا على الأقدام، في شوارع الحي الضَّيِّقة، وغادروا المكان بسلام.

عمليَّة القُلبة: العمليَّة رقم (9)

المهمة	كمين لجنود قرب معسكرٍ للجيش
التاريخ	1993/01/30م
الزمان	09:00 ص
المكان	معسكر جباليا
المنفذون	عماد عقل ومحمَّد دخان وباسم عيسى ورائد الحلَّاق "راصد"
الحصيلة	غير معروف
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف

الرَّصد والتَّخطيط:

كان عماد ومن برفقته من المجاهدين يُخطِّطون لضرب هدفٍ بمخيَّم جباليا في معسكر الجيش نفسه، حيث لوحظ تمركز عددٍ من الجنود على مدخل المعسكر، وبعد معاينة المكان، كانت الخطَّة إيقاف السَّيَّارة مقابل المعسكر، ويطلق القائد عماد النَّار على الجنديَّين، وفي ذات الوقت يكون المجاهد محمَّد دخان قد فتح نيران رشَّاشه صوب (برج) المُراقبة.

التَّنفيذ:

وصل المجاهدون بسَّيَّارتهم معسكر الجيش، وتوقَّفوا قُبالته حيث الجانب الآخر من الشَّارع الذي يفصل بينهم بمسافةٍ لا تزيد عن الـ 30 متر، ليترجَّل المجاهدان "عماد ومحمَّد" مُخفيين سلاحيهما الرَّشَّاش عن أنظار الجنود خلف ظهريهما،

ولـم يُعـيرا انتباههما للمارَّة الذين يسـلكون الشَّـارع في ذاك الحين، الذين ما أن رأوا الأسـلحة حتَّى بـدأوا يهرعـون مـن المكان مُبتعدين، فلاحظ المجاهدان ذلك، وبجرأة عماد المعهودة انطلق صوب جنديَّي الحراسـة، منقضًّا عليهما بأقصى قـوةٍ وشراسـة، وطلقـات سـلاحه النَّاريَّة تتطاير صوبهما، فيم ارتكز المجاهد محمَّد في منتصـف الشَّـارع فاتحًا نيران رشَّاشـه علـى الجنـديٍّ المتمركـز في قلبـة المراقبـة، وانسـحبا بعد انتهائهما إلى السَّـيَّارة، وانطلقَ بهما المجاهد باسـم، والدَّوريَّات تتسـارع في اللحـاق بهـم.



جنود الاحتلال يبحثون عن منفذي العملية بالمخيم

وما أن سـلكوا إحدى الشَّـوارع الفرعيَّـة، وإذ بالسَّـيَّارة تتعطَّل، فاضطـروا لتركها، مُوقفـين سـيَّارةً لأحـد المواطنـين، وقائلين له: "نحـن كتائب القسَّـام، ولا تخف سـتجدها بعـد سـاعتين في المكان الفـلاني"، وبحمد الله تمَّـت العمليَّة بنجـاح، وأرجعوا السَّـيَّارة لصاحبها بعـد 4 سـاعات؛ أخذًا بالاحتياطات الأمنيَّـة.

عمليَّة الشَّيخ عجلين الثانية: العمليَّة رقم (10)

المهمة	كمين لجيب عسكري
التاريخ	1993/02/05م
الزمان	08:00 ص
المكان	بالقرب من مسجد الشَّيخ عجلين
المنفذون	عماد عقل، محمَّد دخان، أبو شعبان ورائد الحلَّاق "راصد"
الحصيلة	لا توجد أيّ إصابات بزعم العدو
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف

الرَّصد والتَّخطيط:

أشار القائد عماد على المجاهد رائد جمع المعلومات اللازمة عن الأهداف الصُّهيونيَّة التي تتحرك على طريق الشَّيخ عجلين غرب مدينة غزَّة، ورصد تحرُّكاتها وتدوين ساعات مرورها، وما هي إلَّا أيَّامٌ قليلة حتَّى عاد المجاهد رائد بهدفٍ ثمين، إذ أخبر قائده عماد عن جيبٍ عسكري يتبع لحرس الحدود، يمرُّ ما بين السَّاعة الثَّامنة والحادية عشر صباحًا على هذا الطَّريق، المقابل لمسجد الشَّيخ عجلين، يُقلُّ عددًا من الجنود الصَّهاينة، فانتفض القائد عماد من صمته وبدأ يُوجِّه الأسئلة المتعدِّدة؛ مستفسرًا عن أدقِّ التَّفاصيل التي كان المجاهد رائد متمكِّنًا منها، ليرسم خطَّةً بسيطةً محفوفةً بحفظ الله وتوفيقه؛ تجهيزًا لتنفيذ هذه العمليَّة.

أرسل القائد عماد في طلب المجاهدين "محمَّد دخان وأبو شعبان" على وجه السُّرعة، ليجتمعوا معًا في البيت المُقرَّر الانطلاق منه لتنفيذ العمليَّة، وما أن اجتمع المجاهدون وتبادلوا بعمق حيثيَّات التَّنفيذ، حتَّى أصدروا قرارهم بأنْ تكون السَّاعة الثَّامنة من صباح اليوم التَّالي موعدًا حاسمًا لتنفيذ العمليَّة العسكريَّة ضدَّ هذا الجيب الصُّهيوني.

التَّنفيذ:

انطلق المجاهدون الثَّلاثة ومعيَّة الله تحرسهم، يستقلُّون سيارةً من نوع بيجو 504، متوجِّهون صوب الطَّريق المقابل لمسجد الشَّيخ عجلين، حيث سيمرُّ جيب الدَّوريَّة المُستهدف، وما أن وصل القائد عماد مكان الكمين حتَّى راجع بسرعةٍ مُجريات التَّنفيذ وطريق الانسحاب والوقت اللازم لكلِّ ذلك، فنصب كمينه، وجهَّز برفقة المجاهدين أسلحتهم، وكمن ورفيق دربه "محمَّد" على جانبيِّ الطَّريق، يرقبون قُدوم الجيب من بعيد، مرَّت لحظات التَّرقُّب مُسرعة، ليسمع المجاهدون ذاك الصَّوت الهادر من بعيد، نعم إنَّه صوت الجيب الذي سينزل من الخدمة بعد لحظاتٍ قليلة، فما أن مرَّ بجنوده يتبخترون حتَّى صبَّ المجاهدان وابل رشَّاشيهما تُجاهه، ليُصيباه بدقَّة، فأخذ يترنَّخ على الطَّريق، حتَّى اختفى بين بيوت الأهالي المُتراصَّة.

ومع تكبيرات النَّصر، انطلق المجاهدون في طريق انسحابهم بعد تمام تنفيذ العمليَّة بسلام، بعد أن أفرغوا صوب هذا الجيب الصَّغير ما يزيد عن 50 رصاصة.

نتائج العمليَّة:

وكعادتها الإذاعات الصُّهيونيَّة، وقيادة الجيش الصهيوني، فقد تهرَّبوا من الإعلان الحقيقيِّ عن نتائج هذه العمليَّة البطوليَّة، مُقتصرين على الإعلان عن وقوع حادثة إطلاق عدَّة أعيرةٍ ناريَّةٍ على سيَّارة جيبٍ تابعةٍ لحرس الحدود، بينما كانت تمرُّ على طريق الشَّيخ عجلين دون حدوث أيِّ إصاباتٍ بين الجنود حسب زعمهم.

عمليَّةٌ مُركَّبةٌ على الخطِّ الشَّرقي: العمليَّة رقم (11)

المهمة	كمين لجيب عسكري
التاريخ	1993/02/12 م
الزمان	02:30 ص
المكان	الطَّريق الشَّرقي لمدينة غزَّة
المنفذون	عماد عقل، محمَّد دخان، أبو شعبان، ورائد الحلَّاق "راصد"
الحصيلة	إصابة الجندي الصُّهيوني "رافائيل وتبز" في صدره وكذلك جنديٌّ آخر ومستوطنين

الرَّصد والتَّخطيط:

أشار القائد عماد على المجاهد رائد الانطلاق نحو منطقةٍ معلومةٍ على الخطِّ الشَّرقيِّ لمدينة غزَّة؛ في سبيل تأكيد معلومةٍ وصلته، كان مفادها أنَّ قوَّةً راجلةً تتبع للجيش الصُّهيوني تسير على أطراف الطَّريق الشَّرقي.

لم تكن المعلومة دقيقة، وذلك ما اعتقده عماد، إلَّا أنَّ رائد لم يعد من مهمَّته بخُفَّي حُنين، بل رصد تحرُّك عددٍ من السَّيَّارات التي منها ما هو تابعٌ للجيش، ومنها ما يُقلُّ بداخلها عددًا من المغتصبين الصَّهاينة، حينها أرسل القائد عماد في طلب

المجاهد محمَّد دخان؛ لمشاركته في عمليَّةٍ عسكريَّةٍ قد دارت في رأسه.

تفقَّد المجاهدون عتادهم بدقَّة، وانطلقوا برفقة سائقهم المجاهد "أبو شعبان" صوب المكان المُعدِّ لتنفيذ العمليَّة، وما أن وصلوا المكان حتَّى اصطفوا بسيَّارتهم بشكلٍ اعتياديٍّ على إحدى جوانب الطَّريق، والأسلحة الرَّشَّاشة بين أيديهم، ترقُب أصابع السَّبَّابة الضَّغط على الزِّناد، وقد كان ذلك.

التَّنفيذ:

ما أن أشرفت سيَّارةٌ من نوع سوبارو تُقلُّ مغتصبين صهاينة، متجاوزةً المجاهدين، حتَّى انطلقوا صوبها بسيَّارتهم المُعدَّة لذلك، وباشروا بإطلاق النَّار عليها بكلِّ قوَّة حتَّى ارتطمت بإحدى أشجار الحمضيَّات المزروعة على إحدى جانبيِّ الطَّريق، دون أن تُبدي أيَّ ردَّة فعلٍ ولو بعيارٍ ناريٍّ واحدٍ.

سلك المجاهدون طريق انسحابهم، وبسمة النَّجاح مرسومةٌ على أفواههم، وفجأةً ظهر أمامهم في إحدى مُنحنيات الطَّريق جيبٌ عسكريٌّ مدجّجٌ بالجنود.

حينها أمر القائد عماد رفيقيه بعدم إطلاق أيِّ رصاصةٍ صوبه؛ حذرًا من أن يُكشف أمرهم، منبطحًا على الكراسي الخلفيَّة للسَّيَّارة في محاولةٍ منه تفادي الرَّصاص الذي كان من المُتوقَّع إطلاق جنود الجيب العسكري له، الذين انطلقوا لمكان تنفيذ العمليَّة.

كان المجاهدون على درايةٍ أنَّهم يستقلُّون سيارةً ملفتةً للأنظار، ومن المتوقَّع إطلاق الجنود النَّار عليهم، حينها لم يحتمل المجاهد محمَّد هذا الأمر، فما أن اقترب الجيب من سيَّارة المجاهدين حتَّى أخذ المجاهد محمَّد قراره الذي سانده فيه قائده بفتح النَّار عليه، فقد ارتكز على الكرسيِّ الأماميِّ للسَّيَّارة، ووجَّه سلاحه صوب مقدِّمة الجيب، مطلقًا عددًا من الرَّصاصات أصاب بها الزُّجاج الأماميَّ له وهشَّمه، ليصطفَّ الجيب قريبًا من سيَّارة السُّوبارو التي أُجهز عليها قبل لحظاتٍ قليلة.

نتائج العمليَّة:

كعادتها أعلنتْ إذاعة العدوِّ عن إصابة سائق سيَّارة السُّوبارو بجراحٍ متوسِّطة، على الرَّغم من إطلاق القائد عماد النَّار على السَّيَّارة والسَّائق مباشرة بواقع 26 رصاصة، مُصيبًا جسده العلوي عددًا من الرَّصاصات، إضافةً إلى اعترافه بإصابة اثنين من جنوده، نُقلوا على إثرها إلى مشفى سوروكا العسكري.

الفصل الرَّابع

الجهاد ...
صلاتنا السَّادسة

أوّلاً: نفحاتٌ جهاديّة في أجواءٍ رمضانيّة

عمليّة الترانزيت: العمليّة رقم (12)

المهمة	مهاجمة قوّات مركز شرطة الرّمال
التاريخ	1993/03/09 م
الزمان	10:30 ص
المكان	مركز الشُّرطة الصُّهيونيّة - منطقة الرِّمال - بجوار مسجد العبَّاس
المنفذون	عماد عقل، و "أبو أيهم"
الحصيلة	لم يعترف العدوُّ الصُّهيونيُّ بأيِّ إصابات
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف

الرَّصد والتَّخطيط:

لم يتوان القائد عماد لحظةً في إرسال المجاهدين لحصر الأهداف ورصد تحرُّكات القوّات الصُّهيونيّة التي كانت تسرح وتمرح في شوارع قطاع غزّة، فأرسل المجاهدين "رائد الحلّاق، وباسم عيسى" لرصد تحرُّكات دوريّات الجيش المنطلقة من مركز الشُّرطة الصُّهيونيّة بمنطقة الرِّمال، وما هي إلّا ساعاتٌ من الرَّصد والاستطلاع، حتّى أكّد المجاهدان إمكانيّة تنفيذ هجومٍ مُسلّحٍ ضدَّ القوّات المُتحرِّكة من المركز، فقد نجحوا في رصد باصٍّ صغيرٍ "ترانزيت" يخرج من بوّابة المركز، منطلقًا تُجاه معتقل أنصار.

ملأ السُّرور قلب القائد عماد، فقد رصدت عيون مجاهديه هدفًا من السَّهل شنِّ هجومٍ مُسلّحٍ عليه، فبدأ يعدُّ خطّته، كيفيّة الهجوم، منطقة القتل، عدد المنفِّذين، الأسلحة اللازمة، طريق الانسحاب، وغيرها من الإجراءات والمتطلّبات.

التَّنفيذ:

حانت لحظة التَّنفيذ، فانطلق المجاهدان "عماد عقل، و"أبو أيهم (السَّائق)"، صوب مكان التَّنفيذ، حيث مفترق الطُّرق المجاور للمركز، والذي

يُمكِّن المجاهدين من رصد ومعاينة تحرُّكات جميع المركبات الخارجة من داخل المركز، إضافةً إلى الأفضليَّة التي يُضفيها على نجاح العمليَّة، حيث إبطاء سرعة المركبات التي ستجتازه، فيتمكَّن القائد عماد من إطلاق النَّار بدقَّةٍ على المركبة وإصابتها مباشرةً.

وقبل وصول المجاهدين لمكان التَّنفيذ، كان من عادة القائد عماد تنفيذ جولةٍ ميدانيَّةٍ في طريق الانسحاب؛ زيادةً في الاطمئنان، وتدقيقًا لمُجريات العمليَّة كافَّة، وكان له ذلك، ليتَّجه بعدها صوب ذاك المفترق، مرتقبًا خروج المركبة من بوَّابة المركز.

لا يمكن لأيِّ سيارةٍ الوقوف في المفترق؛ لما لها من مخالفاتٍ مروريَّةٍ وعرقلة سيرٍ قد تثير الشُّبهات، فأوقف المجاهدان سيَّارتهما مقابله، حيث عمارةٍ سكنيّةٍ تفصل بينهم، ليمكثا في السَّيَّارة يرقبان قدوم الهدف من بوَّابة المركز، وما هي إلا لحظات حتَّى كان ذلك.

فقد فُتحت بوَّابة المركز، وأطلَّ منها باصٌ صغير الحجم، حينها انقضَّ القائد عماد نحوه، مُذخِّرًا سلاح الـM16، لتستقرَّ الطَّلقة في حجرة الانفجار، وانطلق كلمح البصر تُجاه مفترق الطُّرق، حيث المركبة التي ستبدأ بالالتفاف حوله، وما أن كان فارق بُعده عن الهدف لا يتجاوز المترين فقط حتَّى فتح وابل رشَّاشه على جُلِّ جوانب المركبة.

فجأةً توقَّف السِّلاح عن الإطلاق، نعم فقد أصابه عطل، ليرتكز القائد عماد جانبًا محاولًا إصلاحه، وإكمال عمليَّة الإطلاق، فنجح ذلك للحظات وعاد وتوقَّف... لم يُعد القائد عماد عقل المحاولة من جديد، بل انطلق نحو سيَّارته، صادحًا على المجاهد "أبو أيهم" بإلقاء قطعة السلاح الأخرى له، ليتلقّفها القائد عماد، ساحبًا أقسامها بقوَّة، وممطرًا الباص من جديد بوابل من الرصاص، وما أن فرغ مخزن البندقيَّة حتَّى قفز في سيَّارته منبطحًا في المقاعد الخلفيَّة، ومنطلقًا به المجاهد "أبو أيهم" في طريق الانسحاب، ليصلا مكان الإيواء بسلام.

نتائج العمليَّة:

تحت وقع العمليات المؤلمة، ولرفع الروح المعنوية لجمهور العدو في ذلك الوقت زعم العدو عن إعلان أحد الأشخاص عدّة أعيرةٍ ناريَّةٍ صوب مركز الشُّرطة القريب من مركز رشاد الشَّوَّا الثَّقافي، عبر سلاحه من نوع كارل غوستاف ثم لاذ بالفرار، ولم تُسفر العمليَّة عن أيِّ إصاباتٍ في الأرواح، بل أضرارٌ ماديَّةٌ طفيفة.

عمليَّة السابعَ عَشَرَ من رمضان: العمليَّة رقم (13)

المهمة	إطلاق نارٍ على حافلةٍ تُقلُّ جنودًا صهاينة
التاريخ	10/03/1993م
الزمان	مساءً
المكان	على الخطِّ الشَّرقي
المنفذون	عماد عقل، وجمال موسى، ومجاهد ثالث
الحصيلة	إصابة أربعة جنودٍ صهاينة
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف

سلك المجاهدون الثَّلاثة الطَّريق الشَّرقيَّ لقطاع غزَّة؛ بحثًا عن هدفٍ يُشفي غليلهم، وكان لهم ذلك، فقد اقتنصوا من بعيد حافلةً صهيونيَّةً حمراء اللون، أبصروا بها عددًا من الجنود الواقفين في ممرِّها، فأعطى القائد عماد إيعازه للمجاهد السَّائق بتجاوز هذه الحافلة، في اللحظة التي ذخَّر فيها هو ورفيق دربه سلاحيهما الرَّشاش، وما أن نجحت عمليَّة التَّجاوز، حتَّى صبَّ المجاهدان وابل رصاصهما في أنحائها، ما أدَّى لإصابتها إصابةً مباشرة.

ولعدم اكتراث المجاهدين لسائق الحافلة، واهتمامهم في إطلاق النَّار على الجنود الصَّهاينة، كان السائق قد انتهز هذه الفرصة ليضغط بقوَّةٍ على دوَّاسة الوقود، مُنطلقًا بالحافلة بأقصى سرعته، ناجيًا من رصاص المجاهدين بأعجوبة.

في تلك اللحظة كان المجاهدون قد أفرغوا مخازن رشَّاشاتهم، وانطلقوا في

طريق انسحابهم، نحو مكان إيوائهم الذي وصلوه بسلام، وتكبيرات النَّصر تصدح بها حناجرهم، فيما اقتصر العدوُّ الصُّهيوني خلال تعقيبه على هذه العمليَّة، على القول بأنَّ هجومًا جريئًا شُنَّ صوب حافلةٍ تتبع للجيش، كانت تُقلُّ عددًا من الجنود من مغتصبة غوش قطيف، أدّى لوقوع أربع إصاباتٍ بين جنود الجيش.

كمينٌ لباصٍّ كبير: العمليَّة رقم (14)

المهمة	كمينٌ مسلَّحٌ لباصٍّ كبيرٍ على الخطِّ الشَّرقي
التاريخ	1993/03/17 م
الزمان	صباحاً
المكان	على الخطِّ الشَّرقي
المنفذون	عماد عقل، ومحمَّد دخان، ورائد الحلَّاق، وأبو شعبان، ونضال فرحات "الرَّاصد"
الحصيلة	إصابة سائق الباص "إبراهام ميمون" -حسب اعتراف العدو-
السلاح المستخدم	M16 قصيرة، كلاشنكوف، (2) كارل غوستاف

الرَّصد والتَّخطيط:

بذل مجاهدو وحدات الرَّصد والاستطلاع الجهود الحثيثة في رصد أيِّ تحرُّكاتٍ للآليَّات الصُّهيونيَّة "سيَّارات، جيبَّات، باصات"؛ في سبيل تزويد القائد عماد وأفراد مجموعته بها؛ لشنِّ العمليَّات العسكريَّة عليها وإثخان القتل والإصابات بها.

وكان من بين مجاهدي الرَّصد في ذلك الوقت، الشَّهيد القائد نضال فرحات، الذي تمركز في إحدى البساتين الواقعة على الخطِّ الشَّرقي، يُدوِّن توقيتات عددٍ من الدَّوريَّات الصُّهيونيَّة وسيَّارات المُغتصبين والباصات التي تُقلُّهم والجنود الصَّهاينة.

كلُّ هذا بغرض إيجاد هدفٍ يسير على هذا الطَّريق باستمرار، وفي أوقات مُحدَّدةٍ يسهل توقُّعها، ما يسهل على المجاهدين تجهيزخطَّتهم، ونصب كمائنهم، ووضع لحظة تنفيذ العمليَّة العسكريَّة بإحكام.

وقد كان ذلك، فقد رصد المجاهد نضال جيبًّا عسكريًّا كبيرًا، يسير على هذا الطَّريق في وقتٍ محدَّدٍ ويوميًّا، ما أثار هذا الهدف إعجاب القائد عماد، الذي التقطه بأنيابه، ليجتمع بعددٍ من مجاهديه، يتدارس برفقتهم ما وصلته من معلومات الرَّصد والمتابعة، فتفحَّصوها بدقَّة، ليصدر القرار بكلِّ يقين، أن يبدأ وضع الخطَّة لتنفيذ كمينٍ مُسلَّحٍ على هذا الجيب.

التَّنفيذ:

بعد أن وضع المجاهدون خطَّتهم، وتفقَّدوا عتادهم، واختاروا المشاركين منهم، استقلُّوا سيَّارتهم من نوع بيجو 404، وانطلقوا حيث موقع الكمين المُراد إعداده، وقبل وصولهم للمكان، وكعادة القائد عماد ورفاقه، توجَّهوا صوب طريق الانسحاب لمعاينته ومدى تطابقه مع ما هو مرسومٌ في الخطَّة، فكلُّ دقيقةٍ بأجزائها لها قيمتها الكبيرة في مُجريات العمليَّة وحيثيَّاتها.

وصل المجاهدون الخطَّ الشَّرقي، فكمنوا في إحدى الشَّوارع الضَّيِّقة المُؤدِّية إليه، حيث تمركز القائد عماد والمجاهد محمَّد دخان في وسط الشَّارع، فيا تموضع المجاهد "رائد الحلَّاق" قريبًا من بدايته، مُتمكِّنًا من مراقبة الخطِّ الشَّرقي؛ ليُنذر المجاهدين بلحظة اقتراب الجيب المستهدف من بعيد؛ في سبيل استغلال هذه الثَّواني المعدودة في قطع المجاهدين "عماد، ومحمد" للشَّارع ووصولهما لأماكن فتح النَّار قبل وصول الجيب.

ولكن في تلك اللحظات كان المجاهد "رائد" قد شرد ذهنه، ليتفاجأ بالجيب وهو يمرُّ من أمامه، دون أن يتمكَّن من إعطاء رفاقه إشارة بَدء التَّنفيذ، ما أدَّى لفشل العمليَّة.

كان الحزن قد بدا على وجوه المجاهدين، وخاصَّةً قائدهم عماد، ولكنَّ معيَّة الله كانت تُلازمهم، فمن بين الوجوه الشَّاحبة لحزنها، وقرار الانسحاب الذي كان يتردَّد القائد عماد في اتِّخاذه، ضجَّ في المكان صرخات المجاهد رائدقائلاً: " باص يا عماد باص ".

امتشق المجاهدون الثَّلاثة أسلحتهم الرَّشَّاشة، وبدأوا يركضون بسرعة تُجاه الخطِّ الشَّرقي، ليُبهر أبصارهم ذاك الباص الكبير، الذي يُرى فيه الجنود وهم يقفون في الممرِّ الخاص به، حينها أعطى القائد عماد للمجاهدين "محمد، ورائد" أمر التَّخفِّي ووضع الطَّلقة في حجرة انفجارها.



الخط الشرقي لمدينة غزة، مكان تنفيذ العملية

نعم، فقد بدأت أنفاس المجاهدين تزداد، وخيَّم الهدوء على المنطقة، إلا صوت الباص الذي يقترب من المقتلة، ليفتح عليه المجاهدون وابل رشَّاشاتهم بكلِّ ما أوتوا من قوَّة، وما أن فرغت مخازن أسلحتهم حتَّى انسحبوا من المكان وُفق ما رُسم في الخطَّة مسبقًا.

نتائج العمليَّة:

وصل المجاهدون الأربعة إلى مكان إيوائهم والبهجة تتفجَّر من وجوههم، يُهنِّئون بعضهم، ويطمئنُّوا على أحوالهم، ويتفقَّدوا عتادهم، ويؤدَّون لله ركعتين؛ شكرًا على نجاح هذه العمليَّة. وما أن انتهوا من ذلك، حتَّى تحولقوا حول ذاك المذياع الصغير؛ يرقبون إعلان الإذاعة الصُّهيونيَّة عن العمليَّة، ومعرفة حصيلتها، ليزعم العدو الصهيوني إصابة سائق الباص فقط!!.

عمليَّة إطلاق نارٍ عابرة: العمليَّة رقم (15)

المهمة	إطلاق نارٍ على حاجزٍ عسكري
التاريخ	03/1993م
الزمان	بعد العشاء
المكان	مخيَّم جباليا - بجوار مقبرة الفالوجا
المنفذون	عماد عقل، وباسم عيسى، وأبو شعبان "الرَّاصد"
الحصيلة	لم يعترف العدوُّ الصُّهيونيُّ بأيِّ إصابات
السلاح المستخدم	M16 قصيرة

ذات يومٍ، توَّجه القائد عماد برفقة المجاهدين "باسم وأبو شعبان (السَّائق)" صوب مخيَّم جباليا؛ بغرض متابعة بعض الأمور العسكريَّة هناك، والاطمئنان على رفاق دربهم المجاهدين ممَّن يعملون معهم وخاصَّةً في مجال رصد الأهداف ومتابعة التَّحرُّكات العسكريَّة للجيش الصُّهيوني.

وبعد أن أكمل مهمَّته، وكان ورفاقه في طريق عودتهم، سلكوا بسيَّارتهم الشَّارع المجاور لمقبرة الفالوجا -طريقهم المعتاد-، وإذ بهم يتفاجؤون بدوريَّةٍ للجيش الصُّهيوني تُقيم حاجزًا في منتصف الطَّريق، تعترض السَّيَّارات المارَّة من خلاله، وما أن تكدَّست السَّيَّارات في الشَّارع، حتَّى فتح الجنود الحاجز وبدأوا يُفتِّشون كلَّ سيَّارةٍ ويُمعنون النَّظر فيها، ودور سيَّارة القائد عماد يقترب أكثر وأكثر ولا مجال للرُّجوع.

حينها وضع القائد عماد سلاحه الرَّشاش بين قدميه، ووضع مُبدِّل الرَّمي على وضعيَّة الإطلاق الآلي، وهمس في أذني رفيقيه بأن يستعدَّا للقفز من السَّيَّارة حال تنفيذه هو ذلك، وما أن كان الفارق بينه وبين جنود الدَّوريَّة سيارةٌ واحدة حتَّى قفز من السَّيَّارة، مُشهرًا سلاحه في وجه الجنديِّ المقابل له، فتمسمر الجنديُّ في مكانه، لتكون هذه اللحظة هي المناسبة لمغادرة المجاهدين "باسم وأبو شعبان"

السَّيَّارة والانسحاب من المكان، ليرافق ذلك زغردة سلاح القائد عماد برصاصاته تُجاه جنود الدَّوريَّة، الذين نجوا من الموت المُحقَّق إثر ارتداد سلاح القائد عماد لأعلى لحظة ضغطه على زناد البندقيَّة بيدٍ واحدة، قافزًا عن سور المقبرة ومنسحبًا من المكان بسلام بعيدًا عن الجنود.

ولكن وقبل أن يبتعد كثيرًا التفت ببصره نحو ذاك الجندي الذي كان الأقرب إليه، فوجده القائد عماد ما زال مُتشنِّجًا في مكانه، عاجزًا عن الحركة، فأكمل القائد عماد ورفاق دربه طريق انسحابهم بسلام والضَّحكات تعلو من أفواههم.

المحظوظون السِّتَّة: العمليَّة رقم (16)

أن تُفلت من رصاصات عماد ومن معه من مغاوير القسَّام، يعني أنَّ الحظَّ قد ابتسم لك ألف ألف مرَّة!

بعد أن أذَّن المغرب وتناول آل فرحات وبرفقتهم عماد طعام الإفطار، تجهَّز أفراد العائلة لاستقبال ليلة القدر، وهيَّأوا المنزل لعماد لإحيائها، ظنُّهم في بادئ الأمر أنَّهم سيكسبون إحياءه لها بينهم؛ ولكنَّ عماد كان يُخطِّط لأكبر من ذلك، فنادى المجاهد وسام وأخبره أنَّه ذاهبٌ لأمرٍ ما، وسيعود في الصَّباح.

كانت كلُّ ملامحه تُشير إلى ذهابه للصَّيد، ودَّعه عماد وانطلق برفقة المجاهدين "محمَّد دخان ورائد الحلَّاق" إلى منطقة العطاطرة، حيث المعلومات المُتوفِّرة بوجود دوريَّةٍ لقوَّاتٍ صهيونيَّةٍ.

كان ذلك في مساء العشرين من شهر مارس عام 1993م، وبينما هم في طريقهم توقَّف القائد عماد أمام بيتٍ يأوي عددًا من المجاهدين، فعبربه، مُبصرًا أمامه المجاهد جمال موسى، فقال له: "يا أخ أبو مصعب هناك عمليَّة نودُّ تنفيذها، ما هو رأيك أن تُشاركنا بها؟"، ردَّ المجاهد جمال قائلًا: "أنا جاهز"، فاستقلَّا السَّيَّارة وانطلقوا صوب مدينة بيت لاهيا، حيث المكان المُرتقب مرور جيبٍ عسكريٍّ منه، وُفق معلومات الرَّصد والاستطلاع التي وصلت تفصيلاتها للقائد عماد،

والـتي تكمـن في مـرور جيـبٍ عسـكريٍّ تابـع للجيش الصُّهيـوني بمحـاذاة إحـدى بيَّارات البرتقـال الواقعـة في المدينـة، سـالكًا الشَّـوارع الفرعيَّـة هنـاك يوميًّـا مـن السَّـاعة التَّاسـعة مسـاءً وحـتَّى الثَّانيـة عشـر منتصـف الليـل، وقـد رُصـدت تحرُّكاتـه هـذه على مـدار ثلاثـة أيَّـامٍ مُتتاليـة.

سـلك المجاهـدون بسـيَّارتهم شـوارع شـمال القطـاع، وصـولًا إلى أقـرب نقطـةٍ للشَّـارع المُـراد نصـب الكمين فيـه، فوصلوا إحـدى أراضي البرتقـال الـتي تفصلهم عن الشَّـارع، فأنزلهـم المجاهـد السَّـائق قريبًـا منهـا، مُتجاوزيـن سـياجها، ومُتسـلِّلين بـين أشـجارها الكثيفـة، وصـولًا إلى الطَّـرف الآخـر، حيـث الشَّـارع المراد.

تفقَّـد المجاهـدون المكان، وعاينـوا مسـرح الكمـين ومقتلتـه، ورسـموا طريـق الانسـحاب وتوافقـوا علـى آليَّتـه، وقسَّـموا أنفسـهم، مُتمركزًا كلٌّ واحدٍ منهـم في زاويةٍ مناسـبةٍ لـه، مُسـتغلِّين ظـلام الليـل وكثافـة الأشـجار في تحقيـق مبـدأ المفاجـأة.

مـرَّت عقـارب السَّـاعة والبرد القارص ينهش أجسـاد المجاهديـن، الذين صبروا بعزمهـم وولَّـدوا الـدِّفء في صدورهـم بحماسـهم ودافعيَّتهـم وهمَّتهـم العاليـة، فهـم الذيـن اتَّخـذوا مـن عملهـم هـذا عبـادةً يتقرَّبـون بهـا إلى الله عـزَّ وجل.

ومـع ذلـك كلـه، لـم يكـن الجيـب قـد وصـل بعـد، فجمـع القائـد عمـاد رفيقيـه، وتبـادلـوا الآراء في تقييـم هـذا الأمـر، ليتوافقوا معًـا علـى اسـتمرار الكمـين كلٌّ في موقعـه، والتَّرقُّـب علَّهـم يحظـون بـه بـإذن الله.

بعـد مـرور سـاعتين علـى نصـب الكمـين وانتشـار المجاهديـن، كان المجاهـد السَّـائق قـد دبَّ في قلبـه بعـض الخـوف والقلـق عليهـم، ليـترك سـيَّارته، متسـلِّلًا عـبر أشـجار البيَّـارة واصـلًا إليهـم، فتلقَّفـه القائـد عمـاد مُسـتفسـرًا عمَّـا جـاء بـه إلى المكان، فشـرح لـه مـا في الأمـر، فطمأنـه القائـد عمـاد عليهـم، عـدا أنَّ الهـدف لـم يحضـر بعـد، آمـرًا إيَّـاه بالعـودة عاجـلًا إلى السَّـيَّارة والبقـاء فيهـا دون لفـتٍ للأنظـار.

في تلك اللحظة كان القائد عماد قد اقتنص مكانًا آخر يكمن به هو، فيه من المميِّزات التي تُفضِّله عن المكان السَّابق، حيث سطح بقَّالةٍ يتمكَّن من خلاله رصد الشَّارع من بعيد، ما يُفضي تمكُّن المجاهدين من رصد الجيب المستهدف قبل وصولهم بوقتٍ أكبر، فصعد عماد أعلاها، منبطحًا على سطحها، ومتخفِّيًا ببعض الحاجيَّات حوله.

مرَّت ساعةٌ أخرى ولم يَلُح في الأفق أيُّ شيءٍ، ما أجبر القائد عماد على النُّزول من مكمنه والاجتماع بالمجاهدين، تقييمًا للحدث مرَّةً أخرى، وبينما المجاهدون يتناقشون، وإذ بصوتٍ يهدر من بعيد، وأضواء تقوى شيئًا فشيئًا، ففرح المجاهدون منطلقًا كلٌّ واحدٍ منهم إلى مكمنه، فيم لم يتمكَّن القائد عماد من العودة إلى سطح البقَّالة، فكمن في مكمنه السَّابق بين أشجار البرتقال، وبينما هم يرقبون القادم من بعيد، وأسلحتهم الرَّشَّاشة مصوَّبةٌ تجاه المقتلة التي سيقع فيها الهدف، وإذ بهم يتفاجؤون بتوقُّفه أسفل مبنى سكني، ليتبيَّن بعد ذلك أنَّه سيَّارةٌ مدنيَّة لأحد سكَّان المنطقة كان قد عاد إلى بيته برفقة أفراد عائلته.

بدا الحزن على وجوه المجاهدين، إلَّا أنَّهم لم يتركوا لليأس طريقًا، ليرفع القائد عماد الهمَّة، آمرًا إيَّاهم بالعودة إلى نقاط الكمين، منتشرين وفق الخطَّة، واستحضار معيَّة الله في أقدارهم، وما أن تجاوزت السَّاعة الثانية فجرًا، وبذلك يكون الوقت قد تجاوز أوقات رصد الدَّوريَّة بساعتين حتَّى أصدر القائد عماد أمره بالانسحاب من المكان.

سلك المجاهدون طريق انسحابهم الذي قدموا منه، حيث أشجار البرتقال، وصولًا إلى سيَّارتهم التي كان السَّائق فيها قد شارف على التَّجمُّد من شدَّة البرد، فانطلقوا عائدين أدراجهم والقائد عماد دليلهم، والدَّهشة تملأ عقل المجاهد محمَّد، الذي تفاجأ من معرفة القائد عماد الدَّقيقة لشوارع المنطقة وكأنَّه سلكها عشرات المرَّات سابقًا.

كان القائـد عمـاد يفهـم شـيئًا واحدًا، أنَّه ما دام قد جهَّز سـلاحه لعمليَّـةٍ ما، فإنَّه لـن يسـتقر في مـأواه إلَّا بعـد أن يُشـفي صـدره بها أو بغيرهـا... وهـذا مـا حـدث فعـلًا، بنفـس السِّـلاح وبنفـس الفريـق؛ ولكـنَّ الصَّيـد كان أكبر هـذه المرَّة!

عمليَّة المقبرة "ليلة القدر": العمليَّة رقم (17)

المهمة	مباغتة ثلاثة جيبَّات
التاريخ	1993/03/20م "ليلة القدر"
الزمان	05:30 ص
المكان	معسكر جباليا
المنفذون	عماد عقل، ومحمَّد دخان، وجمال موسى، ورائد الحلَّاق
الحصيلة	مقتل نائب قائد الدوريَّة "يوسف شبتاي" إثر إصابةٍ في رأسه وإصابة جنديَّين آخرين، أحدهما قائد الدوريَّة إصابةً خطيرة
السلاح المستخدم	(2) M16 قصيرة، كلاشنكوف

كلُّ مـن التقـى بعمـاد يؤكِـد لـك أنَّـه حـين تلتقـي بـه تـرى في عينَيـه شـخصيَّةً مغايـرةً لعمـوم النَّـاس، إنَّـه لا يعـرف النَّـوم، ولا يعـرف للرَّاحـة سـبيلًا، كان يـرى أنَّ كلَّ دقيقـةٍ يسـتوطنها الصهاينـة في أرض فلسـطين يجـب أن يقابلهـا دقيقـةٌ مـن العـذاب، فكشْـف الحسـاب مـا زال طويلًا.

أمَّـا هـذه العمليَّـة، فإنَّهـا سـتبدو أكـثر متعـةً بلسـان مـن عايشـوها ونفَّذوهـا، كراصدهـم الذَّكـي، وسـائقهم الماهـر الخفـي، وأحـد منفِّـذي عمليَّـة إطـلاق النَّـار الجـريء.

ما قبل العمليَّة:

يقـول المجاهـد محمَّـد دخـان: "بعـد انسـحابنا مـن منطقـة بيـت لاهيـا، حيـث العمليَّـة الـتي لـم نتمكَّـن مـن تنفيذهـا؛ لعـدم قـدوم الهـدف، كان القائد عماد قد أشـار علـيَّ بالتَّوجُـه صـوب معسـكر جباليـا، حيـث أحـد أصحابـه الـذي سـيتناولون عنـده

طعام السَّحور قبل حلول أذان الفجر، وما أن وصلنا المكان حتَّى تلقَّفنا صاحب البيت والسرور يملؤ قلبه، فقد التقى بصديقه الغالي على قلبه عماد في أعظم ليلةٍ في العام.

لم يكن أهل البيت قد هيَّأوا أنفسهم لمثل هذه المفاجأة، فلم يكن في البيت طعامٌ يكفي لسحور المجاهدين الأربعة، سوى بعض الفواكه وأرغفة الخبز المعدودة، إلَّا أنَّ صاحب البيت جهَّزها وحملها مع إبريق الشَّاي السَّاخن يُقدِّمها لنا، حييًّا لا يعرف ماذا يقول.

"وكان القائد عماد بفطنته قد شعر بالأمر، فأخذ يمدح صديقه من أعماق قلبه على هذا الطَّعام، حينها انفجر صديقه بعبارات الأعذار، التي لم يجد غيرها؛ تعبيرًا عن عجزه في خدمتنا بغير ذلك، إلَّا أنَّنا أظهرنا له مدى عِظَم وروعة هذا الطَّعام، وهذا الشَّاي السَّاخن الذي نُدْفِئ به أجسادنا التي قد كواها البرد القارص. وبعد أن انتهينا من تناول طعام السَّحور أشار القائد عماد علينا بالاستعداد للتَّحرُّك وإكمال العمل، فشَكَرْنا الرَّجل على كرم الضِّيافة، وانطلقنا معًا صوب منطقة المقبرة كما أراد عماد القائد".

الرَّاصد "صلاح عثمان"

يقول صلاح عثمان: "كانت ليلة القدر، وليلتها جاءني شعورٌ داخلي، أنَّني سأرى عماد هذه الليلة، فأخبرت أخي محمَّد الهندي[1] أنَّنا سنُحيي ليلة القدر بمسجد الخلفاء، وسنتناول طعام السَّحور في بيوتنا، وأسررتُ له بما أشعر به.

(1) **محمَّد الهندي (1993م):** يُكنَىَّ (أبو محمَّد)، وُلد بمخيَّم جباليا شمال قطاع غزَّة، نشأ وترعرع بين أكناف أسرةٍ محافظة تعود أصولها لمدينة المجدل المحتلَّة، جدَّ في الحياة العلميَّة حتَّى صل على درجة البكالوريوس في الرياضيات من جامعة الأزهر بغزة، نشط في صفوف الكتلة الإسلاميَّة وأبدع في مجال الفنِّ الإسلاميِّ "التَّمثيل والإنشاد"، شارك في أحداث الانتفاضة بجدارة، يُواجه وأبناء المخيَّم قوات الاحتلال بالوسائل والأدوات الشَّعبية كالحجارة والمولوتوف وغيرها، وقد أُصيب في إحدى المواجهات بطلقةٍ مطاطيةٍ في رأسه، اعتقله قوَّات الاحتلال ثلاث مرَّاتٍ كانت متفاوتة في مدة قضائه في السجن، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 1/7/1993م خلال تنفيذه عمليَّة "التَّلَّة الفرنسيَّة البطوليَّة" والتي نفَّذها برفقة المجاهدين "ماهر أبو سرور وصلاح عثمان" في قلب مدينة القدس المحتلَّة.


القتيل / الرقيب / يوسف شبتاي

انقضت الليلة وانطلقنا في طريق العودة إلى منازلنا وسط الطَّوق الأمني، تناولنا فيها طعام السَّحور، واجتمعتُ أنا ومحمَّد مرَّةً أخرى، منطلقين لأداء صلاة الفجر في مسجد النُّور؛ وما أن وصلنا إلى مقبرة الفالوجا وجدنا سيَّارةً من نوع (بيجو برايفت) تسير بهدوء، فوضعتُ احتمالَين أن تكون السَّيَّارة تابعةً للقوَّات الصُّهيونيَّة الخاصَّة، أو أن يكون عماد بداخلها؛ وسرتُ ببطءٍ قاطعًا شارع المقبرة، وفور وصولي دوَّار النِّمنم، أي ما يبعد 40م عن شارع المقبرة، وإذ بالسَّيَّارة تتبعنا، فأبطأتُ سيري، وما هي إلَّا ثوانٍ وإذ بالمنادي: "صلاح، صلاح، أنا عماد، اصعد!"، فدخلنا السَّيَّارة، وذهب بي إلى مكانٍ آمن، ثُمَّ قال لي: اذهب إلى المسجد العمري، وانتظر في المحراب، فإن سمعتَ أحدًا يقول لك: "ما أجمل المحراب" فقل له: "حقًّا ما أجمله"، سيعطيك مسدَّسًا ومخزني رصاص، احتفظ بهم وانتظر الإشارة"، ثُمَّ سألني عن مرور الجيبَّات هنا، فأخبرتُه أنَّ دوريَّةً من جيبَّين كبيرين تخرج السَّاعة 2:30 ص وتعود السَّاعة 5:30، وفي ذهابها وإيابها تمرُّ من هنا، مُشيرًا إلى شارع المقبرة، فهزَّ القائد عماد رأسه ثُمَّ عانقني قائلًا: "أستودعك الله". ويقول صلاح: "بأخذي للمسدَّس ومخزنيِّ الرَّصاص صرتُ جاهزًا للانتقال إلى الضِّفَّة الغربيَّة؛ للبدء بتنفيذ عمليتي المجدل والتَّلَّة داخل الأراضي المحتلَّة... فكانت هذه المرَّة قبل الأخيرة التي أرى فيها عماد".

السَّائق جمال موسى:

كانت السَّاعة الرَّابعة والنِّصف صباحًا حين التقينا بصلاح عثمان قرب المقبرة، والذي أطلع عمادًا على تحرُّكات الجيب، وبعد أن غادَرنا عائدًا إلى بيته، سألنا عمادًا عن موعد التَّنفيذ فأجاب: " الآن! "

لأوَّل وهلةٍ ظننَّاه يُمازحنا، ليس جُبنًا منَّا؛ وإنَّما تعجُّبًا من جرأته وسرعته في اتِّخاذ القرار، فلم يُكمل عماد فكرته ليجد الرَّدَّ من ثلاثتنا: "على بركة الله".

أخذتُ موضعًا آمنًا للسَّيَّارة، فيما أخذ عماد ومحمَّد سلاحَي M16، واستلم المجاهد رائد سلاح الكلاشنكوف، وأنزلتُهم وانتظرتُ عودتهم بغنائم الصَّيد

المنفِّذ رقم (1) "محمَّد دخان":

نزلنا من السَّيَّارة وتركنا الأخ جمال بانتظارنا، وأخذنا وضعيَّة الانتشار، كنت أعلم عن جرأة عماد؛ لكنَّني لم أتخيَّل تلك الجرأة.

كانت الخطَّة كالآتي: استوقفني القائد عماد وقال لي: "سأقف على رأس الشَّارع الذي ستأتي منه الجيبَّات، وقف أنت ورائد في الشَّارع الخلفي، حيث سأتولَّى أمر الجيب الثَّاني، فيما تتولَّيان أمر الجيب الأوَّل".

كنَّا قد تهيَّأنا للانتظار أكثر من ساعة؛ وذلك وفقًا لمعلومات الرَّاصد، فبقينا في الشَّارع مُتخفِّين قليلًا، وكلَّما مرَّ أيُّ شخصٍ من المكان كنَّا نوقفه، ونأمره ألَّا يمرَّ مجدَّدًا من هذا الشَّارع؛ حفاظًا على روحه.

أذَّن الفجرُ، فصلَّيناه في الشَّارع كلٌّ بمفرده، وبعد لحظات جاءت الدَّوريَّات تُجاه المقبرة، وفور مرور الجيب الأول فاجأتُه ورائد بزخَّات الرَّصاص المتتابعة، ونظرًا لصغر الشَّارع الذي أقف فيه خرجتُ ووقفتُ في منتصف الإسفلت، وفتحت النَّار مجدَّدًا تُجاه الجيب نفسه.

بعد أن سمع القائد عماد إطلاق النَّار على الجيب الأوَّل، كان الجيب الثَّاني قد وصلَه، فقفز أمامه، وصبَّ عليه ما في سلاحه من رصاص، مُنسحبًا تُجاه السَّيَّارة التي كنا قد سبقناه إليها، لننطلق معًا صوب منطقة جباليا النَّزلة، وبينما نحن كذلك وإذ بالسَّيَّارة تتعطَّل، فانتفضنا جميعًا مغادرين إيَّاها، راكضين تُجاه شارع صلاح الدِّين، وما أن وصلناه حتَّى لمح المجاهد جمال إحدى السَّيَّارات القادمة من بعيد، فأوقفها وطمأن صاحبها بتبعيَّتنا لكتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام،

وسيتم إعادة السَيَّارة له وتعويضه عن خسائره وضياع يوميَّته، فصعدنا بها مُكملين خطَّ مسيرنا عبر شارع صلاح الدِّين حيث الشِّجاعيَّة وصولًا لمنزل عائلة فرحات، تاركين حكومة الاحتلال في حالة تخبُّطٍ وذهول.

نتائج العملية

عمليَّةٌ جريئةٌ دقَّت في خاصرة المنظومة الأمنيَّة والعسكريَّة في أكثر الأماكن ازدحامًا بالسُّكَّان في العالم، وبالجنود الصَّهاينة وثكنات الجيش، فليس غريبًا على حكومة الاحتلال أن تُعلن مُكرهةً عن مقتل نائب قائد الدورية (يوسف شبتاي) إثر إصابةٍ في رأسه، وإصابة جنديين آخرين، أحدهما قائد الدورية الذي وُصفت إصابته بالخطيرة!، رغم أنَّ المنفِّذين "جمال ورائد ومحمَّد" يؤكِّدون مقتل معظم جنود الدورية وإصابة البقيَّة!، أمَّا شاهد العيان، وهو والد المجاهد صلاح عثمان فيُقسم أنَّه رأى ثلاث جثثٍ مغطَّاةٍ بأكياس النَّايلون ومُلقاةٍ على الطَّريق!



رئيس وزراء الكيان رابين في مكان العملية

2 مليون دولار مقابل رأس عماد

في هذه العمليَّة جُنَّ الاحتلال وأعلنت حكومته عن مكافأةٍ تبلغ مليونا دولار أمريكيمقابل الإدلاء بمعلومةٍ تُنهي حياة عماد عقل!

لم يقف الأمر إلى هذا الحد؛ بل نزل رئيس وزراء دولة الكيان "إسحاق رابين" بنفسه أمام منزل عماد وعرض على أهله السَّفر لعماد إلى الخارج بكلِّ حرِّيَّةٍ دون أن يتمَّ اعتقاله أو قتله، والحفاظ على روحه.

مداهمة البيت

في حينها نزل رابين أمام البيت، وأشار بأصبعه، وقال بلغته العربية المُكسَّرة: "هل هذا هو بيت عماد الذي فعل كلَّ هذا؟"، وأشار للضَّابط باقتحام

البيـت، فأغلقـوا غُرفـه، وأخرجوا عائلة عمـاد إلى الخارج، وأحضروا الباطـون، وأغلقوا بـه الأبـواب، ولحمـوا الشَّـبابيك والمنافـذ الأساسـيَّة للمـنزل بالحديـد، وزرعـوا أجهـزة تنصُّـتٍ وكامـيرات بـثٍّ مباشِـرة؛ لتدلُّهـم علـى عمـاد فـور وصولـه للمـنزل، لكـنَّ عمـادًا كان أفطـن ممَّـا يظنُّـون، فدخـل البيـت وخـرج منـه في وجودهـا دون أن يشـعروا.

عودةٌ سالمة

عـاد عمـاد والأبطـال إلى بيـت آل فرحـات مـن عمليَّـة المقـبرة البطوليَّة، فغسـلوا ثيابهـم مـن دمـاء الجنـود المُتنـاثـرة عليهـا، وأتمُّـوا صيامهـم وصلاتهـم... عـادوا بعـد صيدهـم الثَّمـين؛ ليجـدوا أمَّ نضـال وأبناءهـا في انتظارهـم علـى مائـدة الإفطـار!

ثانياً: عماد عقل ... استثنائي النِّزال

شهادةُ الأعداء

"كلُّ الأكفـوت لعمـاد عقل "[1]بهـذه الجملـة العِبريَّـة ابتـدأ ضابـطُ التَّحقيـق في جهـاز الشَّـاباك الصُّهيـوني تحقيقـه مع المجاهـد وسـام فرحـات!

فـيروي لنـا وسـام لحظـة بـدء التَّحقيـق معـه بعـد اعتقـال الجيـش الصُّهيـوني لـه، حيـث قـال لـه الضَّابـط بالحـرف الواحـد: "كل الأكفـوت لعمـاد عـكل..."، أي كلُّ الاحـترام لعمـاد عقـل" فقلـتُ لـه: لمـاذا؟"، فقـال لي: "لأنَّـه كان يُقاتـل جنديًّـا مقابـل جنـدي، وكان يقاتـل الجنـود وليـس المدنيِّـين، وهـؤلاء النَّـاس نحترمهـم".

لقـد كان عمـاد يسـتغلُّ كلَّ وقتـه؛ لأنَّـه يَعـدُّ نفسَـه مطـاردًا، فـكلُّ دقيقـةٍ تذهـب منـه يَعدُّهـا خسـارة، فعندمـا ينتهـي مـن أيِّ عمليَّـةٍ يتوجَّـه إلى عمليَّـةٍ أخـرى، فـكان يُرسـل المجاهديـن إلى عمليَّـات رصـدٍ جديـدةٍ لبعـض المناطـق.

---

(1) جملة عبرية تُقال لمن يستحق الاحترام

عمليَّة ميدان غزة: العمليَّة رقم (18)

المهمة	مهاجمة دوريَّة عسكريَّة
التاريخ	1993/03/28 م
الزمان	صباحًا
المكان	شارع عمر المختار – ميدان غزَّة – شارع الوحدة
المنفذون	عماد عقل، محمَّد دخان، إبراهيم عاشور، باسم عيسى، رائد الحلَّاق، أيمن مهنَّا.
الحصيلة	لم يعترف العدوُّ بأيِّ إصابات
السلاح المستخدم	كارل غوستاف، (2) كلاشنكوف، (2) M16

الرَّصد والتَّخطيط:

وصلت للقائد عماد معلوماتٌ مفادها أنَّ دوريَّةً عسكريَّةً تمرُّ في ساعةٍ محدَّدةٍ صباحًا بجوار مقبرة الشَّيخ شعبان بالقرب من ميدان غزَّة.

جمع القائد عماد عددًا من المجاهدين، وبدأ يرسم آليَّة تنفيذ العمليَّة، ليُقرِّر تنفيذها بسيَّارتين تضمَّان ستَّة مجاهدين، بحيث يكمن المجاهدون في تلك المقبرة، ناصبين كمينًا مُحكمًا للدوريَّة من اتِّجاهاتٍ عدَّة، لتقع في مقتلةٍ لا تخرج منها سالمة.



الشهيد القائد / أيمن مهنا

التَّنفيذ:

انطلق المجاهدون السِّتَّة، منقسمين في سيَّارتين، أمَّا السَّيَّارة الأولى فكانت

تُقلُّ كلًّا من: عماد عقل، ورائد الحلَّاق، وأيمن مهنَّا[1]، فيم تُقلُّ السَّيَّارة الثَّانية: إبراهيم عاشور[2]، ومحمَّد دخان، وباسم عيسى، وما أن وصلوا المكان المُتَّفق عليه، حتَّى باشروا بخطواتٍ عمليَّةٍ بنصب كمينهم بإحكام، ولكن وما أن حانت لحظة التَّنفيذ لم تمرَّ الدَّوريَّة من المكان، الأمر الذي أجبر القائد عماد على إلغاء العمليَّة ومغادرة المكان فورًا.

انطلق المجاهدون في طريق انسحابهم، وبينما هم يسيرون في شارع الوحدة الرَّئيسي، وإذ بهم يتفاجؤون بثلاثة جيبَّاتٍ عسكريَّةٍ تابعةٍ للجيش الصُّهيوني تسير في ذات الطَّريق نحوهم، وبينما هم كذلك، وإذ بالجيبَّين الأخيرين ينفصلان عن الأوَّل ويُغيِّران خطَّ سيرهما، مُبقيان الأوَّل كما هو مُتَّجهًا نحو طريق المجاهدين.



الشهيد القائد / إبراهيم عاشور

(1) أيمن إبراهيم مهنَّا (2002م): يُكنَىَ (أبو أنس) وُلد بمعسكر جباليا شمال القطاع، ترعرع بين أكناف عائلةٍ ملتزمة، انتقلت للسكن في حي الشيخ رضوان بمدينة غزة، التزم وشبَّ في مسجد الشيخ رضوان، التحق بحركة حماس عام 1987م، وتدرج في مراحله الدراسية حاصلاً على درجة البكالوريوس من جامعة القدس المفتوحة ضمن تخصص برمجة كمبيوتر، عمل سكرتيراً في مدرسة خليل الوزير، انضمَّ لصفوف كتائب القسام عام 1992م مرتبطاً عمله بالقائد عماد عقل، وخاض معه عدداً من العمليات العسكرية وخاصة بمدينة الخليل، اعتقلته قوات الاحتلال عام 1993م، ممضياً سنتين، واُعتقل للمرة الثانية على أيدي أجهزة السلطة، وأمضى سجيناً وسط التعذيب سنتين، شارك في التخطيط لعددٍ من العمليات العسكرية، منها عملية الاستشهادي محمد فرحات، وكان له البصمات الواضحة في التصنيع العسكري برفقة القائد نضال فرحات، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 2002/2/16م برفقة القائد نضال وثلة من المجاهدين الأبطال، خلال عملهم على مشروع الطائرة الشراعية، في عمليةٍ أمنيةٍ معقدةٍ نفَّذتها قوات الاحتلال بمشاركة عملائه.

(2) إبراهيم يونس عاشور (1969-1993م): ولد بتاريخ 15 ديسمبر 1969م، بمخيم يبنا في مدينة رفح، والتزم في مسجد الهدى بالمخيم، التحق بكلية المجتمع العصرية برام الله ليدرس الصحافة والإعلام، وحصل على دبلوم لغة عربية من معهد الأزهر الديني بغزة، وكان من أوائل الملتحقين بحركة حماس، واعتقل عام 1989م لمدة عام ونصف، التحق بكتائب القسّام منذ انطلاقتها، شارك في العديد من العمليات على مستوى قطاع غزة، وارتقى شهيدًا صائمًا في فجر يوم عرفة الموافق 30 مايو 1993م، برفقة (الشهيد: محمد صيام) أثناء اشتباك مسلح مع قوات صهيونية حاصرته وإخوانه في حي اليرموك بمدينة غزة، فيما تم اعتقال المجاهد المحرر رائد الحلّاق.

أيقـن المجاهـدون أنَّ في الأمـر ريبـة، فليـس مـن عـادة دوريَّـات الجيـش الصُّهيوني الانفصال عـن بعضهـا إلَّا في حـالات نصـب الكمائـن وتنفيـذ العمليَّـات، فأصدر القائـد عماد أوامره للسَّـيَّارة الثَّانيـة المُتحرِّكـة في إحـدى الشَّـوارع الفرعيَّـة إبطاء حركتهـا وعـدم الدُّخـول في الشَّـارع الرَّئيـسي، ويكونـوا علـى اسـتعدادٍ لمواجهـة أيِّ طـارئٍ قـد يحـدث.

وفي ذات الوقت أشـار القائد عماد على رفاقه في ذات السَّـيَّارة بتذخير الأسـلحة ورفـع درجة الاسـتعداد، وإعطاء الضُّـوء الأخضـر لفتـح النَّـار علـى الجيـب المُتقـدِّم نحوهـم حـال إبدائـه أيّ ردَّة فعـلٍ تُثير الشَّـك.


موقع تنفيذ العملية

بـدأ المجاهـدون بتنفيـذ الأوامـر الصَّـادرة، وكان مـن بينهـم المجاهـد رائـد، الـذي سـحب أقسـام بندقيَّـة الكارل غوسـتاف التـي بحوزتـه لحظـة اقـتراب الجيـب منهـم، ولكن فجأةً لم تعد الأقسـام لمكانهـا الصَّحيـح، فخرجـت رصاصـةٌ عـن طريـق الخطأ اخترقـت بـاب السَّـيَّارة الـذي يجلـس بجـواره، مُحدثـةً صوتًـا عاليًـا أجـبر الجيـب الصُّهيـوني علـى التَّوقُّـف بقـوَّة.

حينهـا وبـردَّةٍ فعـلٍ قويَّـةٍ ومُحكمـةٍ اسـتدار القائـد عمـاد للخلـف، حيـث الجيـب الـذي بـدأ يـنزل منـه أحد الجنـود المُدجَّجين بالسِّـلاح، فـأراد إطـلاق النَّـار عليـه إلَّا أنَّـه لـم يتمكَّـن؛ لتواجـده في المقعـد الأمـاميِّ للسَّـيَّارة، فصـرخ في المجاهـد أيمـن لفتـح النَّـار تُجاه الجيـب قبل خـروج بـاقي الجنود.

حينهـا وبحنكـةٍ جميلـة، اسـتدار المجاهـد أيمـن نحـو الزُّجـاج الخلفـيِّ لسـيَّارته، الـذي يـرى الجيـب من خلاله، وباشـر بإطـلاق النَّـار عبره، لتخـترق الرَّصاصـات الزُّجاج، مكملـةً طريقهـا نحـو الجيـب، ما أجـبر الجنـود علـى الاختبـاء، الأمـر الذي سـنح فرصـةً

للمجاهدين الآخرين بالتَّهيُّؤ للتَّعامل مع الهدف، وبسبب الزُّجاج المُتطاير توقَّفت بندقيَّة المجاهد أيمن عن العمل، لتكون معيَّة الله واضحةً أن كان المجاهد محمَّد -من السَّيَّارة الثانية- قد أخذ وضعيَّته المناسبة، وبدأ بإطلاق النَّار بكثافة، مُكملًا دور رفيق دربه أيمن.

أمَّا المجاهد إبراهيم -رفيق المجاهد محمَّد في السَّيَّارة الثَّانية- فقد أظهر نفسه للجنود الصَّهاينة، جاذبًا انتباههم؛ في سبيل إتاحة الفرصة لمجاهدي السَّيَّارة الأولى بالانسحاب والابتعاد عن الخطر، فقفز المجاهدان "عماد وأيمن" منها، فيم بقي المجاهد رائد عالقًا فيها والسَّيَّارة مستمرَّةٌ في السَّير، وفجأةً ارتطمت بحافَّة الرَّصيف، ليَحدث خللٌ فيها يجعلها تسير للخلف حيث الجيب العسكريِّ المتوقِّف.

لم يكن المجاهد رائد قد أدرك الأمر حتَّى سقط من السَّيَّارة واجدًا نفسه مُلقًا أمام الجيب العسكري مباشرةً، حينها تيقَّن أنَّ أمره قد انتهى، وأنَّ طريقه قد وصل إلى نهايته، ولكن ولوهلةٍ بسيطة التفت بوجهه نحو الجيب ليجد الجنود الصَّهاينة مُختبئين داخله ولا يقدرون على الخروج، فكانت له الفرصة المناسبة للوقوف على قدميه والركض سريعًا تُجاه رفاق دربه الذين كانوا بانتظاره، مُبتعدين عن المكان بسلام.

وصل المجاهدون إلى مكان الإيواء بسلام، لتصلهم بعد ساعاتٍ قليلة معلوماتٌ مفادها، هروب جنود الدَّوريَّة من الجيب والاختباء في إحدى منازل المنطقة هناك، ولم يخرجوا منها إلَّا بعد وصول التَّعزيزات العسكريَّة لهم وسيَّارة الإسعاف التي كانت تُرافقهم.

لقاء العظماء

بعدما ضُيِّق الخناق واشتدَّ على مجاهدي كتائب القسَّام في المنطقة الجنوبيَّة، اجتمع القائدان "محمَّد الضَّيف وجميل وادي" معًا ..

يتدارسان الأمر ويبحثان عن نافذةٍ تُخرج المجاهدين من هذه الحالة القاسية، ليكون القرار بانتقال عددٍ من مجاهدي هذه المنطقة للمنطقة الشَّماليَّة، التي كادت أن تخلو من المجاهدين المطاردين لخروج جلِّهم إلى خارج القطاع عدا القائد عماد، الذي جنَّد عدداً من المجاهدين الأبطال غير المكشوفين وبدأ برفقتهم تنفيذ عددٍ من العمليَّات العسكريَّة.

فتناقش القائدان "محمَّد الضَّيف وجميل وادي" في أسماء المجاهدين الذين سينتقلون برفقة القائد أبو خالد الضيف إلى هناك، فكان الاختيار قد وقع على المجاهدين: "إبراهيم سلامة، وعبد الرحمن حمدان، ومحمَّد صيام، وجمال موسى"، وأمَّا المجاهد إبراهيم عاشور فكان قد سبقهم قبل ذلك وانخرط في مجموعات القائد عماد عقل.



الشهيد القائد / إبراهيم سلامة

كان التَوافق أن ينتقل القائد الضَّيف أوَّلا، مُستعيناً بمعارفه الذين تعرَّف عليهم عبر عمله ضمن مجلس الطلاب في الجامعة الإسلاميَّة، يُجهِّز بمساعدتهم أماكن الإيواء وآليَّات التَّنقُّل وطُرق الاتِّصال، وما أن ينتهي من ذلك حتى يبدأ المجاهدون المُختارون باللحاق به تِباعًا.



الشهيد القائد / عبد الرحمن حمدان

وصل القائد الضَّيف مدينة غزَّة وأتمَّ ما عليه من مهمَّةٍ بعد أيَّامٍ قليلة،


الشهيد القائد / محمد صيام

وانتقل المجاهدون إليه لتبدأ بعدها محاولات الوصول للقائد عماد عقل، العنوان الأبرز في المنطقة الشَّماليَّة للقطاع، فكتب القدر للقائدين "عماد عقل ومحمَّد الضيف" أن يلتقيا في إحدى أماكن الإيواء، فانتهزا الفرصة في إدلاء كلٍّ واحدٍ لأحواله وأوضاع المجاهدين من حوله وسُبل توحيد الجهود والعمل ضمن بوتقةٍ واحدةٍ وفي اتِّجاهٍ واحدٍ كذلك، فكان الاتفاق على انخراط مجاهدي المنطقة الجنوبية بمجاهدي المنطقة الشَّماليَّة ضمن العمليَّات العسكريَّة المُخطَّط تنفيذها، بحيث تضمُّ المجموعة المُنفِّذة مجاهدين من المنطقتين.

كان القائد الضَّيف قد توصَّل إلى نقطةٍ ميِّتةٍ تربطه بقيادة الحركة في الخارج بمساعدة المجاهد حسين أبو اللبن قُبيل سفره، فعمل على تفعيلها، ومرَّت أيَّامٌ كان يترقَّب فيها إحياءها حتَّى وصلت إشارةٌ بضرورة التَّوجُّه للنقطة لاستلام الأمانة، فأرسل القائد الضَّيف المجاهد عبد الكريم الشَّريف لاستلامها، وما أن وصل حتى وجد صندوقاً بلاستيكياً، فأخذه وعاد به، لتكون المفاجأة أنْ كان بداخله مبلغ 50 ألف دولارٍ أمريكي، حينها التقى القائد أبو خالد بالقائد عماد وأبلغه بإحياء النُّقطة، فاستفسر عمَّا احتوت، لتكون الإجابة: "50 ألف دولارٍ ورسالة..."


المجاهد / جمال موسى

بدتْ الدَّهشة على وجه القائد عماد، الذي لم يرَ دعماً بهذا المبلغ قبل ذلك قط، فاستفسر عمَّا تضمُّه الرِّسالة، فقال القائد أبو خالد: "بعد أسبوعين سنُوصل لكم 50 ألف دولارٍ أخرى"، فاعتقد المجاهدون أنَّ في الأمر خدعة، ولربَّما تكون النُّقود مزوَّرة، وقلوبهم تدعو في الخفاء أن تكون حقيقيَّةً، فجلُّ أسلحة المجاهدين شروها بذهب نسائهم، وبعض أموالهم التي كانوا يودُّون ادِّخارها للظروف القاسية المتوقَّعة، وأخرى بديونٍ قد تراكمت على القائد عماد"

جلس القائدان يتدارسان الشُّؤون الإداريَّة وكذلك التَّنفيذيَّة -الميدانيَّة-، والآليَّة المناسبة للرَّدِّ على الإخوة في الخارج، حينها بدأت ملامح القيادة العسكريَّة لكتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام تتَّضح، ليكون ردُّ القائد عماد: "يا أبا خالد لا تُدخلني في الشُّؤون الإداريَّة للعمل، فأنت الأجدر بها، وإنِّي أُوكلك أن تكون المسؤول الإداريَّ للعمل ولك الصَّلاحيَّات الكاملة فيه، أمَّا أنا فسأبقى مُتفرِّغًا للعمل الميدانيِّ المباشر..." وبذلك تكون المسؤوليَّة التَّنفيذية واقعةً على عاتقه.

ليبدأ القائد عماد بعد ذلك بالتَّخطيط لتنفيذ عمليَّةٍ عسكريَّةٍ نوعيَّةٍ، بإسنادٍ من القائد محمَّد، وقوَّة السِّلاح المُتزايد بأنواعه بين أيدي المجاهدين من حوله.

أداءٌ عجيبٌ وفعلٌ مَهيب...

ما كان لكتائب القسام أن تُشيِّد صرحاً شاهق البناء دون عماداً راسياً يحمل مراكمة البناء، فتعامدت وللجوزاء عانقت تبني جيشاً يُرهب عدواً ويُحيله إلى وكرٍ يصدع بالويلات والحسرات، "يا سادة إنه جيش يدعى عماد".

عندما يغدو صاحب مدرسةٍ عسكريَّةٍ خاصةٍ ينضوي بين ثناياها علماً فريداً وفكراً أصيلاً لم تناظره مدارس الشَّرق أو شتَّى معاهد الغرب، خالف عادة الجيوش في إدارة الحروب عندما تعدَّى طوق الحدود مستبيحها، وحتمية الجنود مُغادرها، فلم يحدد بقعة نزالٍ قط، بل كانت أرضنا المقدَّسة بكامل تُربها تُمثِّل له ساحةً مشتعلة، فقد طالت رصاصاته جنود الحرم أقصى جنوب البلاد،

واخترقـت جماجم حاخامات الشَّـمال لتربط تلك الرَّصاصات الصائبة شـطري وطنٍ مزمـع الشَّـتات، موحِّداً بذلـك جبهات الوطن على قـوسٍ واحدة.

حظي القائـد عماد بتوحُّـد صـوت المجاهديـن من مغاويـر كتائب عـزِّ الدِّيـن "مطاردي زمانـه"، تهتـف لقيادتـه لتشـهد بطولاتـه الجهاديَّـة تنوُّعـاً بشـريَّاً منقطع النَّظـير، فلـم يحكر مرافقته لأشـخاصٍ بعينهـم، بل امتدَّت شـراكته الجهاديَّة إلى أرجاء القطاع كافَّـة، فـلا تـكاد تجـد مجموعـةً مُشـاركةً في مهمَّـةٍ وقـد تكـرَّرت في أخـرى، رغـم تهافـت المجاهديـن للالتحـاق بأسـطوله الذي ما سـلك طريقـاً ولا قطع واديـاً يُصادف بـه شـرذمة بـني يهـود إلا وباغتـه يحتفهـم بـين قتيـلٍ أو جريـحٍ، يعـود مُحدِّثـاً أقرانه عن أسـطولٍ يطـوف البِقـاع، ويسـحق شـأفتهم، يُقـلُّ جيشـاً اسـمه "عمـاد عقل".

سوى بضعة أشهر...

إن كلَّ مُقلِّـبٍ لهـذه الصَّفحـات سيشـرد بـه الذِّهـن إلى سـنواتٍ مـن الإعـداد تتبعهـا أخـرى مـن الجهـاد التي خـاض غمارها عماد؛ ليُدشِّـن هـذه السـطور التي تحكي براعـةً عسـكريةً وإنجـازاً جهاديـاً وإثخانـاً قسـامياً، لكـن مـن العجـب العُجـاب أن تكون هـذه البطـولات الجليلـة في أوقـاتٍ محـدودةٍ وأنفـاسٍ معـدودةٍ لـم تتعـدَّى عامـاً واحداً فقط .

عمليَّة شارع النَّصر الثَّانية "الضَّباب": العمليَّة رقم (19)

المهمة	كمين لجيبين عسكريين كبيرين
التاريخ	1993/04م
الزمان	06:30 ص
المكان	شارع عمر المختار - ميدان غزَّة - شارع الوحدة
المنفذون	عماد عقل، ومحمَّد الضَّيف، وإبراهيم عاشور، وعبد الكريم الشَّريف، ورائد الحلَّاق، وأيمن مهنَّا
الحصيلة	إعطاب الجيب الصَّغير، وحضور سيَّارة إسعافٍ للمكان

الرَّصد والتَّخطيط:

بعد جهودٍ حثيثةٍ في عمليَّات الرَّصد المتتالية، رصد المجاهدون انطلاق جيبَّين عسكريَّين السَّاعة السَّادسة والنَّصف صباحًا من المجلس التَّشريعي نحو معسكر الجيش المحاذي لحيِّ الشَّيخ رضوان، عبر شارع النَّصر الرَّئيسي، فأعطى القائد عماد إشارته ببَدء التَّجهيز لتنفيذ هذه العمليَّة، ولكنَّ هذه المرَّة ستكون بمشاركةٍ مباركةٍ من القائد المجاهد "محمَّد الضَّيف" أحد أبرز المُطاردين العاملين في المجموعات العسكريَّة في المناطق الجنوبيَّة لقطاع غزَّة.

وضع المجاهدون خُطَّتهم، وقسَّموا بإحكامٍ أدوارهم، بحيث يُشارك في هذه العمليَّة ستَّةٌ من المجاهدين الأبطال، ينقسمون في سيَّارتين، أما السَّيَّارة الأولى وهي من نوع "بيجو 404" فتضمُّ: محمَّد الضَّيف، وعبد الكريم الشريف، فيم تضم السَّيَّارة الثَّانية من نوع "بيجو 504": عماد عقل، وإبراهيم عاشور، وأيمن مهنَّا، ورائد الحلَّاق.

التَّنفيذ:

مع بزوغ شمس ذلك اليوم انطلق المجاهدون بالسَّيَّارتين صوب المكان المُراد نصب الكمين فيه، حيث شارع النَّصر، كلٌّ يعلم دوره في العمليَّة بكلِّ دقَّة، ولكن طرأ ما لم يكن في الحسبان حُدوثه، فقد كَسَا المكان ضبابٌ كثيفٌ قلَّل دقَّة الرَّؤية كثيرًا، فلم يعد المجاهدون يميِّزون السَّيَّارات القادمة من بعيد إلَّا لحظة اقترابها الشَّديد منهم.

ففجأةً اصطدمت مجموعة القائد عماد بالجيبِّ الأوَّل -من نوع صرصور- وهو يمرُّ أمامهم دون أيِّ انتباه، إلَّا أنَّهم فتحوا وابل رشَّاشاتهم نحوه، فتوقَّف مكانه، ليتفاجؤوا في تلك اللحظة بالجيبِّ الثَّاني -كبير الحجم- يقف أمامهم، حينها كانت معيَّة الله معهم، فقد فتح القائد محمَّد الضَّيف رشَّاشه تُجاهه، الأمر الذي أتاح للمجاهدين فرصة الانسحاب من أمامه، فيما أكمل باقي رصاصات مخزنه نحو الجيب الصِّغير الذي لا يبعد عنه سوى أمتارٍ قليلة.

سنحت هذه الفرصة للمجاهدين بالانسحاب من مكان العمليَّة، عبر الشَّوارع الفرعيَّة التي تُغلق البراميل الاسمنتيَّة مساحةً كبيرةً منها، وسط حُزنٍ وغضبٍ واضحٍ من القائد عماد؛ لعدم رضاه التَّامِّ عن نتائج العمليَّة التي كان يطمح فيها للأفضل.

وما أن استقلَّ المجاهدون السَّيَّارتين وانطلقوا بهما صوب أماكن الإيواء، حتَّى علقت السَّيَّارة الأولى في الرِّمال، والتي كانت تُقلُّ المجاهدَيْن "محمَّد الضَّيف وعبد الكريم الشَّريف"، ولم تُتح الفرصة لإخّراجها، الأمر الذي أجبر مجاهدي السَّيَّارة الثَّانية على التَّوقُّف، ليَصحبوا معهم القائد المطارد أبو خالد محمَّد الضَّيف، فيما غادر المجاهد عبد الكريم الشَّريف المكان سيرًا على الأقدام وكأنَّ أمرًا لم يكن.

نتائج العمليَّة:

كان دومًا ومن عادة القائد عماد بعد كلِّ عمليَّةٍ أن يُكلِّف أحد المجاهدين باستطلاع مكان العمليَّة بعد حدوثها، ومراقبة مُجريات الحدث، وحصر الإصابات والقتلى ما أمكن.

وهذا ما حدث في هذه العمليَّة فقد وصلت للقائد عماد أخبار تعزيزاتٍ كبيرةٍ قد وصلت المكان، منها العسكريَّة والشُّرطيَّة، إضافةً إلى سيَّارة إسعافٍ وشاحنة نقلٍ كبيرة، أقلُّوا عليها الجيبَّ الصَّغير -الصَّرصور- الذي أُعطب عن الحركة؛ نتيجة وابل الرَّصاص الذي انهمر عليه من رشَّاشاتِ المجاهدين.



القسام يعلن مسؤوليته عن عملية شارع النصر

محاولةٌ جديدة: العمليَّة رقم (20)

المهمة	محاولة تصفية العميل المشلوح
التاريخ	1993/04 م
الزمان	مساءً
المكان	شمال بيت لاهيا
المنفذون	عماد عقل، وأيمن مهنا، والمجاهد "أبو عابد"
الحصيلة	إصابة العميل المشلوح في يده وكتفه
السلاح المستخدم	كارل غوستاف، مسدس

الرَّصد والتَّخطيط:

لم ينس القائد عماد يومًا دماء رفاق دربه من المجاهدين الذين سبقوه بالشَّهادة، ولم يرق له لحظةً بقاء العميل "المشلوح" الذي كان سببًا في ارتقاء رفيق دربه المجاهد غسان أبو ندى شهيدًا على قيد الحياة، بعد أن أطلق النَّار على رأسه في إحدى المحاولات في سبيل تصفيته.

فبذل الجهود المضنية، وسخَّر المجاهدين الأفذاذ؛ من أجل رصد هذا العميل ومعرفة خريطة تحرُّكاته؛ بغرض الوصول إليه وإنهاء أمره، إلَّا أنَّ هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل، في ظلِّ التَّشديدات الأمنيَّة، والحراسات الكبيرة، والوسائل التِّقنيَّة المتقدِّمة، والعقليَّة القويَّة التي كان يمتلكها هذا العميل.

فبعد انكشاف أمره، ولأهمِّيَّته لدولة الكيان المندحرة، سخَّر الجيش الصُّهيوني عددًا من الجنود لحمايته، وأقاموا له بيتًا في أقصى شمال القطاع، وسط بساتين كبيرةٍ محاطةٍ بعددٍ كبيرٍ من السِّياج وكاميرات المراقبة.

نعم فقد كان يعمل موظَّفًا في حقل العصافير في سجون الصَّهاينة، يعمل مُحقِّقًا خسيسًا ضدَّ المجاهدين، ممَّن تمكَّنت القوَّات الصُّهيونيَّة من اعتقالهم، يسحب منهم الاعترافات، ويُسقط عددًا من المواطنين العاديِّين ضعفاء النَّفس

في وحل العمالة والخيانة. إلَّا أنَّ القائد عماد لم ييأس يومًا، حتَّى كان كرم الله له، فقد وصل إلى أحد أقارب هذا العميل، وهو المجاهد "أبو عابد" الذي كان منظَّمًا في صفوف حركة الجهاد الإسلامي، وهو ابن أخت العميل "المشلوح"، فدرس القائد عماد خطَّة تجنيد هذا المجاهد واستغلال قُربه من العميل في سبيل الوصول إليه.

وقد كان له ذلك، ووضع ورفيق دربه "أيمن مهنَّا" والمجاهد "أبو عابد" خطَّةً مُحكمةً تُمكِّنه من القضاء على هذا العميل وسط بستانه الذي يجلس دومًا في قلبه والسِّلاح يُلازمه لا يفارقه، وتكمن هذه الخطَّة في تكرار تردُّد المجاهد "أبو عابد" على مكان خاله "المشلوح"؛ حتَّى يعتاد هذا العميل عليه وعلى زياراته، وفي ذات الوقت يستطلع المجاهد "أبو عابد" شبكة كاميرات المراقبة المنصوبة على طول السِّياج المحيط بالبساتين؛ علَّه يكتشف ثغرةً يتمكَّن عبرها القائد عماد من التَّسلُّل للدَّاخل، وقد نجح.

التَّنفيذ:

اجتمع المجاهدون "عماد، وأيمن، و"أبو عابد"" وسط أجواء من السرِّيَّةٍ، ووضعوا لمساتهم الأخيرة على الخطَّة، فسلَّم القائد عماد المجاهد "أبو عابد" مسدَّسًا صغيرًا يُمكِّنه من إخفائه بين ثيابه، وينطلق كالمعتاد لزيارة خاله "المشلوح"، فيما انطلق القائد عماد مُتسلِّلًا عبر الثَّغرة الأمنيَّة الَّتي تمكَّنوا من كشفها، من بين الأشجار الكثيفة، كامنًا قريبًا من ذاك العميل الذي أبصره من بعيد جالسًا برفقة عددٍ من العملاء وهم يتسامرون وسط البستان.

فيما جهَّز المجاهد أيمن سيَّارةً كبيرة؛ لإخلاء المجاهدين من المكان لحظة الانتهاء من تنفيذ العمليَّة، واصطفَّ بها قريبًا من المكان؛ لاستغلال كلِّ لحظةٍ بعد سماعه للطَّلقات النَّاريَّة.

كمن القائد عماد بكل خطةٍ ومهارة، وما هي إلَّا لحظات حتَّى وصل المجاهد "أبو عابد" المكان، وسلَّم على خاله "المشلوح" ووقف بجانبه يُبادلهم الضَّحكات والمسدَّس مخفيٌّ بثيابه.

وبينما كانت الدَّقائق تمرُّ مُسرعة، حتَّى بان التَّوتُّر والقلق على وجه وحركات المجاهد "أبو عابد"، فلفتت انتباه العميل "المشلوح"، الذي أخذ حذره وتأكَّد من سلاح العوزي المركون بجانبه، ليمتشق المجاهد "أبو عابد" في تلك اللحظة مسدَّسه مُوجِّهًا إياه صوب رأس العميل "المشلوح"، وما أن ضغط على الزِّناد حتَّى كان "المشلوح" مُتيقِّظًا لذلك، فأزاح رأسه واستقرَّت طلقتان في كتفه ويده، وبدأ و"أبو عابد" يتصارعان، الأمر الذي منع القائد عماد من التَّدخُّل؛ خوفًا من إصابة المجاهد "أبو عابد".

وما هي إلا لحظات حتَّى ابتعد المجاهد "أبو عابد" عن العملاء وحاول الهروب منهم، بينما امتشقوا أسلحتهم وظنَّوا أنَّهم قد استفردوا به، ليزأر القائد عماد بسلاحه ويصب وابل رصاص رشَّاشه تُجاههم، الأمر الذي سنح له وللمجاهد "أبو عابد" فرصة الانسحاب من المكان، واستقلال السيَّارة التي كان المجاهد أيمن قد وصل بها إلى المكان في اللحظة المُخطَّط لها بدقَّة، مُنسحبًا بالمجاهدين بسلام، وكثيرًا من الحسرة تملؤهم، فقد أصابوا العميل ولم يتمكَّنوا من قتله.

في ذلك الوقت هرب هذا العميل إلى خارج قطاع غزَّة، وعاش في الدَّاخل المحتل خادمًا للاحتلال الصُّهيوني؛ إلى أن مات في تل أبيب عام 2011م.

واحدةٌ تلو الأخرى: العمليَّة رقم (21)

المهمة	كمين لجيب عسكري يُقلُّه ضابطٌ برتبة عقيد
التاريخ	1993/05/28م
الزمان	9:30 م
المكان	تقاطع شارع النَّصر مع شارع السُّودانيَّة
المنفذون	عماد عقل، ومحمَّد الضَّيف، وعبد الرَّحمن حمدان، وإبراهيم عاشور ورائد الحلَّاق، ومحمَّد صيام، وأيمن مهنَّا "سائق"
الحصيلة	لم يعترف العدو بأيِّ إصابات
السلاح المستخدم	(3) كلاشنكوف، (3) M16

الرَّصد والتَّخطيط:

في الثَّامن والعشرين من شهر مايو عام 1993م جمع القائد عماد رفاق دربه المجاهدين، وقدَّم لهم تقريرًا معلوماتيًّا مُفصَّلًا عن هدفٍ كبيرٍ قد وقع أمام مجاهدي الرَّصد والاستطلاع العاملين معه، حيث ضابطٌ عسكريٌّ في الجيش الصُّهيوني، يحمل رتبة عقيد، يسير بجيبٍ يقوده جنديٌّ آخر قاطعًا مفترق السُّودانيَّة حيث شارع البحر شمال قطاع غزة.

ولأهميَّة هذه العمليَّة، فقد قرَّر القائد عماد مُضاعفة عدد الأفراد المُشاركين في تنفيذها لستَّة مجاهدين، بحيث يُضاف للمُنفِّذين كلٌّ من: محمَّد الضَّيف، وعبد الرَّحمن حمدان[1]، ومحمَّد صيام".

شرح القائد عماد آليَّة تنفيذ العمليَّة، وتقاسم المجاهدون الأدوار بينهم، بحيث يقف كلٌّ واحدٍ عند مسؤوليَّته المُكلَّف بها دون أيِّ خطأٍ يُذكر، وتقرَّر تنفيذ العمليَّة السَّاعة التَّاسعة والنِّصف مساءً، عبر كمينٍ مُحكمٍ يتمُّ تجهيزه على مفترق الطُّرق؛ والذي يُجبر السَّائق فيه على إبطاء سرعة المركبة؛ لتسهيل عمليَّة الاستدارة حوله، مع الاستعانة بالبُستان المجاور للمكان الذي زُرعت فيه الأشجار ما يحقِّق ولو جزءًا من مبدأ المفاجأة.

---

(1) عبد الرحمن محمد حمدان (1971-1994): يُكنىَّ (أبو أحمد)، وُلد بتاريخ 1971/3/3م في مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، عاش بين أحضان عائلةٍ محافظة تعود أصولها لبلدة سوافير الشرقية المحتلة، تعلَّق قلبه بمسجد فلسطين منذ صغره، وتدرج في مراحل الدراسة حاصلاً على شهادة الثانوية العامة، انخرط في صفوف حركة حماس مع بداية الانتفاضة، فاعلاً في أجهزتها "الأحداث، ومجد، والصاعقة، والإعلام"، وقد طاردته قوات الاحتلال لذلك، منخرطاً بعدها في صفوف كتائب القسام مخططاً ومشاركاً في تنفيذ عددٍ من العمليات العسكرية، وقيادته لمجموعة (صفر)، التي نفذت عدداً من العمليات في غزَّة والضفة، حتى اعترفت المخابرات الصهيونية مشاركته في قتل (9) جنودٍ صهاينة، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 1994/2/24م خلال اشتباكٍ مسلَّحٍ مع قوات كبيرة من جيش الاحتلال في الضفة الغربية، برفقة المجاهد علي العامودي الذي أصيب وتم اعتقاله، وقد دفنت أجزاء منه في القدس وأخرى في مسقط رأسه خان يونس.

التَّنفيذ:

انطلق المجاهدون الأبطال نحو مكان تنفيذ العمليَّة حيث مفترق الطُّرق، عبر سيَّارتين كانوا يستقلُّونهما، وحين وصولهم المكان ترجَّل الجميع من السَّيَّارات يُخفي كلٌّ واحدٍ منهم سلاحه تحت ملابسه، وتسلَّلوا حيث البستان المجاور للمكان، والذي سيتم نصب الكمين من خلاله، واستطلعوا المكان ليجدوه وفق ما شُرح لهم.

في تلك اللحظة تحولق جميع المجاهدين حول قائدهم عماد، والذي بدوره بدأ يُراجع حيثيَّات تنفيذ العمليَّة، ومهمَّة كلِّ واحدٍ من المجاهدين وفق الخطَّة المُتَّفق عليها، وما أن تمَّ التَّتميم على ذلك حتَّى أعطى إيعازه بالانتشار على شكل ثلاث مجموعاتٍ بواقع مجاهدين اثنين في كل مجموعة، ينتشرون طوليًّا على الطَّريق؛ حتَّى يتمكَّن الجميع من إطلاق النَّار على الجيب من المجاهد الأوَّل وحتَّى الأخير.



القائد / عماد عقل

كمن المجاهدون في أماكنهم يرقبون الهدف، وما هي إلَّا لحظاتٌ على الانتشار، حتَّى سطع ضوءٌ في الطَّريق وسط الظَّلام الدَّامس، حينها أيقن المجاهدون أنَّ هدفهم قد اقترب، فشحذوا الهمم وسحبوا أقسام أسلحتهم، وألسنتهم تلهج بصوتٍ خافت "الله أكبر..."

ما أن أخفض الجيب من سرعته لاقترابه من مُفترق الطُّرق، حتَّى فتح المجاهدان الأوَّلان -إبراهيم عاشور ورائد الحلَّاق- نيران سلاحيهما على الجيب، يستهدفان ذاك الجنديَّ الذي يجلس في مؤخِّرة الجيب "كبينة الجيب المكشوفة"، يتبعهما المجاهدان اللذان بعدهما -محمَّد الضَّيف ومحمَّد صيام، حيث الضَّابط

وسـائقه، وكذلـك المجاهـدان الأخـيران -عمـاد عقـل وعبـد الرَّحمـن حمـدان- اللـذان أحكمـا إطـلاق النَّـار علـى الجيـب بالكامـل نتيجـة سُـرعته البطيئـة جـدًّا.

مـا أنْ أفـرغ جـلُّ المجاهديـن مـا في أسـلحتهم مـن طلقـات، حتَّى بـدأ القائـد عماد بالتَّغطيـة عليهم؛ في سـبيل انسـحابهم بسـلام، وقد تمَّ ذلك، وصيحـات التَّكبير تضجُّ في مـكان تنفيـذ العمليَّة.

انسـحب المجاهـدون من مكان الكمين، مُتَّجهين حيث نقطة الانسـحاب الأولى المُتَّفـق عليهـا، فانتظـروا بعضهـم، ومـا هـي إلَّا دقائـق حتَّى وصـل الجميع سـالمين عدا واحـد، إنَّـه قائدهـم عماد، فعـاد المجاهدون حيـث موقع العمليَّـة، ليجـدوا القائد عماد تائهًـا في ذاك البسـتان الكبـير، فاسـتقل إحدى السَّـيَّارتين وبرفقته كلٌّ مـن المجاهدين: "محمَّـد الضَّيـف، عبـد الرَّحمـن حمـدان، وأيمـن -السَّـائق-"، منطلقـين معًـا نحـو شـمال القطـاع وُفـق مـا هـو مخطَّـطٌ لـه، فيمـا اسـتقل المجاهـدون "إبراهيـم عاشـور، ورائـد الحـلَّاق، ومحمَّـد صيام" السَّـيَّارة الثَّانيـة متَّجهين صوب بيـت المجاهد مجدي عطـا الله الـذي كان بمثابـة مـأوى لهـم، حيـث كان بانتظارهم.

حين كبَّر المسيحي: العمليَّة رقم (22)

المهمة	اجتياز دوريَّة للجيش
التاريخ	1993/05/28م
الزمان	قُبيل منتصف الليل
المكان	منطقة قرقش بحيّ الدَّرج - شرق غزَّة
المنفذون	عماد عقل، ومحمَّد الضَّيف، وعبد الرَّحمن حمدان، وأيمن مهنَّا "السَّائق"
الحصيلة	إصابات في الجنود
السلاح المستخدم	M16 (3)، كلاشنكوف

تنفيذٌ بلا خطَّةٍ أو رصد:

بعد أن نفَّذ المجاهدون عمليَّتهم البطوليَّة السَّابقة -عمليَّة السُّودانيَّة-، توجّه القائد عماد واثنين من المجاهدين "محمَّد الضَّيف، وعبد الرَّحمن حمدان" صوب دوَّار (أبو شرخ) شرقًا، ثمَّ شارع يافا جنوبًا، الذي سيسلكوه في سبيل الوصول إلى مكان إيوائهم، حيث بيت عائلة فرحات المجاهدة، وبينما هم في الطَّريق مرُّوا عن إحدى المساجد التي كان مصلُّوها قد انتهوا من أداء صلاة العشاء في ذلك الوقت، فانتهز القائد عماد هذه الفرصة، وأشار على المجاهد أيمن بالتَّوقف، ليمتشق القائد عماد سلاحه مُطلقًا عدَّة أعيرةٍ ناريَّةٍ في الهواء، صادحًا بأعلى صوته بمسؤوليَّة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام عن العمليَّة العسكريَّة في منطقة السُّودانيَّة، لتملأ أرجاء المكان هتافات التَّكبير والتَّهليل من حناجر المُصلِّين وسكَّان المنطقة.

ليُكمل المجاهدون طريقهم نحو شارع يافا، وما أن بدأوا يسلكونه حتَّى تفاجأوا قريبًا من منتصفه بكشَّافاتٍ قويَّةٍ تُضاءُ في وجوههم، ليُبصروا أربع جيبَّاتٍ صهيونيَّةٍ تُغلق الطَّريق بإحكام، فكان أيمن هو السَّائق، وعماد بجانبه، ومحمَّد الضيف وعبد الرحمن حمدان جالسان في المقاعد الخلفيَّة، وفجأةً وجدوا

أنفسهم محاصرين بين الجيبّات الأربعة، فوضع عماد سلاحه M16 بين قدمَيه، وإذ بضابط الدّوريّة يصرخ عليهم آمرًا إيّاهم بالنُّزول من السَّيَّارة، وفي هذه اللحظة كان عماد ومن معه من المجاهدين قد عقدوا النِّيَّة ألّا يستسلموا، محاولاً في ذات اللحظة إعطاء المجاهد أيمن إشارةً كي يتجاوزهم، ولكنَّه لم يستطع، فبدأ الجنود ينزلون ويتهيؤون لتثبيت المجاهدين، فما كان من أيمن إلّا وأن ترك "مِقوَد" السَّيَّارة في وضع نيوترل "محلول" كي تسير السَّيَّارة للأمام ببطء.

فجأةً ودون أي مشورةٍ أو إشارة ضغط المجاهد أيمن على مزوِّد البنزين بسرعةٍ عالية -وهذا ما كان يجول في خُلد قائده عماد- متجاوزًا الجنود، الذين فرُّوا من أمامه، ينبطحون خلف السَّواتر، ويستترون من الطَّلقات النَّارية التي تُزغرد بها أسلحة المجاهدين فور نجاحهم في التَّجاوز، سانحةً هذه الفرصة للمجاهدين بالانسحاب عبر شارع يافا حيث مفترق السِّدرة، وما أن بدأوا يلتفُّون حول المفترق حتَّى استيقظ الجنود من هول الصَّدمة، وهرعوا لإطلاق النَّار العشوائِّي بكثافة؛ ما أدَّى لإصابة السَّيَّارة ببعض العيارات النَّاريَّة؛ دون أيِّ مساسٍ بالمجاهدين.

أكمل المجاهدون طريق انسحابهم حيث مسجد السَّيِّد هاشم، ليصطدموا بالبراميل التي كان الصَّهاينة قد أغلقوا عددًا من الشَّوارع بها، ولضيق الوقت وشدَّة الخطر، استخدم المجاهدون سقف السَّيَّارة كوسيلةٍ للوصول إلى أعلى البراميل والقفز منها لتجاوزها، فنجحوا في ذلك وبدؤوا يركضون في ذاك الشَّارع إلى أن وصلوا طرفه الآخر، ليجدوا رجلًا وامرأةً يودُّون استقلال سيَّارتهما، فطلبوا الإذن منه في استعارتها؛ كي تساعدهم في الخروج من المكان؛ لأنَّهم مطاردون ينتمون لكتائب القسَّام، والعدوُّ يلهث في مطاردتهم.

من هول الصَّدمة لم يتفوَّه الرَّجل بأية كلمة، ولضيق الوقت استقلَّ المجاهدون السَّيَّارة وانطلقوا بها صوب بيت عائلة "فرحات"، ومن عجائب ما حدث أنَّه وبعد أن وصلوا إلى منزل أمِّ نضال أرادوا - كالعادة - أن يُنظِّفوا السَّيَّارة تهيئةً لإعادتها لصاحبها. وبينما هم كذلك، وإذ بهم يعثرون في صندوقها الخلفي على حقيبةٍ ثقيلةٍ فأدخلوها

في المنزل، ليجدوا فيها أوراقًا ثبوتيَّةً لصاحب السَّيَّارة، ومبلغًا ماليًّا كبيرًا من فئة 20 دينار على هيئة رُزم، يُقدَّر بالمليون دينار، فأغلقها القائد عماد، وأمر المجاهدين "أيمن مهنَّا ونضال فرحات" أن يُوصلاها لصاحبها كما هي.

توجَّه المجاهدان حيث بيت الرَّجل، وبعد أن طرقا باب البيت خرج لهما وفي رقبته "قِلادةٌ عليها شعار الصَّليب"، ليتبيَّن لهما أنَّه يعتنق الدِّيانة المسيحيَّة، وما أن رأى الرَّجلُ أيمن صرخ فيه قائلًا: "أنتم الذين أخذتم سيَّارتي؟"، فأجابه أيمن قائلًا: "نعم"، ليتفاجأ بالرَّجل ممسكًا بتلابيبه، قائلًا له بلهفة: "أين سيَّارتي؟؟" فقال له: "انظر! ها هي هناك"، فهرع الرَّجل إليها فاتحًا إيَّاها، محتضنًا الحقيبة بلهفةٍ شديدة، قائلًا لأيمن: "هل تعرف ماذا يوجد بداخلها؟"، فقال له أيمن: "نعم، بها ما يقرب من المليون دينار، وها هي أمانتك كما هي"، وقال له بهدوء: "نحن إخوانك في كتائب القسَّام، واضطررنا لأخذ السَّيَّارة لأنَّنا كنَّا مطاردين..."، فما كان من المسيحي إلَّا أن كبَّر بأعلى صوته، وقال: الله أكبر! الله أكبر! الرّبُ ينصركم الرّبُ ينصركم!!!

ثانياً: عماد رسالة ثأرٍ وفكر جهاد

استشهاد قائد المنطقة الجنوبيَّة في كتائب القسَّام

اشتدَّ الخِناق على المطارَدين، وأصبحت صور عماد عقل وجميل وادي وغيرهم تتصدَّر واجهات الصُّحف الصُّهيونيَّة، وكذلك قوائم الشَّاباك، فشدَّدت قوَّات الاحتلال قبضتها على قطاع غزَّة، وأقامت الحواجز العسكريَّة في كلِّ مناطق القطاع، وفرضت الطَّوق الأمنيَّ في أوقاتٍ كثيرة.

إلَّا أنَّ تلك التَّشديدات لم تمنع أسود القسَّام من ممارسة حِرْفَتهم المُعتادة، ففي السَّابع والعشرين من شهر يونيو عام 1993م نصبتْ مجموعة القائد جميل كمينًا لجيبٍ عسكريٍّ على طريق السَّاحلِ بين مدينتي خان يونُس وديرِ البلح جنوبَ قطاع غزَّة، حيث أطلق المجاهدون النَّار تُجاه الجيب على بُعد مترين فقط، وتكتَّم العدوُّ على خسائره. ومع استمرار الاشتباك، قَدِمت قوَّاتٌ إضافيَّةٌ

لجيش الاحتلال من كلِّ مكان؛ فأوقفت دوريَّةٌ عسكريَّةٌ مفاجئةٌ سيَّارة القائد جميل وادي قُرْب منطقة المواصي جنوبَ القطاع، وطلب منه الضَّابط الصُّهيوني بطاقة هويَّته، فما كان من القائد جميل وادي إلَّا وأن سحب مسدَّسه الشَّخصي وأفرغ ثلاثَ رصاصاتٍ في رأس هذا الضَّابط، فيما أُمطِرَ جسدُه الطَّاهر بوابلٍ من رصاصِ الجنود الآخرين؛ ليرتقي شهيدًا بعد تاريخٍ جهاديٍّ زاخر.



السيارة التي استشهد بها القائد جميل وادي

القسَّام يحتجز رهائن:

عاطفةُ القلب قد تكون لها سُلطتها على الإنسان، فتمنَع عنه الكثير من القرارات التي ترى أنَّها تمسُّ القلب؛ لكنَّ ذلك ليس في عُرف المجاهد الذي نذر روحه لأجل وطنه...

بعد أن اتَّسع العمل العسكري، وأصبح اسم كتائب القسَّام "كابوسًا" يُلاحق أحلام الصَّهاينة؛ قرَّرت الكتائب أن تجِد أسلوبًا للإفراج عن أسرى المقاومة الفلسطينيَّة من التَّنظيمات الفلسطينيَّة، وبعد عدَّة مشاوراتٍ وتخطيطات، كان القرار باحتجاز حافلةٍ صهيونيَّة؛ بهدف مبادلة رهائنها بأسرى فلسطينيِّين... سُمِّيت تلك العمليَّة فيما بعد بعمليَّة "التَّلَّة الفرنسيَّة".

أشار قادة القسَّام على عماد عقل ابتعاث صديقه الحميم "صلاح عثمان" ليكون أحد المُنفِّذين برفقة المجاهدَيْن "محمَّد الهندي من غزَّة - وماهر أبو سرور من بيت لحم"؛ فلم يجد غضاضةً في ذلك، وودَّع صديقه عندما رآه ليلة القدر قُبيْل عمليَّة المقبرة، وعاد لاستكمال مهمَّاته في العمل العسكري.

انطلق صلاح ومحمَّد إلى الحدود الشَّرقيَّة لقطاع غزَّة، وكانا يعلمان مدى مشقَّة الوصول إلى الضِّفَّة وسط التَّشديد الأمني، لكنَّ معيَّة الله لم تفارقهم؛ وفي الليل وأثناء سيرهم في جبال الخليل داهمهم جيبٌ عسكريٌّ به جنديَّان على طريق بيت كاحل قُرب مدينة الخليل، فأشهر صلاح مسدَّسه صوبَهما، وتمَّت إصابتهما! فيما أكمل المجاهدان طريقهما.

وبعد أيَّام من البحث، التقى المجاهدون الثَّلاثة ببعضهم: "ماهر أبو سرور "قاتل حاييم"، ومحمَّد الهندي، وصلاح عثمان" وبدأ التَّخطيط للعمليَّة.

هي العمليَّة الوحيدة التي تُنفِّذها كتائب القسَّام بهذه الطَّريقة، حيث كان التَّنفيذ في الأوَّل من شهر يوليو عام 1993م، وقد تمثَّلت في احتجاز رهائنَ داخل حافلةٍ صهيونيَّةٍ بهدفِ مبادلتهم بأسرى فلسطينيِّين، وقد عُثر في الحافلةِ الصُّهيونيَّة على بيانٍ لكتائب القسَّام، وبه مطالب الإفراج عن الرُّكَّاب الصَّهاينة وكان على رأسها: الإفراج عن الشَّيخ أحمد ياسين زعيمِ حركة حماس، والشَّيخ عبد الكريم عبيد القيادي في حزب الله اللبناني، والإفراج عن (50) معتقلًا من حماس وكتائب القسَّام، وعن (10) معتقلينَ من حركةِ فتح، و(10) معتقلين من الجهاد الإسلامي، و(10) معتقلين من الجبهة الشَّعبيَّة، و(10) آخرين من القيادةِ العامَّة.

انتهت العمليَّة بمقتل صهيونيَّين وإصابة آخرين بجراح، فيما استُشهد المجاهدان "ماهر أبو سرور ومحمَّد الهندي"، وأُسر المجاهد صلاح عثمان بعد أن أصيب إصابة بالغة، لتعود له الحياة ويعيش مصاباً مقعداً حتى لقي الله.



الشهيد المجاهد / محمد الهندي

الفصل الخامس

عبقريَّة القيادة
وروعة الشَّهادة

أوَّلاً: فقه عماد لمدرسة الجهاد

عمليَّة الخطِّ الشَّرقيِّ الثَّالثة: العمليَّة رقم (23)

المهمة	مهاجمة سيَّارة تابعة للشُّرطة العسكريَّة
التاريخ	1993/07/30 م
الزمان	06:30 ص
المكان	الخط الشرقي، حيث الشَّارع المؤدي غربًا نحو مسجد مصعب بن عمير
المنفذون	عماد عقل، وعوض سلمي، وأبو شعبان وماهر عزَّام، وأبو محمَّد، وأبو مروان
الحصيلة	إصابة اثنين من أفراد الشُّرطة، أحدهما في حالةٍ خطرة
السلاح المستخدم	(3) كلاشنكوف، M16

الرَّصد والتَّخطيط:

خلال عمليَّات الرَّصد المستمرَّة، وصلت معلوماتٌ للقائد عماد مفادها امكانيَّة تنفيذ عمليَّةٍ عسكريَّة على الخطِّ الشَّرقيِّ لمدينة غزَّة، وفق الحركة النَّشطة للسَّيَّارات والجيبَّات العسكريَّة التَّابعة للجيش الصُّهيوني هناك، حينها أرسل القائد عماد رسالةً لقائد مجموعة منطقة الزَّيتون "المجاهد عوض سلمي[1]" يودُّ لُقياه.

حضر المجاهد عوض للمكان؛ ليتبادل وعماد تفاصيل هذه المعلومات وإمكانيَّة تنفيذ عمليَّةٍ عسكريَّة، ليصدر القرار ببَدء التَّخطيط لتنفيذ عمليَّةٍ نوعيَّة على إحدى السَّيَّارات الصُّهيونيَّة المارَّة في الوقت المعلوم.

(1) عوض صالح سلمي (1969-2000م): يُكنَّى "أبو مجاهد"، هو أحد القادة العسكريِّين في كتائب القسّام، وُلد في مدينة غزَّة، اعتقل لدى قوات الاحتلال وهو في عمر الرَّابعة عشر بتهمة إلقاء الحجارة، التحق بحركة حماس عام 1989م، وانضمَّ لصفوف القسّام عام 1992م على يد الشَّهيد القائد عماد عقل، نفَّذ العديد من العمليَّات ضدَّ قوَّات الاحتلال، كان أبرزها قتل الكولونيل الصُّهيوني "مائيرمنتز" وضابطٍ آخر، ارتقى إلى الله شهيداً في 24 ديسمبر 2000م، وذلك أثناء قيامه بزراعة عبوَّةٍ ناسفةٍ ضدَّ قوَّات الاحتلال في منطقة المنطار على الحدود الشَّرقيَّة لمدينة غزَّة، فانفجرت العبوَّة وأدَّت لاستشهاده.

أشار القائد عماد على القائد عوض جلب ثلاثة من أفراد مجموعته؛ للمشاركة في العمليَّة، ليكون الأمر من نصيب المجاهِدِين "أبو مروان، وأبو شعبان، وماهر عزَّام[1]"، فرسم القائد عماد خطَّته، وعينَّ طريق الانسحاب، وتفقَّد سلاحه الرَّشَّاش، ليكون صباح اليوم التَّالي موعدًا لتنفيذ العمليَّة العسكريَّة على الخطِّ الشَّرقي.

التَّنفيذ:

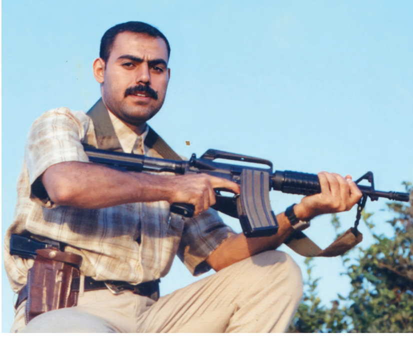
استقلَّ المجاهدون السِّتَّة سيَّارتين من نوع بيجو، يصحبون أسلحتهم الرَّشَّاشة، ويحفظ كلُّ واحدٍ منهم دوره، مُنطلقين نحو الخطِّ الشَّرقي، حيث مكان الكمين المُتَّفق عليه.



الشهيد المجاهد / ماهر عزام

وما أن وصلوا المكان وتوزَّعوا حسب الأدوار، وكمنوا في لحظات التَّرقُّب والحذر، حتَّى لاحت في الأُفق سيَّارةً تتبع للشُّرطة الصُّهيونيَّة، حينها أعطى القائد عماد إشارة البَدء لجميع المجاهدين المُنتشرين على طول الطَّريق بفتح النَّار، فزغردت أسلحتهم الرَّشَّاشة تصبّ نيرانها على تلك السَّيَّارة.

(1) ماهر إسماعيل عزَّام (1971-2008م): يُكنَّ "أبو عمران"، وُلد في حيِّ الزيتون شرق مدينة غزَّة، ترعرع بين أكناف عائلةٍ محافظةٍ تعود أصولها لمدينة غزَّة ذاتها، وحصل على الثانوية العامَّة من خلف قضبان معتقل نفحة الصحراوي، التزم في مسجد علي بن أبي طالب مواظباً على أداء الصلوات فيه، التحق بالعمل المقاوم في بدايات انتفاضة الحجارة عام 1987م، الأمر الذي أدى لاعتقاله في سن الـ 17 ممضياً مدة عامٍ ونصفٍ بايع خلالها حركة حماس على يد الشيخ صلاح شحادة، وكان له الاعتقال الثاني لمدة 3 أشهر، وأما الثالث فقد أمضى فيه 10 سنواتٍ إثر نشاطاته المقاومة برفقة القائد عماد عقل -رحمه الله-، ليخرج وعمره قد تجاوز 32 عاماً، التحق بصفوف القوة التنفيذية بقيادة الشيخ سعيد صيام -رحمه الله-، ارتقى إلى الله شهيداً في اليوم الأول من معركة الفرقان بتاريخ 27 ديسمبر عام 2008م إثر الهجمة الجوية التي شنَّتها الطائرات الصهيونية على المواقع الحكومية، لتكون خاتمة حياته شهيدًا على أبواب مسجد الشيخ زايد "الكتيبة" بمدينة غزَّة.



الشهيد القائد / عوض سلمي

ولكن وما هي إلَّا لحظات حتَّى تعطلت بنادق اثنين من المجاهدين، واقتصر إطلاق النَّار على بندقيَّتين فقط "الأولى بحوزة القائد عماد، والثَّانية بحوزة المجاهد عوض، فاستمرُّوا في إطلاق نيرانهم حتَّى خرجت السَّيَّارة عن الطَّريق، ليُعطي القائد عماد إشارته لجميع المجاهدين ببَدء الانسحاب الفوريِّ من مكان التَّنفيذ وفق الخطَّة المُتَّفق عليها.

انطلق المجاهدون بالسَّيَّارتين، فاستقلَّ القائد عماد والمجاهد أبو محمد الأولى، فيما استقلَّ باقي المجاهدين الثَّانية، وفجأةً وبينما هم في الطَّريق، وإذ بالسَّيَّارة الثَّانية تنقلب بمن فيها من المجاهدين بشكلٍ مفاجئ. لم يكن للقائد عماد الذي يستقلُّ السَّيَّارة الأولى أيُّ درايةٍ بالأمر، ليكون القدر الإلهي أن سقطت بندقيَّته من يده، بينما كان مخرجها من شبَّاك السَّيَّارة صادحًا بتكبيرات النَّجاح بتنفيذ العملية، فأوقف سيَّارته لاستلام البندقيَّة، وبينما هو كذلك، وإذ به يتفاجأ بالسَّيَّارة الثَّانية المنقلبة، ليعود والمجاهد أبو محمد أدراجهما ليُقلَّا معهما كلَّ المجاهدين، ليُكملوا طريق انسحابهم، حيث بيت الإيواء.



قادة جيش الاحتلال في غزة يعاينون مكان العملية

عمليَّة مصعب بن عُميْر: العمليَّة رقم (24)

المهمة	كمينٌ لجيبٍ صُهيوني
التاريخ	1993/09/12 م
الزمان	09:00 ص
المكان	منطقة الزَّيتون - مقابل مسجد مصعب بن عمير
المنفذون	عماد عقل، وماهر زقُّوت "أبو عماد"، وباسم عيسى
الحصيلة	مقتل ثلاثة جنود
السلاح المستخدم	كلاشنكوف، M16 قصيرة

كعادته في الاحتياطات الأمنيَّة والتَّجهيز الدَّقيق، اقتصر عماد على ثلاثة أشخاصٍ لتنفيذ هذه العمليَّة! لكن كيف؟، من أين جاءت إشارتها؟، ولماذا كان الرَّدُّ قاسيًا هذه المرَّة؟، وكيف تمَّت العمليَّة على أكمل وجه؟!

بدأت قصَّة هذه العمليَّة من شكوى مكتوبةٍ وصلت لكتائب القسَّام من أحد المواطنين، تُفيد أنَّ هناك جيبًا صهيونيًا يُقلُّ ثلاثة جنودٍ صهاينة، يتفنَّن في مضايقة السُّكَّان في شارع مسجد مصعب بن عمير شرق منطقة الزَّيتون، ويضرب أطفالهم، ويُسيء للرِّجال والنِّساء، حيث إنَّه وفي يومٍ من الأيَّام كان أحد المواطنين -الذي أرسل الشَّكوى- يقود عربةً يجرُّها حمارٌ في تلك المنطقة، وما أن رأى هذا الجيب نزل من على العربة وفرَّ هاربًا مذعورًا من هؤلاء الجنود؛ خوفًا من أنْ يُهينوه أو يضربوه كما في كلّ مرَّة، فحرَّر أحد جنود هذه الدَّوريَّة الحمار من العربة، حتَّى لا يعود الحمار إلى بيت صاحبه بها، وترك الحمار يسير حتَّى وصل إلى بيت صاحبه، والجنود يسيرون خلفه، فعرفوا البيت، وهجموا على هذا المواطن، وأبرحوه ضربًا وإهانة... فأراد عماد أن يضع حدًّا لهذه المُضايقات ولكن بطريقته الخاصَّة!

الإيواء:

لم يشأ عماد أن يكسر خاطر أحد رفاق دربه، وهو المجاهد "أبو حازم"؛ لأنَّه طلب منه المشاركة في تنفيذ العمليَّات العسكريَّة؛ فأوكل له مهمَّة الإيواء بعد تنفيذ عمليَّاته العسكريَّة؛ حفاظًا عليه وعلى أهله، فمنزله معزول، وتتوفَّر فيه صفات الإخفاء أكثر من أيِّ منزلٍ آخر، فلهذا المنزل ممرٌ مليءٌ بالأشجار خاصٌّ به. فالمجاهد "أبو حازم" يحمد الله أنَّه كان له سهمٌ في هذه العمليَّة البطوليَّة، فهذا من فضل الله عليه، ثُمَّ من فضل عماد الذي أولاه ثقته حينها.

كان منزل المجاهد "أبو حازم" مفتوحًا للمطاردين، فجاءه القائد عماد عقل في إحدى ليالي الصَّيف؛ لكي يسمع ردَّه في خطَّةٍ رسمها هو ورفاقه المجاهدون؛ لتنفيذ عمليَّة عسكريَّة، وقد اتُّخِذ قرارٌ أن يكون منزله مثابةً بعد الانسحاب، وكذلك مكان تسليم أيِّ غنائم بعد العمليَّة لإخفائها؟، فردَّ عليه المجاهد "أبو حازم" بالموافقة دون تردُّد، وبعد ذلك طلب منه القائد عماد التَّغيُّب عن عمله صبيحة العمليَّة لاستقبال المجموعة المُنفِّذة.

الرَّصد:

في يومٍ من الأيَّام، فوجئ المجاهد "أبو البراء" بمجيء الشَّهيد محمَّد فرحات إلى بيته، قائلًا له: يا أخ أبو البراء إنَّ الأخ أبو حسين يُريدك في موضوعٍ ما، وهو الآن في بيتنا، فقال له: "حاضر". وانطلق المجاهد أبو البراء إلى البيت، حيث كان عماد بانتظاره، وما أن وصل حتَّى علم أنّ عمادًا جالسٌ مع أحد الإخوة، فلم يرد إزعاجهما، وأخذ أبو البراء زاويةً من الغرفة، وانتظر فيها ريثما ينتهيان، بعد ذلك قال القائد عماد لأبي البراء: وصلتني أخبار أنَّ هناك دوريَّة تسير بانتظام، والمواطنون يشتكون منها، فقال له أبو البراء: "صحيح، وأنا أؤكِّد هذا الأمر، هناك دوريَّة مرَّت في شارع السِّكَّة ورُجمتْ بالحجارة، فلحق جنودها الأولاد حتَّى وصلوا إلى بيوتهم، وأبرحوهم ضربًا، فهذه الدَّوريَّة مستفزَّة دومًا، وجميع أهالي منطقة الزَّيتون مقهورون منها. فقال لي: ما رأيك برصدها؟، فقلتُ له: مستعدٌّ على بركة الله.

مرَّ أسبوعان، وعاد أبو البراء إلى عماد في بيت أمِّ نضال، والتقى به عصرًا، فقال له القائد عماد: ماذا لديك يا أبا البراء؟، هيَّا قل وطمئنَّا"، فقال له أبو البراء: "الأمور مبشِّرة إن شاء الله"، وبدأ يسرد له تفاصيل عمليَّة الرَّصد والمتابعة، وكانت كالآتي: جيبٌ من نوع "صرصور" يحوي ثلاثة جنود، بحوزتهم أسلحة من نوع M16، ولا يوجد على سطحه سلاحٌ رشَّاش، وخطُّ سيره كالآتي: من ناحل عوز إلى الخطِّ الشَّرقي، ومن ثَمَّ إلى شارع أبو ناموس، الذي ينتهي بشارع مصعب بن عمير، وبعد ذلك إلى شارع السِّكَّة عبر شارع صلاح الدِّين الأيُّوبي إلى مستعمرة نتساريم، ومن ثَمَّ يعود. والوقت المُتعارف لدخوله في الصَّباح والمساء.

ثم أردف أبو البراء قائلًا: "هناك أمرٌ مهم، أودُّ إحاطتك به، حيث توجد دوريَّة جنودٍ تعتلي بيتًا لآل فتُّوح ليلًا، وتُغادر إلى ما بعد الفجر، هذا البيت موجودٌ في شارع أبو ناموس".

الخطَّة:

"وصلت إشارةٌ للمجاهد ماهر زقوت "أبو عماد" أنّ عمادًا سيلتقي به قريبًا، فانتظر الموعد والتقى به، لقد كانت فترةً طويلةً لم يلتقوا فيها منذ عودته من سوريا، فجلسا وتحدَّثا، ثُمَّ قال عماد له: كنت أعلم أنَّك صيادٌ ماهر، هل ما زلت جاهزًا للصَّيد؟!، فابتسم المجاهد ماهر، وقال له: نعم، ثُمَّ انطلقا إلى المكان".

صعد القائد عماد في سيَّارةٍ يقودها المجاهد باسم، وتحركا إلى شارع صلاح الدِّين؛ ليأخذا المجاهد ماهر - المُنفِّذ الثَّاني للعمليَّة -، وعاينوا مكان العمليَّة، حيث كان من المفترض أن يسلك الجيب شارعًا زراعيًّا طويلًا وضيِّقًا -يحكم الجيب في سيره- مقابل مسجد مصعب بن عمير يأتي من الشَّرق، حيث سور أرضٍ زراعيَّة، وهذا السُّور له بابٌ مكوَّنٌ من شقَّين، فرأى عماد أنَّ هذا السُّور هو المكان الأنسب لتنفيذ العمليَّة، فالمسافة بين الباب والجيب لا تتجاوز المترين، وبذلك يكون بإمكانه المكوث خلف السُّور إلى أن يأخذ إشارة بَدء التَّنفيذ.

وبذلك أصبحت الأمور واضحةً للمجاهدين؛ لكن كيف ستُحيِّد دوريَّة الجنود التي تعتلي بيت آل فتُّوح ليلًا؟، وكيف سيعرفُ المجاهدان لحظة قدوم الجيب؟، فصوت مُحرِّكه لا يكفي لتحديد مكانه.

ما الحل؟

لحلِّ هذه المعضلة أعطى القائد عماد المجاهد "باسم" صافرةً، وأشار عليه بالصُّعود على سطح مسجد مصعب بن عمير الذي يقع بالقرب من السُّور، وأن يُصفِّر مرَّةً واحدةً في حال مجيء الجيب من الطَّريق الشَّرقيَّة، ومرَّتين في حال مروره من الجهة الغربيَّة، ثُمَّ انتظارهما في سيَّارته للانسحاب.

التَّنفيذ:

التقى المجاهد "أبو عُبادة" بعماد ليلة الأحد بتاريخ 12/9/1993م، فأوكل له عماد مهمَّةً، وقال له: "غدًا أُريدك أن تُصلِّي الفجر في مسجد مصعب، لتتأكَّد لي من وجود الدَّوريَّة على بيت آل فتُّوح، وتنتظرني في المكان!".

وفعلًا، صلَّى أبو البراء الفجر في مسجد مصعب، وانتظر حتَّى خرج النَّاس، ولم يبق إلَّا المؤذِّن ورجلٌ اسمه (أبو أيمن السَّمُّوني) -استُشهد فيما بعد-، فقال له أبو البراء: "كيف هي أمورك أبا أيمن؟، هل أزعجك الصَّهاينة اليوم؟"، فأجابه أبو أيمن قائلًا: "الحمد لله يا أخ "أبو عُبادة" الليلة نمنا ليلةً طويلةً ولم يأتِ أحدٌ منهم"، فقلت له: "والله؟"، قال لي: "الحمد لله..." أخذ المجاهد أبو البراء الرّسالة بطريقةٍ سلسةٍ وترقَّب القائد عماد لإعطائه البُشرى.

بقي أبو البراء وحده في المسجد يقرأ آيات الله، وانتظر في الطَّابق الثَّالث حتَّى وصلت السَّاعة إلى السَّادسة وعشرين دقيقةٍ تمامًا، حينها مرَّت سيَّارةٌ بيضاء من نوع بيجو 305 تُجاه المسجد سُرعان ما نزل إليها، وإذ بالقائد عماد عقل والمجاهدَين ماهر زقوت "أبو عماد" وباسم عيسى، فوقف أبو البراء أمام قائده عماد وصافحه، ومرَّر ورقةً صغيرةً في يده، ثُمَّ صافح المجاهدين وانسحب".

غادر أبو البراء المكان بسرعة البرق... مشى عماد وهو يفتح الورقة فابتسم، ثُمَّ التفت إلى رفيقَيه وقال: الآن!

حينها انطلق المجاهد باسم عيسى إلى السَّيَّارة، وتركنها مقابل بقَّالةٍ في أرضٍ فارغةٍ على امتداد الشَّارع، -كان هذا الأمر سببًا لنشوب مشكلةٍ مع صاحب البقَّالة بعد ذلك، فقد ركن السَّيَّارة قبل أن يفتح الرجل أبواب بقَّالته-، ثُمَّ عاد إلى سطح المسجد، وبيده صافرة الانطلاق مُنتظرًا قدوم الجيب، فيما انطلق المُنفِّذان إلى السُّور، الذي من المفترض أن يكمنا فيه، وانتظرا خلفه.

كان عماد على الجهة اليُسرى من باب السُّور، فيما وقف ماهر على الجهة اليُمنى، ووفق التَّوصيات، فإنَّ الصَّافرة الواحدة تعني مجيء الجيب من اليمين، وهذا يعني أن يفتح عماد لماهر الباب الأيمن لينقضَّ على الجيب، والصَّافرتان تعنيان مجيء الجيب من الجهة اليُسرى، وبذلك سيفتح ماهر الباب لعماد.

في هذا الوقت مرَّت دوريَّة مشاةٍ صهيونيَّة، مكوَّنةٌ من ستَّة جنود، فوجدتْ السَّيَّارة مركونةً على الشَّارع، فاشتبهت بالسَّيَّارة، فسألت صاحب البقَّالة عنها، فأنكر الرَّجل معرفته بها.

كلُّ هذه الأحداث تحدث، والمجاهد الرَّاصد "باسم" يعتلي المسجد، ويُشاهد من مكانه، وفي تلك اللحظة راودته عدَّة خياراتٍ حتَّى لا يُصاب المُنفِّذان بأيِّ مكروه، ومن هذه الخيارات:

- الانسحاب من المكان، ولفت الانتباه للجنود للتَّعمية على المجاهدين المُنفِّذيْن.
- النُّزول حيث الجنود والإقرار بأنَّ السَّيَّارة مِلْكُنا وبها عطل، وتحتاج لصيانة.
- إطلاق صافرةٍ طويلةٍ للإيعاز للإخوة بالانسحاب من المكان.

ولكنَّ تبعات ذلك أمران:

1. المسجد لا مخرج له، ومن الممكن أن يُحاصر في داخله.
2. هناك قلبةٌ خاصَّةٌ بموقعٍ عسكريٍّ منصوبةٌ على الشَّارع شرق الشِّجاعيَّة يمكن أن يسمع من بها أيَّ إطلاق نارٍ، فيتمُّ توجيه الدَّوريَّات إلى المكان.

في ذلك الوقت، وبينما كانت هذه الخيارات تُراود عقل الرَّاصد "باسم" أثناء وجوده في المسجد، وبينما هو يرصد حركات هذه الدَّوريَّة حول السَّيَّارة، وإذ بهم ينسحبون من المكان دون أن يفعلوا أمرًا أو يأخذوا شيئًا بحمد الله، ومباشرةً نزل من أعلى المسجد، وتوجَّه حيث السَّيَّارة لتفقُّدها، وما أن وصل المكان وقوله لصاحب البقَّالة بأنَّ السَّيَّارة له حدثت مشادَّةٌ كلاميَّةٌ بينهما، وكان الإصرار من صاحب البقَّالة برفع السَّيَّارة من المكان، إلَّا أنَّ المجاهد "باسم" كان يتحجَّج بأنَّ السَّيَّارة بها عطلٌ وتحتاج لإصلاحٍ وصيانة، وقد تواصل مع أحد أصدقائه من أجل القدوم للمكان وإصلاحها... إلَّا أنَّ صاحب البقَّالة أصرَّ على إزالة السَّيَّارة من المكان، فما كان من المجاهد "باسم" إلَّا وأن دفع السَّيَّارة بمساعدة هذا الرَّجل، وركَنها عند زاوية الشَّارع إلى الشَّمال قليلًا تجاه مسجد مصعب بن عمير.

عاد المجاهد "باسم" إلى مكانه أعلى سطح المسجد، وبينما هو يصعد الدَّرج المؤدِّي إلى السَّطح، وإذ بالصَّافرة تسقط على الأرض وتفكَّكت أجزاؤها، وتناثرت القطع في المكان.

ولشدَّة احتياجه لها حسب الخطَّة المتَّفق عليها مع المنفِّذين، بدأ بالبحث عن كلِّ جزْءٍ منها حتَّى جمَّعها ووصل للسَّطح وتمركز في المكان مرة أخرى.

السَّاعة 6:30 ص

بدأ عماد ورفيق دربه ماهر يُرتِّبان المكان، وفي تلك اللحظة أخرج عماد ورقةً مكتوبٌ عليها بالعبري، وفيها رسالةٌ للجنرال يوم توف سامية -قائد المنطقة الجنوبيَّة-، الذي صادف يوم تنفيذ العمليَّة يوم تسليمه للمهمَّة لضابطٍ آخر اسمه "درر الموج"، فأخذ المجاهد ماهر الورقة من قائده عماد ووضعها تحت

حجرٍ اسمنتي، وكان مكتوبٌ فيها: "هذه العمليَّة هديَّة من كتائب القسَّام في يوم وداعك!".

بعد دقائق أخرج عماد سلاحه M16 وبدأ يضع آخر تجهيزاته عليه، فيما سلَّم للمجاهد ماهر قطعة الكلاشنكوف التي سيُنفِّذ بها العمليَّة، وكان مكتوب عليها "كتائب القسَّام" وكان فيها عشرون رصاصة روسيَّة، وعشرُ رصاصاتٍ مصريَّة؛ وكانت أغلب التَّقديرات أن تتعثَّر الرَّصاصات أثناء إطلاق النَّار لقدمها؛ نظرًا لشُحِّ وجودها وإمكانيَّة الحصول عليها آنذاك.

مراجعةٌ سريعة

بدأ المُنفِّذان الحديث حول آليَّة التَّصويب نحو الجيب، ورأوا أنَّ أفضل أسلوبٍ هو أنَّه في حال مجيئه من اليمين فهذا يعني أنّ السَّائق سيكون مقابلًا لماهر، وبالتَّالي ستصبح المسافة بينه وبين السَّائق مترًا ونصف، وهذا يعني أن يتم قتله بأيِّ وسيلة؛ لكي يُمكِّنا من الإجهاز على بقيَّة الجنود وتطهير الجيب.

السَّاعة الثَّامنة صباحًا (الإيثار!)

تحدَّث المجاهد ماهر مع قائده عماد بالهمس، وبقيا يضحكان ويستذكران القصص، الخوف لم يكن حاضرًا بينهما...

حينها مازح المجاهد ماهر رفيق دربه عماد قائلًا له: "يا أبا حسين، ما رأيك أن تعطني المسدَّس والـ M16؟"، فإذ به يُخرج مسدَّسه وسلاحه ويقدِّمه له... فضحك ماهر، وقال له: "إنِّي أمازحك، يجب أن يكون بحوزتك أفضل سلاح، فمثلي إنْ استُشهد يبقى مجاهدًا عاديًّا؛ أمَّا استشهادُك أو إصابتك فستقلب غزَّة"

السَّاعة التَّاسعة صباحًا (الصَّافرة!)

فجأةً تعالت الصَّافرة الأولى، حيث لاح للرَّاصد في الأفق الجيب، وهو قادمٌ من الشَّرق، ويسير بهدوء، فأعطى الصَّافرة، وكان الفارق بين صوت الصَّافرة إلى وصول الجيب إلى مكان الكمين ما يقرب من دقيقتين، وهذا الوقت كافٍ للتَّحرُّك والتَّجهيز.

وبعد إعطاء الإشارة بالصَّافرة نزل المجاهد الرَّاصد "باسم" من أعلى المسجد، وقطع الشَّارع الذي يأتي من الشَّرق، حيث الجنود الذين من المؤكَّد أنَّهم يروه، ولكن كان الرَّاصد "باسم" قد وضع في حسبانه ألَّا يلتفت جهة الجيب حتَّى يُوحي للجنود في الجيب أنَّه لا يراهم، فوصل السَّيَّارة وجلس فيها وأدار المحرِّك؛ منتظرًا لحظة بَدء إطلاق النَّار.

وما أن سمع المجاهد ماهر صوت الصَّافرة حتَّى نادى على القائد عماد قائلًا: "الصَّافرة يا عماد!"، فانتظرا بضع ثوانٍ فانطلقت الصَّافرة الثَّانية، فتجهَّز عماد للزَّاوية المقابلة للجيب، فيما بقي المجاهد ماهر خلف الباب ينتظر مجيئه!

اقترب الجيب شيئًا فشيئًا، وضحكات الجنود تقترب أكثر... لقد كانوا من أسوأ الجنود الذين يتجوَّلون في غزَّة!

فتح عماد الباب، وأصبح مقابلًا للجيب على بعد أمتارٍ قليلة... حينها همس ماهر في نفسه وقال: "اللهم اغفر لنا بهذه العمليَّة ذنوبنا كلها".



جثث الجنود بعد العملية

تقدَّم عماد وماهر حتَّى توسَّطا منتصف الباب، وأصبح الجيب مقابلًا لهما، فوقعت أعينهم في عين الضَّابط الجالس بجانب السَّائق، فإذ به يرفع يده للأعلى ليُباشراه بفتح نيران رشَّاشيهما تُجاهه، وخلال ثانيةٍ مالت رقبته على السَّائق الذي بجواره.

حينها توتَّر السَّائق، ولم يستطع السَّير، فأبصرا المقعد الخلفيَّ بفوَّهات بنادقهما فوجدوا الجنديَّ الآخر قد رفع يده للأعلى رغم أنَّ سلاحه في رقبته! فأجهزوا عليه، وفي هذه الأثناء فرغت ذخيرة ماهر فسارع الخُطى لإعادة التَّكتيك والانسحاب.



جثث الجنود بعد العملية

في تلك اللحظة كان المجاهد "باسم" ينظر إلى المجاهدَيْن وهما يُقتِّلان الجنود، وبينما هو يشاهد وإذ بنظره يقع على طفلٍ صغيرٍ في الرَّابعة من عمره يقف أمام منزله، فنادى عليه المجاهد "باسم" أن يدخل المنزل؛ لكنَّ هذا الطفل ظلَّ واقفًا يُشاهد مجاهدي القسَّام، وهم يُقتِّلون الجنود الصَّهاينة دون أدنى خوفٍ منه.



القائد باسم عيسى / يحمل بندقية M16 المغتنمة

فجأةً وبعد انسحاب المجاهد ماهر ظنَّ المُنفِّذون أنَّ العمليَّة قد انتهت، وإذ بالجيب يتحرَّك تُجاه المسجد، وهنا تجلَّت بطولة القائد عماد الذي تبعه بسرعةٍ وهو يطلق النَّار عليه بلياقةٍ عاليةٍ وقدرةٍ هائلةٍ على تغيير المخزن أثناء الرَّكض، فاصطدم الجيب بحائط المسجد الذي كان عبارة عن أبوابٍ من حديد، ومن شدَّة الاصطدام سقط السَّائق على الأرض ممدَّدًا.

وأثناء انسحاب المجاهدين من مكان العمليَّة بسلام، ولأنَّ المجاهد "باسم" كان في لحظة سقوط الجنديِّ السَّائق أمام قائده عماد قد دخل السَّيَّارة، ولم يتسنَّ له أن يتابع المشهد، سأل القائد عماد عمَّا فعله بذاك السَّائق، فردَّ عليه القائد عماد قائلًا: "وضعتُ البندقيَّة على رأسه وكانت نظرته الأخيرة عيناه في عيناي، فتذكَّرتُ إجرامهم بحقِّ أبناء شعبي، فأطلقتُ الرَّصاص في رأسه على الفور دون تردُّد، فتناثر مخُّه على السَّيَّارة، ليقطع حبل أفكاري صوتك، وأنت تنادي عليَّ كي ننسحب، فدخلتُ الجيب، وأخذتُ أسلحة الجنود وغادرت".

يتحدَّث المجاهد "باسم" قائلًا:

"من شدَّة إطلاق النَّار على رأس الجندي من قبل القائد عماد تطاير مخُّ هذا الجندي حتَّى أنَّ أجزاءً منه وصلت سطح السَّيَّارة التي كنَّا نستقلُّها، وبقيت حتَّى غسلنا السَّيَّارة لإعادتها لصاحبها، وفي تلك اللحظة كان البرج العسكري قد فتح نيرانه تُجاه المكان فخِفتُ أن يُصاب القائد عماد، فأصبحتُ أنادي عليه؛ كي ننسحب من المكان حتَّى سمعني، فأتى وهو يحمل بندقيَّتي M16 اغتنمهما من الجنود الصَّهاينة الذين تمَّت تصفيتهم في الجيب من مسافة صفر".



القائد باسم عيسى / يحمل بندقية M16 المغتنمة

في ذلك الوقت، وبعد أن صعد القائد عماد في السَّيَّارة، افتقدا المجاهد ماهر، فبدآ يبحثان عنه في المكان ويناديان عليه، ولكن دون جدوى، فتذكر القائد عماد أنَّ المجاهد ماهر أطلق النَّار حتَّى أفرغ مخزنه، فأخفى سلاحه بين أشجار الصَّبَّار، واختفى من المكان، ولكن إلى أين ذهب؟!!"

بعد أن فقد المجاهدان الأمل بإيجاد رفيق دربهما ماهر، وإذ بسيَّارةٍ تمرُّ بجوارهما، وإذ بسائق السَّيَّارة يقول: "لقد أمَّنتُ خروج صاحبكم من المكان، فلا تقلقوا عليه"... حينها هدأت نفسُ مجاهدَينا وانسحبا من المكان، منطلقين إلى بين المجاهد "أبو حازم" حيث مكان الإيواء.

تم الانسحاب

(ثلاثة يا... ثلاثة! ...) هي أوَّل جملةٍ سمعها المجاهد "أبو حازم" من القائد عماد؛ تعبيرًا عن نتيجة العمليَّة، قائلًا له بعدها: "قتلنا ثلاثة جنود، وأخذنا سلاحهم"، فنظر المجاهد "أبو حازم" في السَّيَّارة فوجد قطعتي M16.



مكان العملية: جنرال القيادة المركزية متان فيلنائي وقائد قوات جيش الاحتلال في قطاع غزة العميد يوم توف سامية

دخل القائد عماد في بيت المجاهد "أبو حازم" وبدأ يسرد له تفاصيل العمليّة، وفي ذلك الوقت كان يرتدي في قدمه حذاءً من نوع (فورزا) وكان مليئاً بالدِّماء، فقاطعه المجاهد "أبو حازم" يسأله عن سبب الدِّماء التي تلطّخ الحذاء بها، فأخبره عماد أنَّه وقف فوق جسد الجندي، وأطلق النّار عليه؛ ما أدّى إلى تفجير رأسه وتناثر دمائه، حينها قام المجاهد "أبو حازم" من مكانه وأحضر قطعة قماش، ومسح الحذاء بها، وبقي محتفظًا بها لسنوات.

القسّام يتبنّى العمليّة

حمل المجاهد "باسم" سلاحه مُستئذنًا من رفيق دربه عماد؛ كي يعود إلى بيته ويرتاح قليلًا، مؤكّدًا عليه أنّه سيعود في المساء، فخرج من بيت الإيواء يقود سيّارته إلى منطقة الشّيخ رضوان حيث سلّمها لأحد الإخوة؛ كي يُنظّفها من آثار الدِّماء المُتراشقة عليها.

وبينما الأخ مباشرٌ بتنظيف السّيّارة، مستمعاً للمذياع وفق المُعتاد، وإذ بخبر العمليّة يُذاع، وبحصيلتها القتلى الثّلاثة تنتشر، ففهم الأخ القصّة، محدقاً نظره في عيني المجاهد "باسم" يهزُّ رأسه، قائلًا: "الله يحميكم"...

بعد ذلك توجّه باسم إلى أحد المجاهدين المسؤولين عن البيانات العسكريّة في الكتائب، وأخذ منه البيان بعد أن انتهى من صياغته، وخرج به إلى مقرِّ وكالة (رويترز)، وعندما وصل مقر الوكالة تفاجأ بأنَّ الجُثث قد بقيت في مكان العمليّة ساعتين، وصوّرها بعض الصّحفيّين الذين ركضوا إلى المكان دون أن تعرف حكومة الاحتلال بالأمر، حيث أُذيع خبرٌ عاجلٌ بين النّاس أنَّ جُثثاً لجنودٍ صهاينةٍ قد أكلهم الذُّباب

في منطقة مسجد مصعب بن عميرا! ولا أحد مهتمٌّ بهم، ليُصبح حديث السَّاعة بين النَّاس: "الذُّباب شبِع من جثث جنود الاحتلال".

الخِتْيار


حملة تفتيش في محيط موقع العملية

لم يكن الكيان الصُّهيوني يعلم بحدوث عمليَّةٍ إلَّا بعد أن هاتفهم أحد المخاتير الذين شهِدوا الجُثث، حيث رفع سمَّاعة هاتفه، واتصل بالشُّرطة الصُّهيونيَّة، وقال لهم: "تَعالوا خُذُوا جُثَثَ جنودكم فالذُّباب قد أكلها!".

قصَّة الطِّفل

ممَّا تدوِّنه أحداث العمليَّة أنَّ طفلًا صغيرًا كان يقف أمام باب منزله، يُشاهد تفاصيل العمليَّة دون أنْ يختبئ في بيته أو يصرخ، رغم أنَّ المجاهد "باسم" كان قد أشار عليه مرارًا؛ كي يدخل في منزله كما ذكرنا في سابقاً، وكما يُقال فإنَّ هذا الطِّفلَ ظلَّ "مُتَمَسْمِرًا" في مكانه، وشاهد هذه العمليَّة بتفاصيلها!.


القتيل / رقيب أول / إبراهيم شبل

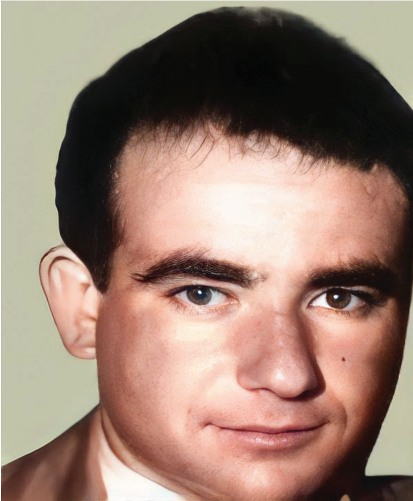
وعن هذا المشهد يتحدَّث المجاهد "باسم" واصفًا مشهد هذا الطِّفل الذي لا يُمكن أن ينساه متعجِّباً من جُرأته، ليتفاجأ بعد ثلاثة وعشرين عامًا من العمليَّة بأنَّ هذا الطَّفلَ أصبح الآن قائدًا ميدانيًّا في إحدى الألوية التَّابعة لكتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.



القتيل / رقيب / وفا أسعد

الطِّفل يروي العمليَّة

كنتُ في السَّابعة من عمري حينما رأيتُ العمليَّة بكامل تفاصيلها، فقد رأيتُ المجاهد "باسم" وهو يركض من المسجد إلى السَّيَّارة، يسيربها تُجاه الشَّارع المقابل لمسجد مصعب، مُبصراً طريق الدَّوريَّة ثمَّ عاد تُجاه شارع السِّكَّة يقطع بضعة أمتار بين الشَّارعين ذهاباً وإياباً، وشاهدتُ كيف أنَّ اثنين من المجاهدين فتحوا النَّار صوب الجيب الذي تقدَّم يُقابلهم، ورأيت القائد عماد عقل، وهو يُلاحق الجنديَّ السَّائق بسرعةٍ كبيرةٍ أثناء مُحاولته الفرار برغم البندقيَّة التي كانت بحوزته، حتَّى وصل إليه القائد عماد بكلِّ جُرأة، وأخذ الجنديُّ يتوسَّل إليه ألَّا يقتله، فقتله القائد عماد بعدَّة رصاصاتٍ في رأسه. كما وأبصرتُ القائد عماد وهو يقفز في الجيب، مُغتنمًا الأسلحة من أيدي الجنود القتلى، ورأيتهم كيف انسحبوا من المكان بعد تمام العمليَّة...



القتيل / رقيب / موفق أبو شيخ

لا يُمكن لي أن أنسى مشهد القائد عماد عقل، فمشهده ظلَّ عالقًا في ذهني، ومنذ ذلك الحين أصبحتُ أعشق شيئًا اسمه "كتائب القسَّام"، ونذرتُ نفسي للجهاد في سبيل الله، وأحمدُ الله الذي وفَّقني للعمل ضمن هذه المنظومة الجهاديَّة الكبيرة.

هذه العمليَّة كانت سيلًا من فيضان الغضب القسَّاميِّ الذي ضخَّه القائد عماد عقل ورفاقه المجاهدون؛ الأمر الذي أرغم قائد القوَّات الصُّهيونيَّة "يوم توف سامية" على الاعتراف بكونها عمليَّةً معقَّدةً ومُحكمةً، وفضيحةً مُكتملةَ الأركان، فأنْ "يأكل الذُّباب جثث الجنود المُدجَّجين بالسِّلاح في الجيش الأقوى في الشَّرق الأوسط!" وأنْ تصل التَّعزيزات العسكريَّة إلى المنطقة بعد ساعتين من تنفيذ العمليَّة، يعني ذلك نجاحًا استخباريًّا وعسكريًّا لكتائب القسَّام!

عمليَّةٌ على طريق بيت لاهيا: العمليَّة رقم (25)

المهمة	مهاجمة سيَّارةٍ تابعةٍ لتجَّارٍ صهاينة
التاريخ	1993/10/19 م
الزمان	صباحًا
المكان	منطقة العطاطرة - شمال قطاع غزَّة
المنفذون	عماد عقل، وباسم عيسى، ورائد سعد، و"أبو وائل" -راصد-
الحصيلة	لم يعترف العدوُّ بأيِّ إصابات
السلاح المستخدم	M16 قصيرة

الرَّصد والتَّخطيط:

لم يتوان القائد عماد لحظةً في البحث عن الأهداف الصُّهيونيَّة، فلطالما بعث المجاهدين في عمليَّات الرَّصد والاستطلاع، يتربَّصون الأهداف أينما كانت، ثمَّ يُوصلونها إلى قائدهم عماد، وكانت هذه العمليَّة من بينها.

حيثُ أرسل أحد المجاهدين رسالةً تحمل في طيَّاتها رصد سيَّارةٍ صهيونيَّةٍ تُقلُّ مُغتصبين صهاينة، يعملون في مجال التِّجارة بلُحوم الدَّجاج وبيضه، يَحضرون من مغتصبة دوغيت إلى مزارع الدَّجاج الواقعة في منطقة العطاطرة عبر طريقٍ تُرابيٍّ مُحدَّدٍ وفي ساعةٍ مُحددَّةٍ كذلك، لم يطرأ عليها أيُّ تغييرٍ خلال أيَّام الرَّصد المُستمرَّة.

رُسمت البسمة على شفاه القائد عماد، وأخذ يُقلِّب تفكيره، ويرسم خطَّته؛ لتنفيذ هذه العمليَّة، ولكن بعددٍ قليلٍ من المُنفِّذين، وليس كما السَّابق.

وما أن اكتملت أركان الخطَّة، حتَّى أوعز إلى المجاهد باسم بتجهيز نفسه؛ للانطلاق لتنفيذ العمليَّة في اليوم التَّالي، ومُشيرًا عليه كذلك تجهيز سيارةٍ إضافيَّةٍ يقودها سائقٌ ماهر، وهو المجاهد "رائد سعد" يكون خلفهم إذا ما حدث أيُّ طارئ.

التَّنفيذ:

انطلق القائد عماد وبرفقته المجاهد باسم، وخلفهم المجاهد "رائد" يقود السَّيَّارة الاحتياطيَّة صوب المنطقة الشَّماليَّة لقطاع غزَّة، حيث منطقة العطاطرة، وما أن وصلوا المنطقة حتَّى اقتنصوا تلك السَّيَّارة من نوع سوبارو تُقلُّ اثنين من المغتصبين الصَّهاينة، حينها أشار القائد عماد على المجاهد باسم السَّير بشكلٍ اعتيادي، وبحنكة المجاهد باسم المعهودة، أشعر السَّائق المُغتصِب بالأمان، عبر إضاءة مصباح سيَّارته الأماميِّ الأيسر بشكلٍ مُتقطِّع؛ بغرض المِزاح والمرح، حتَّى إذا ما تجانبت السَّيَّارتان فتح القائد عماد نيران سلاحه الرَّشاش صوب هذين المُغتصِبين واضعاً مبدِّلة الرَّمي على الوضع الفردي (طلقةً طلقة)؛ فأصاب المُغتصِبين الاثنين إصاباتٍ غير قاتلة.

ليتمكَّن السَّائق المُغتصِب من العودة إلى الخلف وإدارة السَّيَّارة هاربًا برفيقه من المكان، ليُشير القائد عماد على المجاهد باسم بالتَّحرُّك وعدم اللحاق بالسَّيَّارة؛ لما في ذلك من خطورةٍ كبيرة، خاصَّةً وأنَّ نقطة المراقبة الخاصَّة بمنطقة السُّودانية التَّابعة للجيش الصُّهيوني كانت قريبةً من المكان، ومن السَّهل وصول التَّعزيزات في وقتٍ قصير.



القائد/ عماد عقل

فأدار المجاهد باسم سيَّارته وانطلق بها في طريق العودة، وما هي إلا أمتارٌ قليلة في هذه الطَّريق التُّرابيَّة السَّيِّئة حتَّى علقت السَّيَّارة في التُّراب ولم يستطيعوا إخراجها. فكانت النَّجاة لهم بتلك السَّيَّارة الاحتياطيَّة، التي أضافها القائد عماد على خُطَّته، ليستقلَّها المجاهدان مُغادران المكان عبر طريق الانسحاب المعلوم بسلام برفقة المجاهد رائد، تاركين خلفهم لمسات كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام.

ثانيًا: إتمام الرِّسالة ودنوّ الأجل

بعد عشرات العمليَّات التي نفَّذتها كتائب القسَّام، أصبح عماد عقل المطلوب رقم (1) لكيان الاحتلال، وأصبح كلُّ من له علاقةٌ قريبةٌ أو بعيدةٌ به محطًّا للمُراقبة، فلقد بات عماد كابوسًا حقيقيًّا يُلاحق الصَّهاينة، يرونَه في الحقيقة لا في الخيال...

بعد كلِّ رصاصةٍ يدقُّها عماد في صُدور الجنود كانت كبقعة الزَّيت في خريطة النَّاس، الكلُّ يُحبُّ عمادًا، الكلُّ يتمنَّى له السَّلامة، الكلُّ مُستعدٌّ أن يفتديه ببيته لأجل سلامة عماد وإخوانه من مجاهدي القسَّام، كيف لا يفدون شخصًا كعماد وبفضله ورفاقه المجاهدين - بعد الله - لم تعد جيبَّات الجيش الصُّهيوني "حرس الحدود" والجنود البائسون تُعكِّر حياتهم بعد اليوم؟، ولم يعد مسلسلُ الإذلال اليوميِّ حاضرًا في شوارع غزَّة؟، فلقد كان من الشَّاقِّ جدًّا أن تنبت قوَّةُ الرَّدع في وسطٍ ملغوم!، لقد نجح القسَّام في غضون عامين أن يقلب المُعادلة الأمنيَّة والعسكريَّة والاجتماعيَّة في قطاع غزَّة!

القائد عماد عقل يظهر عبر الإعلام

بهذا المشهد نفسه، والمكان نفسه، وبذات اللثام الذي ضلَّل به المنظومة الأمنيَّة والعسكريَّة الصُّهيونيَّة خرج القائد عماد للنَّاس، فماذا أراد عماد من هذا الظُّهور؟، وماذا أراد أن يُوصل للنَّاس؟، ولِمَ هذا الوقت بالتَّحديد؟، كأنَّها رسالة المودِّع...

في صباح يوم الثُّلاثاء الثَّامن من شهر نوفمبر عام 1993م سرى الخبر في صفوف السُّكَّان أنَّ حدثًا إعلاميًّا مُهمًّا سيحدث في تمام السَّاعة العاشرة صباحًا، لم يعتد النَّاس على ذلك، فما الأمر؟



القائد / عماد عقل خلال الفيديو الذي ظهر به

عماد؟!، أجل عماد، تلك الأيقونة الّتي غُرست في قلوب النَّاس دون أن تراها، وذلك البطل الذي أفدى حياته وروحه من أجل قضيَّته، ذلك الشَّاب العشريني قد ملك قلوب النَّاس بسلاحه المُتواضع، وإيمانه الكبير، وجُرأته اللامتناهية!

دقَّت السَّاعة العاشرة صباحًا وساد الصَّمت أرجاء غزَّة؛ إلَّا من صوت المذياع، وطلَّة أحد قادة كتائب القسَّام والمطلوب رقم (1) على مربَّع التَّلفاز.

في إحدى البيوت السِّرِّيَّة، وفي كادرٍ إعلاميٍّ بمواصفاتٍ أمنيَّة، وبكوفيَّةٍ حمراء وقميصٍ أحمر وسلاحِ الكلاشينكوف، خرج عماد ليوصلَ رسالته للنَّاس، وللكيان الصُّهيوني، ورسالةً مُبطَّنةً لمجاهدي كتائب القسَّام وشباب غزَّة الذين يتعذَّر الوصول إليهم.

كان ملخَّص ما قاله القائد عماد كالتَّالي:

- كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام تُقدِّم مُوجزًا عن عمليَّاتها؛ لتكشف سَوْأَة الجنديِّ السُّوبر الذي تخافه الجيوش العربيَّة والحُكَّام العرب.
- تحدَّث عن أنَّ كتائب القسَّام لها شرفٌ كبيرٌ في قتل الجنود الصَّهاينة، فهذا هو المنطق الذي يفهمه الصُّهيوني، منطق القوَّة.
- أكَّد على أنَّ الجهاد هو الصَّلاة السَّادسة لدى مجاهدي كتائب القسَّام، وهو أهم حاجيَّات المجاهدين، فهم يأكلون ويشربون ويجاهدون.

• وجّه رسالةً لرابين قال فيها: "إنَّ معتقلينا لن ننساهم أبدًا، هؤلاء المعتقلون هم أعضاءٌ في أجسامنا، ويجب عليك أن تفهم وقد قلتَها أنت (أنَّ حماس تريد أن تحوِّل الشَّعب الإسرائيلي إلى رهائن)، ونحن نقول: نعم سنحوِّل المُغتصِبين الصَّهاينة إلى رهائن "فنحن يا رابين جيران"، ونحن سنخطف متى نشاء، وسنقتل متى نشاء، وسنفجِّر السَّيَّارة المفخَّخة متى نشاء، نحن سنطعن بالسِّكِّين متى نشاء، لقد فهمتَ الصُّورة، هؤلاء الشَّباب الذين تربَّوا في المساجد كلهم يحبُّون الموت أمثال "أيمن عطا الله، وأشرف مهدي، وسُليمان زيدان"، عبر العمليَّات النَّوعيَّة التي أظهرت للعالم كلِّه أنَّ هؤلاء الشَّباب يريدون الموت، وماذا بعد الموت؟، ماذا تريد يا رابين أن تفعل؟، هل تستطيع أن تمنع شابًّا يريد أن يموت؟، إنْ قلتَ أنَّهم شبابٌ يائسون من الحياة فهم شبابٌ أعمارهم حول الـ 19 عامًا وهم في مُقتبل العمر، وهم مُرفَّهون ومُرغَّدون عند أهاليهم، وهم من ناحيةٍ اقتصاديَّةٍ فأحوالهم بحمد الله ربِّ العالمين ميسورة، ولكنَّ حبَّ الشَّهادة وحبَّ الجنَّة وحبَّ تحرير هذه الأرض المقدَّسة، ومباركة ربِّ العالمين لهؤلاء الشَّباب تدفعهم لهذه العمليَّات النَّاجحة جدًّا، فكلَّما مرَّت الأيَّام ستخرج عمليَّاتٌ ناجحةٌ "من اقتحام مغتصبات، ومن عمليَّاتٍ استشهاديَّةٍ في سبيل الله داخل المدن المحتلَّة"، وتل أبيب ليست بمنأى عن رصاص كتائب القسَّام، وحيفا ليست بمنأى عن رصاص كتائب القسَّام.

• وجّه رسالةً لجنرالات الدُّول العربيَّة الذين "يهابون الكيان الصُّهيوني"، لامتلاكها طائرات من نوع F15A وغيرها الكثير، قائلاً: "إنَّ الجنديَّ الصُّهيونيَّ الذي يقف أمامكم هو جنديٌّ مدمَّر داخليًّا، فهذا الجندي لا يستطيع مواجهة إنسان يقول "لا إله إلا الله محمَّدٌ رسول الله"، وما يدلُّ على ذلك ما يُرى على أرض الواقع، حيث العمليَّات العسكريَّة التي برزت في المدَّة الأخيرة وخاصَّةً العملية


الشهيد القائد / زكريا الشوربجي

العسكرية الكبيرة التي شنَّها ضدَّ المجاهد زكريا الشُّوربجي[1] وقد استغرقت 12 ساعة"، وهذا ما يؤكِّد أن الإسلام هو من يصنع الرِّجال".

- كما وأضاف إلى أن الحركات الإسلاميَّة هي من ستحكم البلاد العربية عاجلاً أم آجلاً وعندها لن تكون على رأس سُلَّم الأولويات إلَّا إبادة الكيان الصهيوني، وسنستردُّ أرضنا منهم والأقصى سنُحرِّره وسنحاربهم كما نحارب الشَّياطين وسيكون زادنا في هذه المعركة حبُّ الموت.
- في نهاية خطابه وجَّه رسالةً لأبناء الشَّعب الفلسطيني، قال فيها: إنَّ هذه العمليَّات المُسلَّحة هي ما نفهمه مع الصَّهاينة، فمن يريد السَّلام فلْيَسِر إلى السَّلام، ومن أراد أن يسير خلفنا، فلْيَسِر خلفنا، فنحن لا نفهم إلَّا القرآن والبندقيَّة".

(1) زكريًا أحمد الشُّوربجي (1960-1993م): يُكنىَ "أبو يحيى"، هو أحد القادة العسكريِّين في كتائب القسّام، وُلد في حيِّ التُّفَّاح شرق مدينة غزَّة، مترعرعاً بين أكناف عائلةٍ ملتزمة، درس المرحلة الابتدائية في مدرسة الفاخورة شمال القطاع، منتقلاً للعمل مع والده في الأراضي المحتلة، متمكِّناً خلالها من تعلُّم اللغة العبرية وإتقان الحديث بها، تزوَّج من فتاةٍ كريمةٍ، وأصبح أباً لطفلٍ أسماه "يحيى" قبل استشهاده بأربعين يوماً دون أن يراه، انخرط في صفوف العمل العسكري مع اندلاع انتفاضة الحجارة عام 1987م، الأمر الذي أدى لاعتقال قوات الاحتلال له عام 1989م والحكم عليه بالسجن سبع سنوات، انتهزها فرصةً في تعلُّم العلوم وإتقان اللغة العربية على يد الدكتور إبراهيم المقادمة، لتُكتب له الحرية عام 1991م، فالتحق بالمجموعات العسكرية التابعة لحركة حماس بإيعازٍ من الشيخ صلاح شحادة، خاض خلالها جولاتٍ في مقارعة العدو عبر تنفيذه عدداً من العمليات العسكرية، ارتقى إلى الله شهيداً بتاريخ 20/4/1993م بعدما حاصرته قوات الاحتلال في حيِّ التفاح بمساندة 2000 جنديٍّ صهيوني، وبعد 17 ساعةٍ من الاشتباكات العنيفة، متنقِّلاً خلالها بين البيوت يقارع المحتل بثلاث قطعٍ من نوع كلاشنكوف ومسدسه الشخصي، فقتل منهم رجل المخابرات الصهيوني "أبو عدنان" وثلاثة ضباط صهاينة آخرين، الأمر الذي أجبر قوات الاحتلال على قصف المنطقة التي يكمن فيها وتدمير 20 منزلاً منها بحجمٍ كثيفةٍ من صواريخ طائراته، وقذائف دباباته.

نزهةُ المحارب

إنَّه إنسانٌ قبل كلِّ شيء، يحتاج إلى الرَّاحة والدَّعة، ومن حقِّه أن يُمارس حياة البشر، وأن يتقلَّب في أدواره، كأخٍ وصديقٍ وشاب، يُمارس هواياته التي أبعدته عنها ظروف المُطاردة وكونه أبرز قادة الجناح العسكريِّ "كتائب القسَّام" في غزَّة.

قبل استشهاده بأيَّام أخبر عماد أحد رفاق دربه "وسام فرحات" أنَّه سيصحبه في "رحلةٍ ترفيهيَّة"، وسيكون هذا اليوم يومًا حُرًّا، فانتظر وسام في أحد الأماكن بمخيَّم جباليا إلى أن جاءه عماد بالسَّيَّارة، وانطلقا إلى بيت المجاهد أيمن كباجة صديق عماد الذي كان يُحبُّه، وتناولا طعام الغداء ثُمَّ انطلقوا إلى البحر، وهنا طلب منهم عماد أن يسمحوا له بممارسة رياضته المُفضَّلة، فجهَّز ملابس السِّباحة، وشقَّ طريقه نحو الأمواج، وألقى نفسه بينها، إنَّها نُزهةُ المحارب!

وبينما كان عماد يسبح ويسترخي فوق أمواج البحر الجميلة، وإذ بدوريَّةٍ للجنود تتقدَّم إلى مكانه، فاقترب قليلًا من الشَّاطئ، وأشار لوسام أن يضع المسدَّس بين يديه، ويُلقيه له في حال تمَّ التَّعرُّف عليه؛ لكنَّ معيَّة الله أعمت أبصارهم عنهم.

وبعد قضاء نهارٍ ممتعٍ في بحر غزَّة، عاد عماد ووسام برفقة صديقهما أيمن إلى منزله، فتناولوا طعام العشاء، ثُمَّ جاءهم المجاهد نضال "شقيق صديقهما أيمن" بناءً على طلب عماد، الذي أشار عليهم أن يتحرَّكوا به إلى مستشفى الشِّفاء.

الحبُّ النَّاطق

أثار اللقاء الذي خرج به القائد عماد في الإعلام جنون الاحتلال، رغم أنَّهم كثَّفوا البحث عنه في كلِّ زاويةٍ من زوايا غزَّة إلَّا أنَّه آثر الذهاب لزيارة رفيق دربه صلاح عثمان في مشفى الشِّفاء وسط غزَّة، الذي ودَّعه قبل مدّةٍ لتنفيذ عمليَّة التَّلَّة الفرنسيَّة؛ ليعود إليه مُصابًا بإصابةٍ بليغة بعد قتل اثنين من الجنود وإصابة آخرين، وقد يئس الصَّهاينة من حالته التي قارب فيها على الموت، ليردُّوه إلى غزَّة ليموت هناك -حسب قولهم-.

يقول المجاهد صلاح: "زارني عماد قبل استشهاده بعشرة أيَّام في مستشفى الشِّفاء، وتأمَّل حالتي، وتأثَّر بمشهد الإصابة، حاول أن يتحدَّث إليَّ؛ لكنَّ الطَّبيب أخبره أنَّ حالتي ميؤوسٌ منها، وأنَّ النُّطق لن يعود مجدَّدًا إلى لساني!، فتأثَّر عماد لذلك كثيرًا، وهمَّ أن ينسحب من المكان قبل أن يُكشف أمره ويتمكَّن الصَّهاينة وأعوانهم من الإمساك به؛ ولكن وقبل أن يغادر أنطقني الله، وناديتُ باسمه: عماد!

ثالثًا: دمٌ يسيل مُنذرٌ بالرّحيل "موعدٌ مع الشَّهادة"

الليلة الأخيرة

في مساء الثَّالث والعشرين من شهر نوفمبر عام 1993م، وبينما كان عماد وعدد من المجاهدين في منزل أحد القادة المجاهدين بشمال قطاع غزَّة الذي اعتاد أن ينزل فيه أثناء تحرُّكاته في شمال القطاع، أخبرهم بأنَّه سيخرج لإتمام بعض الصَّفقات ثُمَّ يعود في الليل، فجاءهم مع حلول المساء، وأخبرهم بعدم تمام الصَّفقة، فناموا ليلتَهم الأخيرة.

يُخبرنا القائد المجاهد "أبو أحمد" عن الليلة الأخيرة برفقة عماد في منزله: "كان مشهد الغياب واضحًا في ملامح عماد، كلُّ من رآه كان يقرأ استشهاده في عينيه؛ لكن، لا أحد يدري ما تُخفيه تفاصيل القدر.. نام عماد والمجاهد "باسم" ليلتهما في بيتي، وكان من عادته أنَّه لا يخرج من البيوت إلَّا بعد صلاة الفجر، فتناول معنا طعام السَّحور، ثُمَّ صلَّى الفجر في منزلي، وأخذ سلاحه ووضعه داخل سلَّة الخضروات ثُمَّ انطلق، لا أدري إلى أين.

السرُّ كان في كاتم أسراره ورفيق دربه المجاهد "باسم"، حيث إنَّ قائده عماد كان قد أخبره أنَّه سيخرج إلى منزل أمِّ نضال فرحات، وسيُوصله أحد الشَّباب إلى هناك، عائداً إليه قُبيل المغرب ليُعيده إليهم؛ لكنَّ الذي حدث أنَّه عندما جاء السَّائق لعماد قُبيل المغرب طلب عماد من المجاهد نضال فرحات أن يخرج ويُخبره بأنَّ عماد سيفطر اليوم في بيت أمِّ نضال. فما الذي حدث؟!

السَّاعات الأخيرة ...

قُبيل غروب شمس الرَّابع والعشرين من شهر نوفمبر عام 1993م، وفي عصر يومٍ مشهودٍ من أيَّام الشَّعب الفلسطيني؛ أوقف السَّائق سيَّارته في المدخل الخلفيِّ لمنزل آل فرحات، وأنزلَ قائده عماد عقل، ليستقبله المجاهد وسام فرحات.

كان صعبًا على القائد المجاهد وسام فرحات أن يُحدِّث بالسَّاعات الأخيرة له برفقة القائد عماد؛ لكنَّه استجمع نفسه وبدأ بالحديث: "إنَّه من الصَّعب على نفسي أن أتحدَّث عن آخر ساعات قائدٍ عسكريٍّ إسلاميٍّ كعماد عقل، لم يكن عماد مجرَّد ثائر؛ بل كان قائدًا وإنسانًا ورجلًا، يحمل فكرًا سياسيًّا ودينيًّا في قالبِ شخصيَّةٍ مُتواضعةٍ جدًّا لا تكاد تُفرِّق بينها وبين أبسط النَّاس، أحبَّه النَّاس لأنَّه منهم، يأكل من صحنهم ويتوجَّع لتوجُّعِهِم، يُحارب من أجلهم، ويطوف أطراف البلاد بِلِثامه ليحفظهم من ذئاب الليل المُتوحِّشة..."

"على غير موعدٍ... جاءنا عماد بعد صلاة العصر بنصف ساعة، ليأخذ فقط عبوَّةً تفجيريَّةً كنتُ قد صنعتُها برفقة أخي نضال، بناءً على طلب عماد، حيث كان يتجهَّز لعمليَّةٍ عسكريَّةٍ فيها "اقتحامٌ وتفجير"، فلمَّا هممتُ بتجهيز الغداء أخبرني أنَّه صائم، فأشرتُ إليه بدخول غرفته التي اعتاد على المبيت فيها، وتركتُه ليرتاح، ثُمَّ عدتُ إليه؛ لأرى إن كان يريد شيئًا، ولم أرد أن أُقلقه أو أُشغله عن مهمَّاته في قيادة المجموعات العسكريَّة؛ وإذ به يُخبرني أنَّه يريد أن يجلس معنا، فناديتُ إخوتي (نضال ومؤمن) وجلسنا؛ وكان من بين الأمور التي تحدَّثنا بها هو توقيع اتِّفاقيَّة أوسلو والحكم الذَّاتيِّ للسُّلطة الفلسطينيَّة...

قُبَيْلَ المغرب

يُتابع وسام: سمعنا "زمُّور[1]" سيَّارة، فقفزتُ لأرى ما الأمر، فأشار إليَّ أنَّه سائقه، فلمَّا تأكَّد وسام من ذلك عاد إلى عماد، فقام عماد وهمَّ بجمع أغراضه،

(1) جرس السَّيَّارة، يستخدمه السَّائقون للإشارة بوجودهم.

وبدأ يُصافحنا؛ لكن عندما علمتْ والدتي بأنَّه صائم أصرَّت عليه أن يفطر عندنا، فنظر إليَّ عماد، فقلت له: "تخلَّص مع الحجَّة"، فهزَّ برأسه، وقال: "لا أستطيع أن أقول لا لرغبتك يا حجَّة!". كان عماد يُحبُّ تناول ثمرة الأفوكادو، وبعض المقالي واللحوميَّات كلحوم الأرانب، حينها حاولنا أن نبحث له في السُّوق عن أرانب فلم نجد.

لم يستطع عماد أن يرفض رغبة أمِّي "أمُّ نضال" فأرسل أخي نضال للمجاهد السَّائق وأخبره أنَّه سيبيت الليلة هنا، وما هي إلَّا دقائق حتَّى عاد نضال مُخبراً عماد أنَّ أحد الرِّجال الذين تواصل معهم سابقًا لصفقات السِّلاح يعرف بوجوده هنا، ويريد أن يراه لإتمام الصَّفقة، فلمَّا سأل عماد عنه تبيَّن أنَّه يُدعى (وليد. ح)، وكان قد تواصل معه سابقًا؛ فأشار عليهم بإحضاره. ولَيْتَه لمْ يَحْضُرْ!

قبل عشرة أيَّام من الزِّيارة

يُخبرنا القائد المجاهد "وسام فرحات" عن أوَّل زيارةٍ لـ(وليد. ح) إلى منزلهم قائلًا: "قبل عشرة أيَّامٍ من استشهاد عماد، وكان من عادتنا أن نستقبل الأصدقاء والشَّباب في "حاكورة" بها شجر زيتونٍ خلف المنزل، فيما نستقبل المطاردين في غرفة الضِّيافة، التي كانت تُطلُّ على الممرِّ المؤدِّي للحاكورة، فعندما جاء (وليد. ح) سمعه عماد، فقال لنضال: من هناك؟، فقال له: (وليد. ح) أحد النَّاشطين في حيِّنا، وفي تلك اللحظة كان في منزلنا أحد المطاردين جالسٌ مع عماد، فقال لعماد: "دعه يدخل فهذا صديقي، ونريد أن يُخبرنا عن تجربة الإبعاد"، حينها غضب عماد، وقال: لا مجال، هذا بيتٌ خاص للمطاردين، ولا أريد أن يدخله أحد".

تحت إلحاح الأخ اضطرَّ عماد لإدخاله، فجلس معه، وكان عنده فراسةٌ غير طبيعيَّة في معرفة النَّاس، فلم يكن مُرتاحًا لمجيئه أبدًا، حينها عرض (وليد. ح) على عماد صفقة سلاح، فشكره عماد وأخبره أنه ليس بحاجةٍ لذلك، وبعد ذلك غادر البيت".

"قبل أسبوعٍ من استشهاد عماد وإذ بـ (وليد. ح) يطرق الباب، فخرجتُ إليه، وبدأ يسألني عن أخباري وأموري، ثُمَّ سألني عن عماد: فعدتُ إلى عماد، وأخبرتُه أنَّ (وليد. ح) بالباب يريد رؤيته، حينها شعرتُ أنَّ عمادًا أمرني بإدخاله على مَضَض، فجلسنا نحن الثَّلاثة، وكان محور حديث (وليد. ح) حينها عن السُّلطة ومجيئها، فكانت جلستُه ثقيلة، حيث إنَّ عمادًا كان مُضَّجِعًا لكُرهه مُجالسته، كأنَّه يقول لي "في المرَّة الثَّانية لا تُدخله". بعدها بدقائق غادر (وليد. ح)، وبدأ عماد يوصيني ويقول لي: "هذا رمزٌ من رموز المقاومة، ويجب أن تحافظ عليه...!!"

"بعد يومين وبينما كنتُ جالساً مع عماد ونضال أتى (وليد. ح) مرَّةً أخرى، فخرجتُ إليه، فقال لي: أريد أن أرى عمادًا، فقلتُ له: لماذا؟، فقال لي: يوجد موضوعٌ مهمٌّ وخطيرٌ جدًّا، فقلتُ له: أخبرني بذلك، وأنا سأخبره، فقال لي: يجب أن أراه مباشرةً، فقلتُ له: أنت تعلم أنَّ عمادًا ليس لديه موعدٌ للمجيء، وإن هناك موضوعًا مهمًّا اكتبه برسالة وأعدك أن أُوصله لعماد عبر أحد المراسلين"، إلَّا أنَّه غادر، وأصبح يتوسَّل إليَّ ليرى عمادًا في كلِّ مرَّةٍ يراني فيها في المسجد أو في الحي.

عودةٌ لزيارة عماد الأخيرة... وحتميَّة القدر

جلسنا وإذ بمؤمن يُخبر عماد قائلًا: "لقد رأيت في منامي أنَك قد اِستُشهدت" فاستبشر عماد خيراً وفرح فرحاً شديداً وقال: "أسأل الله ذلك"، فكان لهذه الكلمات وقْعٌ على ذاكرة قلبه، التي بدأت تنبش ذكرياتٍ عظيمة، عاشها القائد عماد مع رفاق دربه الأبطال، فأخذ يُبحر بنا في سيرة من سبقوه في الاستشهاد، ومنهم: "إبراهيم عاشور، وإبراهيم سلامة، ومحمَّد صيام" وكذلك ممَّن اُعتقلوا: محمَّد دخان، ورائد الحلَّاق".

لأوَّل مرَّةٍ يتحدَّث عماد بمثل هذه المواضيع، فدقَّ في قلبي شعورُ الخطر على روحه؛ كأنَّه اللقاء الأخير!

وبينما كنَّا نتبادل الحديث عن ذكرياتنا مع المطاردين والشُّهداء، أخبرتُ عمادًا أنّ (وليد. ح) يُلحُّ عليَّ كثيرًا كي يراك، ويدَّعي أنَّ هناك موضوعًا مُهمًّا يُريد

أن يُطْلِعك عليه؛ فاستفسر عن هذا الأمر، ولكن لم يكن لديَّ علمٌ بمحتواه، فاحتار كثيرًا، وبعد دقائق أمرني أنْ أُحضره، فأرسلتُ لأخي محمَّد[1] وكان حينها في السَّابعة من عمره، وأشرتُ عليه أنْ يذهب إلى بيت (وليد. ح) ويُخبره أنَّ عماد ينتظره".

يقول وسام: "رُفع أذان المغرب، فصلَّينا وجلسنا نحن الأربعة: "أنا ومؤمن ونضال وحسام" وخامسنا عماد، وتناولنا طعام الإفطار، وبعد الانتهاء كنَّا قد رتَّبنا لقاءً للمجاهد أيمن أبو هين مع عماد بعد الإفطار، فجاءه وجلس معه قليلًا ثُمَّ غادر، وبمجرَّد مغادرته جاء (وليد. ح) إلى البيت وتركناه مع عماد ليُنهي موضوعه المُهم، وذهبنا لنُجهِّز ملابسنا؛ كي نُوصل عمادًا من الطَّريق الآمن المخصَّص للمطاردين، وتوزَّعنا كلٌّ حسب موقعه، فذهب مؤمن إلى الشَّارع، ونضال عند البوَّابة التي تفصل بيتنا عن الشَّارع الدَّاخلي، وفي تلك اللحظة كان (وليد. ح) قد أنهى حديثه مع عماد وغادر.

وبينما كان نضال يجلس فوق الدَّرج، وإذ به يصرخ: "جيش، جيش!"، لأوَّل وهلةٍ ظننتُ أنَّ مجموعةً من الأطفال رشقوا الحجارة على إحدى الدَّوريَّات فاستدعَوا الجنود، فلمَّا تأكَّدنا من وجودهم أمام البيت عُدنا بسرعة البرق، وأخذنا عمادًا وانطلقنا به إلى الطَّريق الآمن؛ لكن في تلك اللحظة كانت القوَّات الصُّهيونيَّة الخاصَّة قد حاصرت المكان.

نظرتُ من إحدى زوايا البيت لحصر عددهم، فتفاجأتُ أنَّ المنزل محاطٌ بعشر سيَّاراتٍ مدجَّجةٍ بالقوَّات الخاصَّة!، أرادوا السَّيطرة على البيت، فأحاطوا بجميع منافذه، فخرجنا إلى المكان الآمن فوجدناه مُحاطًا بالقوَّات أيضًا، حينها أراد عماد أن يقتحمهم، فأمسكتُ به وأخبرتُه أنَّ هناك طريقًا آخرَ يُوصلنا إلى بيت جيراننا وبإمكاننا النَّفاذ منه، فذهبنا لكنَّنا اصطدمنا بعددٍ من القوَّات أيضًا،

(1) محمَّد فتحي فرحات: هو شقيق الشَّهيد نضال، وابن أم نضال، استشهد في عمليَّة اقتحام لمدرسة تدريب الجنود، داخل مغتصبة عتصمونا جنوب قطاع غزَّة، وذلك بتاريخ 2002/03/07م، وقد اعترف العدو بمقتل تسعة جنود وجرح حوالي ثلاثةٍ وعشرين آخرين.

يتابع وسام: "كلُّ القوَّات كانت بلباسٍ مدني!، فنظرتُ في البيت فلم أجد أخي مؤمن، فعلمتُ أنَّه خرج من البيت لتفقُّد سيارةٍ تشبه ذات السيارة التي تأتي لاصطحاب القائد عماد، وقد أبصر في المقاعد الأمامية لها ثلاثة شُبَّان مُلتحين، فنادى عليهم ولم يُجيبوه، فاقترب منهم وحاول التسليم عليهم، وإذ بأبواب السيارة تُفتح ويخرج منها أفرادٌ يحملون بنادق من نوع M16 فبطحوه أرضاً وثبَّتوه، ليكتشف أنهم جنودٌ صهاينة وباشروا بالانتشار في المكان لمُحاصرته.

في تلك اللحظة سمعَ نضال صوتَ اللاسلكي "المخشير" باللغة العبريَّة، ففهمنا حينها أنَّهم أخذوا أمرًا بالانقضاض على المنزل واعتقال عماد، فهجموا من المناطق الأربعة كفكَّي الكمَّاشة، حينها أسرعنا نحن الأربعة نحو المدخل الخلفي، وإذ بأحد الجنود يُصوِّب علينا سلاحه M16 وصرخ فينا: "قف قف!"، لم يكن يعلم من هو عماد منَّا، وكانت كلُّ الأوامر باعتقال عماد حيًّا فتراجعنا للخلف بسرعةٍ ولجُبنه لم يقدر على التَّقدُّم.

تراجعنا دون أن نفعل أيَّ شيء، ولسوء الحظ لم يكن مع عماد سوى مسدَّسه الشَّخصي؛ بسبب بعض التَّرتيبات في البيت، وكان من حُسْن حظِّ القوَّات أنَّ البيت مُفرَغٌ من السِّلاح والذَّخيرة، وإلَّا لقاتلناهم، ولأحدثنا تغيُّرًا؛ لكن شاء الله غير ذلك.

بسرعةٍ عالية أغلقنا الباب الدَّاخليَّ وعُدنا إلى الثَّغرة التي تُوصلنا إلى بيت الجيران، فتفاجأنا بجنودٍ آخرين، وهم أيضًا لم يكونوا يعرفون من هو عماد منَّا، فلم يطلقوا الرَّصاص علينا، فتراجعنا وانطلقنا إلى المخرج الرَّئيس للمنزل، فإذ بجنديٍّ آخر يبعد عنَّا مسافةً لا تزيد عن المترين، فأخذ بسلاحه، وصرخ فينا بلغةٍ عربيَّةٍ مُتكسِّرة: "قف قف"... في تلك اللحظة تيقَّنَّا أننا أصبحنا محاصرين من كلِّ الاتِّجاهات، لقد كان موقفًا فظيعًا، تخيَّل الآن عماد عقل بعظمته، واسمه المُرعب بين النَّاس وبين الصَّهاينة، كيف تُخبِّئ له الأقدار موقفًا مُباغتًا كهذا، بلا سلاحٍ ولا أيِّ رصاصةٍ في البيت، حيث إنَّه أراد فقط المجيء لبيتنا لأخذ العبوَّة.

تراجعنا إلى صحن البيت وأغلقتُ كلَّ منافذه بالحديد، وقلت لعماد: "إنَّهم يعرفون بوجودك هنا بكلِّ أسف"! فكانت لحظةً صعبةً علينا جميعًا.

نِفْسِي أفتح بطني وأخبِّيك فيه

عَلِمَ عماد يقينًا أنَّ هذه المرَّة تبدو المهمَّة أصعب ممَّا يظن، فعماد الذي نفَّذ ثلاثًا وعشرين عمليَّةً في عامٍ ونيِّف، وكان يصطاد الجنود الصَّهاينة من داخل حصونهم، ويعود "كالشَّبح" دون أيِّ أثرٍ له؛ وأصبح بفضله عددٌ مِن جنود الاحتلال في حالةٍ هستيريَّة، يقولون في شهاداتهم عن العمليَّات العسكريَّة التي يُنفِّذها: "لقد رأيتُه أمام عيني، وأطلقتُ الرَّصاص صوبَه؛ لكنَّه لم يُصَبْ، إنَّه كالشَّبح!!، يقف اليوم في مشهدٍ صعب، ليس عليه وحسب، بل على كلِّ مجاهدٍ على هذه الأرض.

عشرات الجنود المدجَّجين بالسِّلاح تحاصر جميع منافذ المنزل، كيف عرفوا بمكان وجود عماد؟، وكيف وصلوا إليه؟، ولماذا بالتَّحديد في الوقت الذي لم توجد في البيت قطعةُ سلاحٍ واحدة؟!، إجاباتٌ لم يَجِد لها عماد جوابًا!

هل سينجح هذه المرَّة؟ أم أنَّها رسالةُ المُودِّع التي خطَّها لأحبابه آل فرحات؟

أصبح عماد محاصرًا من كلِّ الاتِّجاهات، أعزلَ من السِّلاح إلَّا من بضعِ رصاصاتٍ في مسدَّسه الشَّخصي، كان موقفًا صعبًا على مُحبِّيه من آل فرحات، حينها نظرتْ أمُّ نضال إلى عماد وقالت له والدَّمع يُجيِّش في مُقلتَيها: يا ليتني أفتح بطني وأخبِّيك فيه يا عماد!!

حينها تمنَّى نضال ووسام ومؤمن لو أنَّهم يفتحون الأرض؛ ليُخبِّئوا بها عماد، هم لم يُفكِّروا ببيتهم ولا بأنفسهم، بل فكَّروا فقط بعماد "أحد أبرز قادة كتائب القسَّام في قطاع غزَّة"، والمطلوب رقم (1) لقوَّات الاحتلال وأعوانهم، وأكثر المقاومين الفلسطينيِّين تنفيذًا للعمليَّات العسكريَّة في تاريخ المقاومة الفلسطينيَّة!

ذو الأرواح السَّبعة كما سمَّاه رئيس الوزراء الصُّهيوني "إسحاق رابين"، والشَّبح الذي تمنَّى رابين أن يستيقظ في الصَّباح فيجد البحر قد ابتلع غزَّة بسببه ومن معه. في تلك اللحظة عدّ شباب الحارة ما يزيد عن السِّتِّين جيبًّا في منطقة بيت آل فرحات!، كلُّها جاءت للقبض عليه، "اعتقاله أو اغتياله" سِتُّون جيبًا لأجل شخصٍ واحد!

اتركوني قليلًا

"بدأت النِّداءات باللغة العربيَّة المُكسَّرة على الجيران لإخلاء بيوتهم، في سبيل السَّيطرة عليها وإحكام قبضتهم على منزلنا، تهيئةً لاقتحامه."

"وما بين اللحظة والأخرى نفقدُ (وليد. ح) الذي كان موجواً في غرفة ضيافتنا، ولكن دون أن نُمعن في الأمر أو نشكَّ في شيء، حينها نظر الجميع إلى عماد الذي غرق في مُخيِّلته مع نفسه يُفكِّر قليلًا، وبعد دقيقةٍ قال لهم: "اترُكوني قليلًا، أريدُ أنْ أُصلِّي""

قرَّر أن يلجأ إلى مولاه، كان يعلم أنَّ روحه التي حباه الله إياها هي له، ومردُّها إليه، كان يعلم أنَّ مجرَّد وجوده على الأرض هو لأجل رسالةٍ ربَّانيَّةٍ "إنِّي جاعلٌ في الأرض خليفة"، لقد أفنى عمره من أجل هذا الاستخلاف الرَّبَّاني، كان يعلم أنَّ خلافة الأرض للمُصلحين لا يُمكن أنْ تتمَّ بوجود شرذمة الصَّهاينة الذين يحتلُّون فلسطين، مهبط الرِّسالات، وجُرْح الإنسانيَّة الغائر!

أراد أن يستقبلَ آخرته بهاتين الرَّكعتين، ويبارِك في ما تبقَّى معه من رصاص، فإنَّ عمادًا كان يعلم ما تضخُّه الصَّلاة في نفسيَّة المرء من طمأنينةٍ وسكينة، لم ينسَ عماد ربَّه حتَّى في أحلكِ ظُروفه، تمنَّى لو كان بيده سلاحَه الرَّشاش M16، وأنَّ بيت آل فرحات لم يُفرغْه من الأسلحة قبل يومين ليُوزِّع السِّلاح على مؤمن ووسام ونضال، ويُدبِّر خطَّةً لمباغتة جمهرة الجنود المُرتعشين بالباب، أراد أن يقول لمولاه بعد أن خَذَلَهُ سلاحه، وقلَّ النَّصيرله، وقلَّ الدَّاعمون لرسالته: "اللهم هذا قَسَمِي فيما أملكُ أنا وشعبي، فلا تؤاخذنا فيما تملك ولا نملك..."

كـبَّر عماد ووضع يديه على صدره، وتلا ما تـلا، كأنَّه يقول لقلبه الـذي نبض لربِّه ولشعبه ولأرضه السَّليبة: "لا تقلق، كما أنَّ الرُّوح لله، فإنَّ الأرض لله أيضًا يُورثُها من يشاء من عباده"، ركع عماد، وشهِد لمولاه بالعبوديَّة التَّامَّة، رفع عُودَه من الرُّكوع، لم تكن نداءات الجيش تخدش خشوعه، كيف تُثير انتباهه، وهو الذي غرس بالدَّم مهابته في قلوب الجنود المُرتجفين بالباب؟!، إنَّهم يعلمون جيِّدًا من هو عماد، لا أحد يستطيع مبارزته بالسِّلاح وجهًا لوجه، كم كانوا محظوظين؛ لأنَّ عماد جاء لبيت آل فرحات فقط لأخذ "غرضٍ ما" وترك سلاحه الرَّشَّاش في منزلٍ آخر، كم كانوا محظوظين؛ لأنَّ عماد هذه المرَّة لم يأتِ معه مرافقوه وإخوانه المطاردين، كم كانوا محظوظين؛ لأنَّ البيت كان مُخْلًا من السِّلاح قبل يومين؛ بسبب بعض التَّرتيبات، كم كانوا محظوظين...، تمامًا كما كانوا محظوظين عند اعتقالهم لخليَّة مجموعة الشُّهداء في الضِّفَّة الغربيَّة وكشْفهم لمخرطة المجاهدين - بالصُّدفة -.

أروقة الشَّاباك وقفتْ مُتصلِّبةً أمام إصرار عماد، يسأل رابين نفسه "لِمَ لم تنتهِ العمليَّة بعد؟!، هل سيُسلِّم نفسه؟! بالطَّبع لا!، فهو يعلم جيِّدًا شخصيَّة عماد.

أنهى عماد ركعته الأولى... قام وركع ورفع جسده من الرُّكوع، ثُمَّ انكبَّ يسجد سجدته الأولى، ثُمَّ رفع جبينه، وأعاده ليسجد سجدته الأخيرة ... وألقى أحماله على مولاه، أحماله التي حملها منذ طفولته، غُرْبَتُه عن بلاده التي أحبَّها، وظروفُ المخيَّم الصَّعبة، وألواح الزِّينقو التي لم تكن تحميهم من حرِّ الصَّيف ولا من مطر الشِّتاء، مؤوناتُ مؤسَّسات الغوث الدَّوليَّة التي كانت تحقن الإذلال في نفوس النَّاس، آن للأحمال أن تستريح منها يا عماد، حِمْلُ القضيَّة الذي أنْهَكَك، ومنع عنك الرَّاحة، عبءُ التَّحرير، وعبءُ استرجاع المسجد الأقصى، كم هو مؤلمٌ أن تبقى حكايا جدِّك عن بلدتك حبيسةً في جُدْران الذَّاكرة دون أنْ تراها بعينيك.

ما زال خبير العمليَّات العسكريَّة ومهندس "المسافة صفر" غارقًا في سجوده، يستذكر نفسه في الثَّامنَة عَشَرَة من عمره، عندما لم يكن يملك سوى مسدَّسٍ واحدٍ وبضع رصاصات، واليوم بعد أن أصبح قطاع غزَّة يزخر بالمقاتلين والأسلحة والرَّصاص، وفيه جناحٌ عسكريٌّ متكامل، بِيَدِ كلِّ مطاردٍ بندقيَّتُه الخاصَّة، وإيمانٌ وتكتيكٌ عسكريٌّ بفضل الله ثُمَّ بفضل عماد وإخوانه، يعود الآن عماد إلى المشهد نفسه قبل أعوام، مشهد المسدَّس الوحيد، والرَّصاصات المعدودة، إنَّه المسدَّس نفسُه، لقد كان زاهدًا حتَّى في عسكريَّته.

مرَّ شريطُ الذِّكريات سريعًا في السَّجدة الأخيرة: "أيَّام الصِّبا، الأصدقاء الذين كَبُرَ معهم وكَبُرُوا معه وخاضوا ذاتَ الطَّريق، فهد الأسير، صلاح المصاب، باسم المطارد" وغيرهم وغيرهم... مرَّ شريط الذِّكريات سريعًا: "رياضاته المفضَّلة، مادَّةُ الجُغرافيا، حبُّه للمدرسة، وحبُّه لتخصُّص الصَّيدلة، قُبْلَتُه على يد والديه"، مرَّت عمليَّاتُه العسكريَّة في الشَّريط واحدةً تلو الأخرى، ويقول في نفسه: قليلةٌ قليلة.

سجد عماد سجدته الطَّويلة، غير مُكترثٍ لصرخات الجيش عبر مكبِّرات الصَّوت، بل لم يكن يكترث من يكون حامل المُكبِّرات أصلًا، لقد كان على رأس السِّتِّين أو السَّبعين دوريَّةً مسؤول القوَّات الخاصَّة في جيش الاحتلال في قطاع غزَّة "الجنرال مئير منتز"، أراد أنْ يأتي ليتأكَّد بنفسه من عمليَّة الإجهاز على عماد عقل.

هل يستطيع هذه المرَّة؟

سلَّم عماد وأنهى صلاته، ووجَّه وصيَّته لنضال قائلًا: أتمنَّى أن تسدُّوا عنِّي ديني الخاص بالعمل، ولا تتركوا عليَّ قرشاً، وأبلغ سلامي لرفاق الدَّرب من بعدي" موضِّحاً أنَّ أنسب حلٍّ هو الخروج من المنزل؛ كي لا يتمَّ هدمه فيستشهد أصحابه أو يتضرَّر المواطنون من حوله؛ لكنَّ شيئًا ما ظلَّ عالقًا في ذهنه، كيف لهؤلاء الجُبناء أن يقتربوا كلَّ هذا الاقتراب! كأنَّهم يَرَوْنَنَا رَأْيَ العين، يجب أن يكون هناك أمرٌ ما!

خرج عماد إلى سطح المنزل وأخذ مسدَّسه، وكان به تسع رصاصاتٍ فقط!، فتبعه وسام ونضال ومحمَّد ورواد و "أمُّ نضال"، تقدَّم عماد قليلًا فوجد المكان مُكتظًّا بالجنود، فأشار لمحمَّد وطلب منه أنْ يرصد له عدد الجنود الموجودين أمامه، فتقدَّم ونظر من الزَّاوية، والتفت إلى عماد وأشار إليه بأصابعه "أربعة".

ذهب عماد وتسلَّل مقترباً من السُّور ورجع ثُمَّ أخذ قراره، رفع يده إلى السَّماء، وبدأ يدعو... كانت لحظةً عصيبة، يقول وسام: "حينها كنَّا حريصين أن يستشهد، لم نكن نتمنَّى له الاعتقال، كنَّا نتمنَّى أن يَلْقى مُناه بعد هذه المسيرة الجهاديَّة الكبيرة.

"حينها رفع عماد بصره إلى السَّماء وأطال في الدُّعاء، وكانت والله لحظاتٌ صعبةٌ جدًّا، أن ترى اللحظات الأخيرة لهذا الأسد العملاق، دقيقةٌ واحدةٌ وستفتقده أمَّةٌ بأكملها، ولسنا نحن في غزَّة فقط، تمنَّيت لو لم أر المشهد... لحظاتٌ مؤثِّرةٌ جدًّا، والله وهذه شهادةٌ أمام ربِّنا، لو كان هناك سبيلٌ لنجاته باستشهادنا كلِّنا "كلُّ البيت" لَمَا تردَّدنا".

بعد أن دعا عماد عرف الجميع أنَّها اللحظات الأخيرة فعلًا، فعانقوه وقبَّلوه واحتضنوه، وبعد أن طال الوداع تركهم عماد، وركض بأقصى سُرعته نحو السُّور وقفز أمام الجنود الأربعة، وأثناء قفزه أطلق عددًا من الرَّصاصات، حيث كان الأربعة قد تقدَّموا عن بقيَّة الجنود الآخرين، وكانوا يُصوِّبون أسلحتهم الرَّشاشة صوْب السُّور، فلمَّا قفز عماد أطلقوا رشَّاشاتهم؛ لكنَّه بتكتيكه العسكري استطاع أن يُسكن رصاصةً في جسد أحد الجنود ليُرديه على الأرض، فهرب الثَّلاثةُ الباقون، وما هي إلا لحظات حتَّى وصلت تعزيزاتٌ للمكان وصبَّوا وابل رشَّاشاتهم تُجاه عماد فأصابوه.

سقط عماد من أعلى السُّور على الأرض مُصابًا، وقد أُصيبت أنحاء جسده بالرُضوض المتعددة، فأخذ المسدَّس وجاهد في السير في الممرِّ الذي يفصل البيت عن بيت الجيران، ودخل إلى حاكورة المنزل، وذهب تُجاه شجرة الزَّيتون،

فوجد أمامه ستَّةً من الجنود، وبمجرَّد ظهوره أطلقوا النَّار عليه، فأصيب مرَّةً أخرى؛ لكنَّه ظلَّ يُطلق النَّار عليهم بيدٍ واحدة، ويده الأخرى على بطنه ويتقدَّم تُجاه الزَّيتونة.

أطلق عماد رصاصاته صوب الجنود السِّتَّة، وفور وصوله إلى الزَّيتونة لم يستطع المشي من شدَّة النَّزيف، فخرَّ مغمىً عليه، وَرَوَتْ ما تبقّى من دمائه شجرةَ الزَّيتون، نفس الشَّجرة التي أشار إليها لوسام يومًا ما وقال له: "أتدري يا وسام، أتمنَّى أن ألقى الله في منزلكم، وأتمنَّى أن أستشهد تحت هذه الزَّيتونة!"


الشهيد القائد / عماد عقل

مَالَ جسدُ عماد على الزَّيتونة التي تمنَّى أن يستشهد قُربَها، وَرَوَتْ دماؤه جذورها، مُحْدِقًا بصره في مُسدَّسه، وكأنَّه كان يرى الجنَّة من تلك الفوَّهة، ذلك المسدَّس الذي طاف به عماد أطراف المخيَّم، وذاد به الثَّعالب المُتوحِّشة عن طريق النَّاس، رأى عماد أنَّه أتمَّ رسالته، فالمجموعات العسكريَّة استقرَّت، وهيكليَّة الجناح العسكري قد وُضعت، ورُسمت الخطط، وأصبح كلُّ مطاردٍ يعرف عمله ومنطقته وتخصُّصه؛ آن لهذا الجسم المُتعب أن يستريح، بلا غُربة المطاردة، والبُعْد عن الأهل والأحباب وساعات التَّعب.

استشهد عماد؛ ورغم أنَّ الجنود المرتعشين رأوه بأمِّ أعينهم إلَّا أنَّهم خافوا من اقتحام المنزل، فأحضروا أحد سكَّان الحيِّ وأمروه بالتَّقدُّم أمام المنزل، فتقدَّم هذا المُواطن دون حيلةٍ منه، وطرق الباب، وقال: يا أبا نضال، يا أمَّ نضال، يا شباب... اخرجوا.

هيبة الشَّهيد!

خرج أبناء أمِّ نضال، فأمسك أحد الجنود بنضال، وقالوا له: "هناك جثَّة اذهب احملها وأحضرها لنا"؛ فذهب بنضال، وتحت تهديد السِّلاح أمروه أن يحضر الجثَّة، فتوجَّه نحو المكان الذي قفز إليه عماد؛ لكنَّه لم يجده... فتقدَّم قليلًا، وإذ بالجنديِّ يصرخ فيه: "هنا هنا تحت الزَّيتونة"، فنظر نضال، وإذ بالجنرال عماد مسجًّى أمام جذع الزَّيتونة.

تفاجأ نضال، ما الذي جاء به إلى هنا؟، وكيف قطع كلَّ هذه المسافة دون أن يُمسكوا به؟، لم يكن يعلم نضال أنَّ قائده استطاع بالتِّسع رصاصاتٍ أن يُقاوم القوَّات الخاصَّة حتى آخر رمقٍ من حياته.

بدمه مخضَّب

اقترب نضال نحو حبيبه عماد يُصارع نفسه، كيف له أن يرى قائده الكبير مسجًّا بين يديه، وقد كان قبل قليل يتناول معه طعام الإفطار.. تمالك نضال نفسه، وتقدَّم نحو عماد، ونظر إليه متأمِّلًا وكأنَّ أعين عماد تحدِّثه: "دمائي هي الطَّريق إلى القدس يا نضال، إيَّاك أنْ تضلَّ الطَّريق، إيَّاك أن يضلُّوا الطَّريق، إنَّني لم أغب بعيدًا؛ إنَّما صعدت بجوار ربِّكم أرقُب نصرَكم..."

مرَّت ثوانٍ على نضال يتأمَّلُ مشهدَ قائده، وهو ممدَّدٌ تحت الزَّيتونة، وسلاحه بيده شاهدٌ عليه، إنَّه لم يُبدِّل ولم يغيِّر، وظلَّ يقاتل حتَّى آخر رمق... "آهٍ لو كان رجالُك هنا يا عماد، آهٍ لو كان سلاحُك الـM16 بجوزتك يا عماد"، يحدِّثُ نضال نفسه نادمًا؛ كيف للقائد عماد أن يُبَاغَت هكذا، كم كان إسحاق رابين ومئير منز محظوظين أن يصلوا إلى عماد في زيارته - العابرة غير المخطَّط لها - إلى منزل آل فرحات... أراد عماد أن يصل البيت لمدَّة دقائق فقط؛ ليأخذ العبوَّةَ، ثُمَّ يعود ليستكمل مهامه في قيادة المجاهدين؛ لكنَّ قدر الله كان أقرب ممَّا يتخيَّله أو يتمنَّاه البشر.

قطعت صرخةُ الجندي على نضال صمته حينما قال له: أحضر الجثَّة بسرعة!!، عاد نضال من شروده، وانحنى لقائده الشَّهيد، حمله بين يديه، وعاد إلى تجمُّع الجنود، ووضع جثَّة عماد أمامهم، ولمَّا رفع رأسه وجد أمَّه وإخوته يرقبون من بعيدٍ بنظراتٍ مُتقطِّعةٍ، يريدون أن يحتضنوه؛ ولكن خشيةً من أنْ يعرف الجنود اتِّصال عماد بهم أخفَوْا دمعةً في القلب، وحرقةً على استشهادِ قائدهم، لم يكونوا على علمٍ بأنَّ القدر سيضعهم في موقفٍ كهذا، يعجزون فيه حتَّى عن وضْعِ قبلةِ الوداع على جبينه... حبست العائلةُ حزنَها، ودَعَتِ الله أن يتقبَّل شهيد الوطن.



جنازة الشهيد القائد / عماد عقل



جنازة الشهيد القائد / عماد عقل

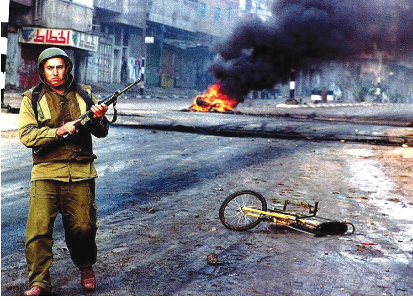
فسدةُ الكون!

لم يكتف الجبناء بقتلِ عماد فقط؛ بل جَبُنُوا عن الاقتراب منه، ولم يقتربوا إلَّا بعد أن أفرغ أحد الجنود سلاحه في رأسه، ومن ثَمَّ صبَّ بقيَّة الجنود الرَّصاصات على جسده، كانوا يخشونه حيًّا وميتًا!، لم يكتف الجبناء بذلك فقط؛ فقاموا بتخريب البيت بأكمله، وأطلقوا النِّيران على الخزانات وكذلك خزَّانات المياه خشية أنْ يكون اختبأ فيها أحد المطاردين، وقلبوا المنزل رأسًا على عقب.

الرَّاقصون على جثث الأبطال

بعد السَّاعة الثَّامنة مساءً أعلنت الإذاعة العبريَّة عن مقتل عماد عقل في عمليَّةٍ استخباراتيَّةٍ مُحكَمة، فدقَّت طبول الفرح في المغتصبات القريبة من

غزَّة، وأصبح يرى سُكَّان غزَّة الألعاب النَّاريَّة، وهي تخرج في الهواء، وفي مراكز الجيش والشُّرطة الموجودة في قطاع غزَّة، لم يصدِّق الصَّهاينة أنَّ شبح عماد لن يطاردهم بعد اليوم، فصار الجنود يوزِّعون الحلوى في السُّجون ومراكز الاعتقال.



اندلاع المظاهرات بعد استشهاد القائد عماد عقل

أمر الكولونيل "مئير" كلَّ الجنود بالانسحاب؛ وبقي وحده برفقة مرافقيه، نظر "مئير" إلى نضال ووسام وأمرهم بالانصراف إلى منزلهما، وأشار لجنوده ثُمَّ أشاح بظهره ضاحكًا؛ لكنَّه لم يكن يعلم أنَّها ستكون ضحكتَه الأخيرة.

رائحة المِسْك

إن لم تتنزَّل كرامةُ الله لأوليائه، ولأمثال عماد؟ فلمن ستتنزَّل؟، نحسبه والله حسيبه. يُقسم المجاهد وسام فرحات أنَّ رائحة المسك كانت تنبعث من تحت شجرة الزَّيتون، وتجمهر النَّاس حولها وأصبحوا يحرِّكون الدَّم بالتُّراب فتنتشر رائحة المسك، وظلَّت الرَّائحة حتَّى شروق الشَّمس!

العميل الأبله

كان قادةُ حماس يعلمون ماذا يعني لهم عماد عقل، وماذا يعني استشهاده في مسار القضيَّة الفلسطينيَّة؛ لكن كعادتها في النِّضال والجهاد والثَّورة والكفاح، امتصَّت حركة حماس وقيادة كتائب القسَّام صدمة استشهاد أحد قادتها في قطاع غزَّة، فظنَّ العميل الذي رصد عماد عقل أنَّه سينجو من فِرَقِ


اندلاع المظاهرات بعد استشهاد القائد عماد عقل

الاستخبارات القسّاميّة التي جمّعت خيوط العمليّة، وكثّفت تحقيقاتها إلى أن اتّضحت الدّلائل، وأوصلتهم إلى العميل الذي أوشى بعماد، لقد كان (وليد. ح) الذي التقى بعماد قبل استشهاده بساعةٍ في منزله عميلًا للاحتلال الصُّهيوني؛ حيث كان يضع في حزام خصره "كاميرا وجهاز صوت"، فكان البيتُ مصوّرًا، فعلم الصّهاينة أنّ عمادًا وحيدٌ في البيت بمسدّسٍ يحوي تسع رصاصاتٍ فقط. تم ضبطُ العميل، واعترف على ما اقترف من جرائم، وتمّت تصفيته بحقِّ الدِّين والقضيَّة ونداء الشَّعب!

ثورةُ "عماد"

بعد يومٍ من استشهاده، ضجّت السِّجلّات المدنيّة باسم "عماد"، وأصبح اسمه يُطلق على المئات من المواليد، وأصبح الشَّباب يتسارعون على التّكنِّي باسم "أبو عماد"، أو بكُنيته "أبو حسين"!

كيف لا يحملون اسمه، وهو الذي جعل خدمة الجندي الصُّهيوني في غزَّة جحيمًا!؟، وأصبح الجنديُّ يُساق إلى خدمته كالذي يُساق إلى الموت؟، كيف لا يتفاخرون باسمه وهو الذي فرض في عامٍ واحدٍ على الجيبّات الصُّهيونيّة خطر التَّنقُّل بحرِّيَّةٍ في قطاع غزَّة؟، كيف لا يُكنُّون باسمه، وهو الذي جعل أسمى أماني رابين أن يستيقظ فيرى البحر قد ابتلع غزَّة ليتخلَّص منها ومن عماد؟!



والد الشهيد القائد / عماد عقل في جنازة ابنه القائد



والد الشهيد القائد / عماد عقل في جنازة ابنه القائد

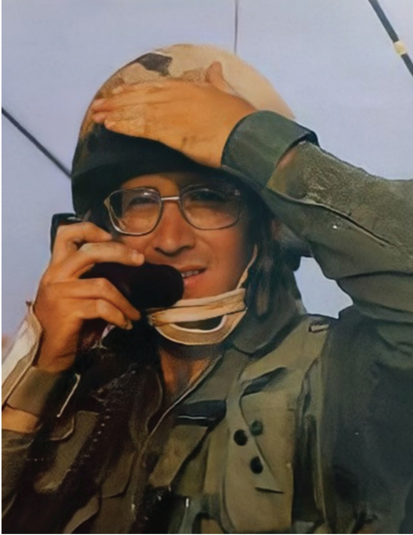
آهٍ كم أرهقتهم يا عماد!، وآهٍ كم أشفيت صدور الثّكالى والمُهجَّرين والضُّعفاء مِن النَّاس ومِن رفاق عماد من لم يستطع الكلام، ومنهم من ظلَّ يبكي شهرًا كاملًا، ومنهم من لم تنزح عنه غيمةُ الحزن إلى يومنا هذا.

نعت حركة حماس والشَّعبُ الفلسطيني وأحرار العالم قمر الثُّوَّار عماد عقل؛ ولكنَّ كتائب القسَّام أرادت أن تنعيه بطريقتها الخاصَّة.

رابعاً: ثأر القسَّام للقائد المقدام

استُشهد عماد ونام الكيان الصُّهيوني ليلته مطمئنًّا، فقد أنهوا أمر "من جعل للصِّفر قيمةً بعمليَّاته النَّوعيَّة..."

لم يعد يُرعبهم بعد اليوم ولكن؛ وبعد شهرٍ فقط من استشهاد القائد عماد وبتاريخ 24/12/1993م، وصلت رسالةٌ إلى رئيس الوزراء الصُّهيوني إسحاق رابين، مفادها: "نأسف... لقد تمَّت تصفية قائد القوَّات الصُّهيونيَّة الخاصَّة في قطاع غزَّة، والمسؤول عن عمليَّة اغتيال عماد عقل، الجنرال "مئير شمعون منز" -منسِّق أعمال الوحدات الخاصَّة وقائد قوَّات لواء جفعاتي-، وكذلك المُقدِّم عاموس يركوني -قائد وحدة الدَّوريات التَّابعة لرئاسة الأركان-، وإصابة اثنين من كبار ضبَّاطنا قرب مُفترق التوام شمال غزَّة، وتُركت ورقةٌ على جثَّته: "انتقامًا لعماد عقل".



كولونيل مئير مينتز قائد كتيبة "شاكيد" التابعة لوحدة "جفعاتي" العسكرية الصهيونية الخاصة، فرقة غزة

نعم فقد أشهر أربعةٌ من مجاهدي كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام وهم: "الشَّهيد القائد عوض سلمي، والشَّهيد القائد سعد العرابيد، والأسير المُحرَّر أبو شعبان، والمجاهد عيسى الحسنات" أسلحتهم الرَّشاشة -من بينها بندقية عماد M16 التي ورَّثها لرفاق دربه في الجهاد- صوب الجيب الذي كان يُقلُّ هؤلاء الصَّهاينة؛ ثأرًا وانتقامًا لاغتيال أبرز قادة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام عماد حسين عقل...



موقع العملية التي قتل فيها الكولونيل مئير مينتز القائد في وحدة جفعاتي الصهيونية.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل وقد أعلنت قيادة كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام بَدْء تنفيذ خطَّة الانتقام العشريَّة؛ ثأرًا لاغتيال القائد عماد عقل، حيث يتمُّ تنفيذ عددٍ من العمليَّات النَّوعيَّة تكون حصيلتها قتل عشرة صهاينة... ليكون الجنرال الصُّهيوني مئير شمعون مينتز من بينهم.



موقع العملية التي قتل فيها الكولونيل مئير منتز القائد في وحدة جفعاتي الصهيونية.

العمليَّات العشريَّة انتقامًا لاستشهاد القائد عماد عقل

م	نوع العملية	موعد العملية	موقع العملية	المنفذون	نتائج العملية
1	هجوم مسلح "عملية تجاوز"	الأربعاء 1/12/1993م الساعة 08:00	قريبًا من مدينة البيرة	ثلاثة مجاهدين	- مقتل صهيونيين "شلفا أوزنا (24عام)، يتسحاق فاينشتوك (19 عام)" -إصابة اثنين صهاينة.
2	هجوم مسلَّح "عمليَّة تجاوز"	الاثنين 6/12/1993م الساعة 18:15	"مفترق خارصينا" على مشارف الخليل	ثلاثة مجاهدين	- مقتل صهيونيَّين "موردخاي لبيد، شالوم لبيد" - إصابة ثلاثة صهاينة.
3	هجوم مسلَّح "عمليَّة تجاوز"	الأربعاء 22/12/1993م ظهرًا	قريبًا من بيتونيا	مجموعة رقم (صفر)	- مقتل الصُّهيونيَّين "مئيرمندلوفيتش وإلياهو ليفين
4	كمين عسكري لجيب قيادة	الجمعة 24/12/1993م صباحًا	مفترق التوام شمال غزة	- عوض سلمي -عيسى الحسنات - سعد العرابيد -أبو شعبان	- مقتل قائد الوحدات الخاصة "مئيرمينتز" - إصابة اثنين من الضُّبَّاط الصَّهاينة.
5	هجوم مسلَّح "عمليَّة تجاوز"	الأربعاء 2/2/1994م ظهرًا	الخليل قرب مغتصبة كريا أربع	مجموعة رقم (صفر)	-إصابة ثلاثة صهاينة بشكلٍ خطير.

وهكذا... انتهت حكايةُ المجاهد الثّائر، أحد قادة كتائب القسَّام في قطاع غزَّة "عماد عقل"، وطُوِيت صفحةُ جهاده، إلَّا أنَّ بذرتها التي تنامت ما زالت تسقي قبرَه الطَّاهر، ليلقى ما قدَّمه لأجل دينه ووطنه وشعبه، مُثقلًا بالكرامة الرَّبَّانيَّة، استُشهد عماد، وسلَّم الرَّاية لرفاق دربه في السِّلاح.

المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر

- أرشيف كتائب الشهيد عز الدين القسام.
- مقابلات مع عدد من قادة وأبناء حركة المقاومة الإسلامية حماس.
- مقابلات مع عدد من قادة ومجاهدي كتائب الشهيد عز الدين القسام.
- مقابلة مع الشهيد القائد عماد عقل.
- مقابلة مع عائلة الشهيد القائد عماد عقل.

ثانياً: المراجع

- جميل وادي: بطولات قسّاميَّة.
- رائد الحلاق: الملحمة والبطولة -سيرة الشهيد القائد عماد عقل-، سجن نفحة الصحراوي، 2002م.
- رجب البابا: جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية (1987-1994م) إشراف الدكتور أحمد الساعاتي، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010م.
- صحيفة القدس: الأعداد اليومية لعامي (1992-1993م).
- عبد الكريم محسن: مخيَّمات اللاجئين الفلسطينيِّين بين الواقع وطموحات المستقبل"، الجامعة الإسلاميَّة، غزَّة، فلسطين (2010م).
- غسان دوعر: أسطورة الجهاد والمقاومة -الشهيد عماد عقل-.
- مصطفى الدباغ: موسوعة بلادنا فلسطين، 2018م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- موقع الجزيرة: عن الشهيد عماد عقل.
- موقع الخنادق "الشهيد عماد عقل": نموذج الأدمغة العسكرية الفلسطينية.
- موقع كتائب القسام: البلاغات العسكرية
- موقع كتائب القسام: البيانات العسكرية
- موقع كتائب القسام: سير الشهداء

الفهرس

الفهرس

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ



(مهندس المســافة صفر) قبسٌ من شــعلة جهادٍ مبهرةٍ نستقيها من عبق جنرال الكتائب وبندقيَّته المُبصرة، نطوف خلالها أرضنا المُغتصبة، نجوب وقائع النِّزال، نعيش غِمارها، نســتنطق أخاديد الأرض ونعتلي أُفــق التِّلال، نصل منها لسلســلة الجبال؛ لتبوح مجتمعــةً "هنا وطأت قدما عقــل المقدام... وجنرال القسَّــام".

الإعلام العسكري

إصدارات قسم التاريخ العسكري
كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام

